رجل المستحيل

# المعركة الكبرى

د. نبيل فاروق

سلسلة الأعداد الخاصة

Looloo
www.dvd4arab.com

# رجل المستحيل .

( أدهم صبرى ) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز ( ن ــ ١ ) .. حرف ( النون ) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم ( واحد ) ، فيعنى أنه الأوّل من نوعه ؛ هذا لأن ( أدهم صبرى ) رجل من نوع خاص ، فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى ( التايكوندو ) .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لعدة لغات حيَّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكُّر و ( المكياج ) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أُخرَى متعددّة ..

لقد أجمع الكل أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد ، فى عمر ( أدهم صبرى ) ، كل هذه المهارات مجتمعة ..

ولكن ( أدهم صبرى ) حقّق هذا المستحيل ، واستحقَّ عن جدارة ذلك اللقب ، الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة ..

لقب ( رجل المستحيل ) .

د . نبيل فاروق



# ١ ــ ذكريات ..

انطلق صفير متصل خافت ، فى حجرة ( قدرى ) ، خبير التزوير والتقليد ، فى إدارة المخابرات العامة المصرية ، وراح مصباح أحمر صغير يتألّق على نحو متقطّع ، فهبّ ( قدرى ) من مقعده ، بجسده البالغ البدانة ، ووضع الشطيرة التى كان يلتهمها ، على مقعد قريب ، وهو يندفع نحو جهاز صغير ، أشبه بتلفاز متنقّل ، وضغط ذلك المصباح الأحمر ، وهو يغمغم :

ــ أتعشّم أن تكون هذه التجربة قد نجحت .

توقّف المصباح الصغير عن التألّق ، إثر ضغطة ( قدرى ) ، وتلاشى مع توقّفه ذلك الصفير الخافت ، فأمسك ( قدرى ) باب الجهاز الصغير فى حرص ، وفتحه فى حذر ، ثم مدّ سبّابته وإبهامه ، والتقط بهما بطاقة صغيرة من قلب الجهاز ، قلّبها أمام عينيه فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ــ الشكل الخارجى يوحى بالنجاح .

والتقط عدسة كبيرة ، وضعها أمام عينه ، وعاود بها فحص البطاقة فى عناية بالغة ، ثم هتف فى ارتياح :

ــ رائع .

انبعث من خلفه صوت أنثوىّ هادىء ، يقول :

ــ ماهذا الذى تصفه بالروعة ؟

قفز من مكانه فى ذعر ، واستدار فى سرعة ، لم يستجب لها جسده الضخم ، فاختلّ توازنه ، وكاد يسقط على وجهه ، فوق صاحبة

الصوت ، لولا أن تشبث بمنضدة كبيرة ، وألقى جسده فوق مقعد قريب ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! .. لقد أفزعتنى كثيرًا يا ( منى ) .. كيف تسلّلت إلى هنا ؟

ابتسمت ( منى توفيق ) ، وهى تقول :

إننى لم أتسلّل .. لقد طرقت الباب ، وفتحته ، ودخلت إلى هنا ، دون أن تشعر بى .. يبدو أن بدانتك قد تسلّلت إلى أذنيك ، فحجبت شحومها عنك مايدور حولك .

قهقه ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !! .. لقد أصبحت تتحدثين بأسلوب ( أدهم ) تمامًا .

هزّت كتفيها قائلة :

ـ لا تنسَ أننى تلميذته ، ورفيقة مغامراته الدائمة .

غمز بعينه ، وهو يقول :

ـ لقد نسيت صفة أكثر أهمية .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، عندما أدركت ما يقصده ، وقالت بسرعة ، محاولة جذب اهتمامه إلى نقطة أخرى :

ـ إنك لم تخبرنى ، ما هذا الذى تصفه بالروعة ؟

أدرك محاولتها لتغيير مجرى الحديث ، ولكنه لم يعترضها ، وإنما تجاهل استمراوية الحوار بدوره ، وقال :

ـ إنها تجربة جديدة ، كنت أبحث عن نتيجة مرضية فيها .

ثم ناولها البطاقة ، قائلًا :



ـ أتعلمين ما هذا ؟

أمسكت البطاقة ، وفحصتها فى سرعة ، وهى تقول :

ـ إنها بطاقة هوية ، تحمل شعار ( الموساد ) ، واسم أحد رجاله .

ثم رفعت عينيها إليه ، تسأله فى دهشة :

ـ كيف حصلت عليها ؟

تجاهل سؤالها ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ افحصيها جيدًا ، وأخبرينى : أهى حقيقية أم زائفة ؟

عادت تفحص البطاقة باهتمام شديد ، قبل أن تهزّ رأسها ، قائلة :

ـ إنها حقيقية بالتأكيد ، وسأدعوك إلى وجبة دسمة ، لو قلت أنها من صنعك .

تهلّلت أساريره ، وهو يقول :

ـ ابدأى فى إعداد الوجبة إذن .

ارتفع حاجباها ، وهى تهتف مبهورة :

ـ مستحيل ! .. لقد بلغت مهارتك شأنًا مخيفًا إذن ، فجهاز ( الموساد ) يتباهى ويزهو ببطاقته الأمنية الجديدة هذه ، ويؤكّد مسئولوه أن تزويرها أمر مستحيل ، بذلك الختم البارز ، والرقم المطبوع بالليزر ، والغلاف الشمعى الممتزج بالورق والصورة ، و...

قاطعها فى سعادة :

مامن شىء يستحيل تزويره يا عزيزتى .. الأمر يحتاج فقط إلى النظرة الثاقبة ، والفحص المتأنى ، وشىء من المهارة والخبرة .

قالت ضاحكة :

ـ شيء من المهارة والخبرة ؟! .. يالك من متواضع !

تابع فى حماس ، وكأنه لم يسمع عبارتها :

ـ صنع البطاقة والختم البارز لم يكن أمرًا عسيرًا ، أما الرقم المطبوع بالليزر ، فقد استخدمت نوعًا من الطلاء ، ابتكرته معاملنا ، لأمنحه شكل طباعة الليزر ، ثم استخدمت فرن الأشعة فوق البنفسجية ، لوضع الغلاف الشمعى ، ومزجه بالورق والصورة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يتلفّت حوله ، قائلًا :

ـ ولكن أين شطيرتى ؟ .. إننى أذكر أنها كانت هنا .. لقد وضعتها فوق أحد المقاعد ، عندما ارتفع الصفير ، وأسرعت لـ ...

مرة أخرى بتر عبارته ، وازداد وجهه المكتظّ احمقانًا ، وهو يتمتم فى هلع :

ـ يا إلهى !

نهض من مقعده فى بطء ، وألقى نظرة على الشطيرة ، التى سحقها جسده الضخم ، ثم أزالها عن المقعد فى حركة سريعة ، وهو يتمتم فى خجل :

ـ يبدو أننى لم أنتبه ، عند جُلوسى على هذا المقعد .

انفجرت ( منى ) ضاحكة للمشهد ، وقالت :

ـ يا إلهى !.. كم يزيل جلوسى معك متاعب يومى كله يا ( قدرى ) .

ابتسم فى مرح ، وهو يقول :



ـ إننى أعتبر نفسى محظوظًا ؛ لأنك توليننى هذا الاهتمام يا أميرتى .

حملت شفتاها ابتسامة حالمة ، وهى تشرد ببصرها ، قائلة :

ـ لن يبلغ حظك نصف حظى أبدًا يا ( قدرى ) ، فأنا أعتبر نفسى أكثر أفراد المخابرات العامة حظًا ، فأنا أوّل فتاة تنضمّ إلى المخابرات رسميًا ، وأوّل فتاة تعمل مع ( أدهم صبرى ) .

قال ( قدرى ) فى سرعة :

ـ ثانى فتاة .

انعقد حاجباها فى شدة ، وتلاشت الابتسامة الحالمة عن شفتيها ، وهى تهتف مستنكرة :

ـ ثانى فتاة ؟! .. أى قول أحمق هذا يا ( قدرى ) ؟.. الجميع يعلمون أن ( أدهم صبرى ) لم يعمل مع فتاة قبلى .

رفع سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ ليس بصفة رسمية .

سألته فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابها فى بساطة :

ـ لم تكن ( فدوى ) تنتمى رسميًا للمخابرات المصرية ، ولكنها شاركته تلك المهمة القديمة ، و...

قاطعته ( منى ) فى انفعال :

ـ من ( فدوى ) هذه ؟.. إن ( أدهم ) لم يذكر اسمها أمامى أبدًا .

ضحك وهو يقول :

ـــ ( أدهم ) كتوم بأكثر مما يمكنك تصوّره يا ( منى ) .. أتعلمين أن نصف أفراد الإدارة يجهلون قصة حياته الحقيقية .. أنا نفسى أخبرنى بثلاث قصص مختلفة عن حقيقة منشئه ، ولم أعرف القصة الحقيقية منها ، إلا عندما راجعت ملفه السرى ذات مرة ، عندما اقتضت الضرورة ذلك .

غمغمت ، وذهنها منشغل بتلك المرأة الأخرى :

ـــ إلى هذا الحد ؟

أجابها ببساطته المعهودة :

ـــ من المؤكّد أن لديه أسبابًا لذلك .. ربما يحاول إخفاء شخصية والده الحقيقية ، أو يحيط نفسه بشىء من الغموض ، أو ...

قاطعته فى اهتمام :

ـــ وكيف شاركته ( فدوى ) هذه مهمة قديمة ، دون أن تنتمى رسميًا للمخابرات المصرية ؟

ابتسم مشفقًا ، عندما رأى الانفعال المتراقص فى ملامحها ، وانتبه إلى رنة الغيرة فى صوتها ، وأجاب :

ـــ إنها قصة طويلة .

قالت بشىء من العصبية :

ـــ لست مرتبطة بأية أعمال اليوم ، ويمكننى سماعها منك .

تنهّد قائلًا :

ـــ لا بأس .. لقد قرأت ملف تلك العملية ـــ للمرة الخامسة ـــ منذ



أيام قليلة ، وما زلت أذكر كل حرف فيه ، ويمكننى أن أقصه على مسامعك .

صمت لحظة ، بدت لها أشبه بدهر كامل ، وهو يرتب أفكاره ، قبل أن يقول :

ـــ كان هذا فى بدايات عمل ( أدهم صبرى ) بجهاز المخابرات العامة ، بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ م بثلاثة أعوام تقريبًا ، وكان هو شابًا ، فى أواخر العشرينيات من عمره ، ولم يكن أثر هزيمة الاسرائيليين ، فى حرب أكتوبر ، قد تلاشى من نفوسهم بعد ، وكانوا يبحثون عن وسيلة عنيفة للثأر ، واسترجاع ما استعدناه نحن من أرضنا ، عندما بدأت هذه المغامرة .

سألته ( منى ) فى لهفة :

ـــ إنها إذن قضية صراع مع ( الموساد ) .

ابتسم ( قدرى ) ، وقال :

ـــ ليس بشكل مباشر ، وإن كاد ذلك يُودِى بحياة ( أدهم ) .

هتفت :

ـــ قصّ علىّ الأمر إذن .

ضحك وهو يقول :

ـــ سأفعل .. لا داعى لقتلى من أجل ذلك .

ثم اعتدل ، واستطرد فى جدية :

ـــ هيا .. أعيرينى سمعك .

وبدأ يروى القصة ..

★ ★ ★

## ٢ ــ البداية ..

لم يكن مدير المخابرات العامة الجديد قد أمضى أسبوعًا واحدًا فى عمله ، عندما استدعى النقيب ــ آنذاك ــ ( أدهم صبرى ) إلى مكتبه ، ولم يكد هذا الأخير يقف أمام مدير المخابرات الجديد ، حتى تفحّصه مدير المخابرات بنظره فى صمت واهتمام ، قبل أن يخفض بصره إلى الملف الموضوع أمامه ، قائلًا :

ــ ملفك مثير للاهتمام بالفعل أيها النقيب ، فلقد أديت للمخابرات المصرية خدمات جليلة ، قبل حتى أن تنضمّ إليها .(*)

توقف مدير المخابرات ، فى انتظار أن يعلّق ( أدهم ) على هذا القول ، إلا أن ( أدهم ) بقى صامتًا ، يتطلعّ إليه فى اهتمام وانتباه ، فتابع مدير المخابرات :

ــ وهذا الملف هو الذى دفعنى لاستدعائك اليوم أيها النقيب .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتحرّك عشوائيًا داخل الحجرة ، مستطردًا :

ــ لا ريب أنك ، ومن خلال عملك بجهاز المخابرات ، قد أدركت أن صورة العالم ، التى يراها العامة ، تختلف كثيرًا عن صورته ، التى نراها نحن ، فلقد واجهنا بأنفسنا عددًا لاحصر له من المصادمات العنيفة الوحشية ، التى تؤكّد استعداد بعض البشر ، لارتكاب كل ما يمكن

(*) راجع قصتى ( الخطوة الأولى ) ، و ( خيط اللهب ) .. المغامرتين رقم ( ٣١ ) ، ( ٣٢ ) .



ارتكابه ، من مجازر ومذابح ، دون أن يطرف لهم رمش واحد ، فى سبيل بلوغ هدف ما ، ورأينا كيف أن هذا الهدف قد يختلف ، من شخص إلى آخر ، ومن مجموعة إلى أخرى ، تبعًا لمقتضيات الظروف ، فقد يتسبّب شخص واحد فى اندلاع حرب شعواء ، من أجل تحطيم دولة ، أو حتى من أجل صفقة أسلحة رابحة .

توقّف لحظات عن الحديث ، وهو يتطلّع فى شرود ، عبر نافذة حجرته ، قبل أن يلتفت إلى ( أدهم ) ، ويسأله :

ــ هل قرأت شيئًا عن حادث الباخرة المصرية ، التى غرقت فجر اليوم ، أمام الساحل اليونانى ؟

أجابه ( أدهم ) فى هدوء ، لايخلو من نبرة اهتمام :

ــ بالطبع يا سيّدى .. لقد التقط قسم الاستماع خبر غرق الباخرة المصرية ، فور إذاعته من المحطة القومية اليونانية ، وأنا أتابع تقارير قسم الاستماع أوّلًا فأوّلًا .

أومأ المدير برأسه مؤيدًا ، وشرد ببصره لحظات ، عبر النافذة ، قبل أن يقول فى حزم :

ــ إنه لم يكن حادثًا قدريًا أيها النقيب .

عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وهو يسأله فى لهجة جامدة ، لم تنقل ماتموج به نفسه من انفعالات :

ــ ماذا تعنى يا سيّدى ؟

استدار المدير يواجهه ، وهو يقول :

ــ هذه الباخرة لم تكن مجرّد باخرة ركاب عادية أيها النقيب ، بل كانت

نحوى ـــ فى قسم كبير منها ـــ نقطة مراقبة بحرية ، تتبع مخابراتنا العسكرية مباشرة ، ولقد نجح أحد عملائنا ، داخل ( اسرائيل ) ، فى نقل بعض الصور والوثائق ، الخاصة بعملية كبرى من عمليات ( الموساد ) ، إلى الباخرة ، فى اليوم السابق لغرقها ، وأبلغنا أن هذه الوثائق تختص بعملية خاصة ، نجح ( الموساد ) خلالها فى التسلّل إلى قلب جهاز المخابرات السوفيتى ( كى . جى . بى ) ، وجهاز المخابرات البريطانى ، المعروف باسم ( المكتب الخامس ) ، وجهاز مخابراتنا ، عن طريق عملاء من نوع خاص ، يتعهّدهم ( الموساد ) برعايته ، منذ عشر سنوات ، ويمنعهم من القيام بأى عمل خاص ، منذ تم تجنيدهم ، مما جعل ملفاتهم نظيفة نقية ، يستحيل أن يتطرّق إليها الشك .

غمغم ( أدهم ) :

ـــ يا لها من خطة !

أومأ المدير برأسه موافقًا ، وتابع :

ـــ ولما كان من المستحيل أن نحيط كل رجالنا بالشك ، وإلا أصيبت كل عملياتنا بالشلل ، فقد أصبح من المحتم أن نحصل على الصور والوثائق ، التى تحدّد الخونة على الفور ، وتنسى العملية كلها .

قال ( أدهم ) :

ـــ أو نسأل عميلنا فى ( تل أبيب ) عنهم .

تنهّد المدير ، وقال :

ـــ للأسف أيها النقيب .. لقد كُشِفَ أمر عميلنا ، بعد إرساله الصور والوثائق مباشرة ، وألقى الإسرائيليون القبض عليه ، ومن الواضح أنه لم يحتمل التعذيب الشديد ، الذى تعرّض له ، فأخبرهم بأمر الصور والوثائق ، ودفعهم هذا إلى ملاحقة باخرتنا ، ونسف جزء من قاعها ،



بواسطة ضفادعهم البشرية ، لإغراقها ، وتدمير الوثائق والصور ، قبل وصولها إلينا .

مطّ ( أدهم ) شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ـــ يا للخسارة !

أشار إليه المدير ، قائلًا :

ـــ إننا لم نخسر كل شىء بعد أيها النقيب ، فالذى لا يعلمه ( الموساد ) ، هو أن الباخرة كانت تضمّ خزانة من نوع خاص ، تُعرف باسم ( الصندوق الأسود ) ، نضع فيها ـــ عادة ـــ الأوراق الشديدة السرية والخطورة ، وهى مصنوعة من مادة مضادة للانفجارات ، وهذا يعنى أن الانفجار لم ينجح فى تدميرها ، وأن الوثائق والصور ماتزال سليمة داخلها ، فى قرار البحر ، فى مكان سرى ، لا يعلمه سوانا .

قال ( أدهم ) فى هدوء :

ـــ هل المطلوب منى أن أغوص لإحضارها يا سيّدى ؟

كانت المهمة تبدو له تقليدية عادية ، مما أورثه شيئًا من خيبة الأمل ، ولكن المدير أجاب :

ـــ لن يكون ذلك سهلًا أو هينًا يا ( أدهم ) ، فربما بلغ الأمر الـ ( كى . جى . بى ) ، و ( المكتب الخامس ) ، وسيحاول كل منهما انتشال الخزانة ، والوصول إليها ، قبل أن نفعل نحن ، كما سيكون ( الموساد ) على رأس هؤلاء ، عندما يعلم أن الوثائق والصور سليمة .

وانعقد حاجباه ، وهو يقول فى صرامة :

باختصار .. ستكون معركة أيها النقيب .. معركة كبرى .

ثم أشار إلى ( أدهم ) ، مستطردًا فى حزم :

ـــ معركة تحتاج إلى رجل واحد .

كان هذا يُثلج صدر ( أدهم ) بالطبع ، ولكنه سأل فى اهتمام :

ــ ولماذا رجل واحد يا سيّدى ؟

أجابه المدير :

ــ لأننا لا نرغب فى نشر أمر بحثنا عن ( الصندوق الأسود ) ، فى الصحف العالمية أيها النقيب .. إننا سنرسل رجلاً واحدًا ، يملك من المهارات والقدرات ما يجعله أكثر فائدة وفاعلية من فرقة كاملة ، ويمكنه أن يختفى ويتخفّى ، دون أن يشعر أحد بوجوده ، فى الوقت ذاته .

وضرب براحته على ملف ( أدهم ) ، الموضوع على مكتبه ، مستطردًا :

ــ ولهذا وقع اختيارى عليك أيها النقيب .

قال ( أدهم ) فى حزم :

ــ ولن أخذلك أبدًا يا سيّدى .

ابتسم المدير ، أمام هذا الحماس ، ووضع يده على كتف ( أدهم ) ، قائلًا :

ــ ينبغى أن تدرك طبيعة مهمتك جيّدًا يا ولدى ، فإما أن تنجح فى الحصول على الصور والوثائق ، بأية وسيلة كانت ، أو تمنع أى مخلوق آخر من الحصول عليها .. هل تفهم ؟

أومأ ( أدهم ) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ أفهم ياسيّدى ، وأعدك أننى سأنفذ مهمتى على أكمل وجه .. أو ألقى حتفى فى سبيل هذا .

وكان قوله بمثابة تعاقد غير مكتوب .. مع الموت .

★ ★ ★



## ٣ ــ شقراء ..

أسدل الليل ستاره فى نعومة ، على العاصمة اليونانية ( أثينا ) ، فى المساء نفسه ، وبدا الطقس خانقًا ، شديد الحرارة ، مما جعل تلك الشقراء الفاتنة ، التى تجلس فى شرفة أحد الفنادق اليونانية الشهيرة ، تطلق زفرة حَنَق ، وهى تلوّح بكفها فى اتجاه البحر ، قائلة فى عصبية :

ــ لم أعد أحتمل ذلك الطقس السخيف .. إننا لم نحد مثله قط فى ( موسكو ) .

التفت إليها شاب مفتول العضلات ، فاره الطول ، عريض الصدر ، يطلق لحيته السوداء الكثة ، لتحيط بوجهه البيضاوى ، وتأمّل جسدها الجميل ، فى ثوب الاستحمام الصغير ، قبل أن يتسم قائلًا :

ــ حاولى اعتياده أيتها الرفيق ( نوفا ) ، فسنبقى هنا حتى نحسم أمر تلك الباخرة الغارقة .

مطّت شفتيها الجميلتين فى امتعاض ، وهى تقول :

ــ ألم تخبر تلك الباخرة اللعينة طقسًا أفضل من هذا ، لنغوص إلى أعماق البحر . أشعل الشاب سيجارة ، وهو يقول :

ــ ربما كانت تبحث عن بعض الترطيب لجسدها .

قالت فى برود :

ــ دعابة سخيفة يا ( شيلنكو ) .

ثم مدّت يدها إليها ، فناولها السيجارة المشتعلة ، وأشعل لنفسه أخرى ، فى حين نفثت هى دخان سيجارتها ، وهى تقول :

ـ لا تنسَ أننا لم نحسم بعد أمر تلك الباخرة ، والقادة لا يعلمون ما إذا كانت الصور والوثائق ، التى سرقها العميل المصرى ، قد دُمِّرت مع انفجار الباخرة ، أم أنها لا تزال سليمة .. والفارق أخطر مما تتصوَّر يا رجل ، فهذه الوثائق تحوى أسماء عملاء ( الموساد ) فى جهازنا ، وحصولنا عليها يعنى إحباط خطة ( الموساد ) ، وتنقية جهازنا من الخونة والجواسيس .

مطّ شفتيه ، وقال :

ـ ولكننا فتشنا الباخرة فى الأعماق يا ( نوفا ) ، ولم نجد أى أثر لهذه الصور والوثائق .

قالت فى حزم :

ـ إنها فى مكان سرى حتمًا ، لا يعلمه سوى المصريِّين .

قال فى سخرية :

ـ وكيف نقنعهم بإخبارنا عن مخبئهم السرى ؟ .. هل نقدِّم لهم طلبًا متموغًا ؟

رمقته بنظرة نارية ، وهى تقول :

ـ يبدو أنك تنسى أحيانًا من منا صاحب الرتبة الأعلى ، أيها الرفيق ( شيلنكو ) .

ارتبك أمام نظرتها ، وغمغم :

ـ لا أيتها الرفيق ( نوفا ) .. إننى لا أنسى هذا .

بدت علامات الرضا على وجهها ، من خوفه الواضح منها ، واسترخت فى مقعدها ، ونفثت دخان سيجارتها ، وهى تتطلَّع إلى البحر فى تراخ



قائلة :

ـ كل ما علينا فعله هو أن ننتظر يا ( شيلنكو ) ، فموقف المصريين هو الذى سيرشدنا إلى ما ينبغى فعله .. لو تجاهلوا الأمر سيعنى هذا أن الانفجار دمَّر الوثائق ، أما لو أرسلوا رجالهم إلى هنا ، فسيعنى هذا أن الوثائق سليمة فى القرار ، وأنهم يسعون خلفها .

قال فى حماس :

ـ وعندئذ نسبقهم نحن و ...

قاطعته فى غضب وازدراء :

ـ غبى .

تطلَّع إليها فى دهشة ، فتابعت فى صرامة :

ـ كيف نسبقهم إلى شىء نجهل مكانه ؟ .. إننا سنفسح لهم الطريق ، حتى يمكنهم العثور على الوثائق ، وبعدها ..

فرقعت سبَّابتها وإبهامها ، فى معنى واضح ، فتألقت عينا ( شيلنكو ) ، وهو يهتف فى لهفة :

ـ نقتلهم .

أومأت برأسها فى بطء ، وهى تبتسم ابتسامة مخيفة ، تتناقض تمامًا مع جمالها الفاتن ، وهى تقول :

ـ بالضبط .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى اندفع شاب أشقر نحيل إلى الحجرة ، وهتف :

ـ لقد فعلوا يا ( نوفا ) .. فعلوا ما توقعته .

اعتدلت فى انفعال ، وسألته فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

كان يلهث من شدة الانفعال ، وهو يجيب :

ـ نعم أيتها الرفيق ( نوفا ) .. لقد تلقيت الآن رسالة لاسلكية ، من عميلنا فى ( مصر ) ، يقول فيها أن المصريين قد أرسلوا أحد رجالهم إلى هنا ، من أجل الباخرة الغارقة .

هتفت مستنكرة :

ـ رجل واحد ؟! ..هل أرسلوا رجلًا واحدًا ؟

قال ( شيلنكو ) ساخرًا :

ـ ربما يحاولون إبعاد الأنظار عنهم .

قلبت شفتها السفلى فى امتعاض وازدراء ، قائلة :

ـ يا للسخافة !

ثم التفتت إلى الشاب الأشقر ، تسأله :

ـ ومتى يصل رجل المخابرات المصرى هذا يا ( زاج ) .

تطلّع إلى ساعته ، وقال :

ـ الآن أيتها الرفيق ( نوفا ) .. المفروض أن تكون طائرته قد هبطت الآن .

★ ★ ★

نقل ضابط الجوازات اليونانى بصره ، من جواز السفر المصرى ، الذى يمسك به ، إلى وجه الشاب الهادىء ، ذى الشارب الكث ، والمنظار الصغير ، الذى يقف أمامه ساكنًا ، وقال :

ـ اسمك ( أدهم صبرى ) .. أليس كذلك ؟



أومأ ( أدهم ) برأسه إيجابًا ، وقال :

بلى .. هذا اسمى أيها الضابط .

سأله الضابط فى اهتمام :

ـ لماذا تزور ( أثينا ) يا سيّد ( أدهم ) ؟.. أهو عمل ، أم سياحة ؟

ابتسم ( أدهم ) فى هدوء ، وهو يجيب :

ـ مزيج من هذا وذاك أيها الضابط .

أومأ الضابط برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ أتمنى لك إقامة طيبة هنا ياسيّد ( أدهم ) .

وختم جواز السفر بخاتم الدخول ، وأعاده إلى ( أدهم ) ، ثم بدأ يفحص جواز المسافر التالى ، ويوّجه إليه الأسئلة نفسها ، فى حين حمل ( أدهم ) حقيبته الصغيرة ، وغادر المطار فى هدوء ، وتوقّف لحظة يدير بصره بين سيارات الأجرة العديدة ، التى يزدحم بها المكان ، ثم اتجه إلى إحداها مباشرة ، وقال لسائقها :

ـ هل تحمل رخصة قيادة قديمة ؟

أجابه السائق فى تراخ :

ـ إنها ليست أقدم من أهرام الفراعنة .

قال ( أدهم ) :

ـ ولكنها صفراء مثلهم .

وهنا نهض السائق فى بساطة ، وفتح باب السيارة ، وهو يقول :

ـ تفضّل يا سيّدى .

جلس ( أدهم ) على المقعد المجاور للسائق ، الذى انطلق بالسيارة على الفور ، وهو يقول لـ ( أدهم ) ، دون أن يلتفت إليه :

ـــ مرحبًا بك فى ( أثينا ) أيها النقيب .

قال ( أدهم ) فى هدوء :

ـــ أشكرك أيها الزميل .. أخبرنى .. هل أعددتم كل شىء ؟

أومأ السائق برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم .. لقد استأجرنا كابينة صغيرة على الشاطىء ، ستجد داخلها ثوب الغوص ، ومصباحًا يدويًا صغيرا ، وأدوات التنكر التى طلبتها .

وناوله مفتاح الكابينة ، مع خريطة لها ، وهو يستطرد :

ـــ ولكن أخبرنى .. ألا تحتاج إلى أسلحة ؟

قال ( أدهم ) فى هدوء :

ـــ ليس بالضرورة .

هزَّ السائق كتفيه ، وقال :

ـــ أنت وشأنك ، ولكن تذكَّر أنك قد تواجه جيشًا كاملاً ، يسعى خلف صندوقنا الأسود ، ومن العسير فى عالمنا أن تحارب دون سلاح .

قال ( أدهم ) فى تراخ عجيب :

ـــ سأحصل على السلاح عند الضرورة .

تطلَّع إليه السائق لحظة بنظرة جانبية ، ثم هزَّ رأسه ، قبل أن يقول ، فى لهجة تحمل شيئًا من السخط :

ـــ أتظن نفسك فى نزهة يا فتى .

ابتسم ( أدهم ) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ شىء من هذا القبيل .

تطلَّع إليه السائق فى دهشة ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكنه لم يلبث أن



أطبق شفتيه ، وهو يوقف السيارة أمام الفندق ، فغادرها ( أدهم ) فى هدوء ، حاملًا حقيبته الصغيرة ، ونقد السائق أجرًا سخيًا ، وهو يقول فى صوت مرتفع ، سمعه الجميع :

ـــ أشكرك يا صديقى .. بلغ تحياتى إلى أسرتك الكبيرة .

مطَّ السائق شفتيه ، وانطلق بالسيارة مبتعدًا ، دون أن ينبس ببنت شفه ، فى حين حمل ( أدهم ) حقيبته ، واتجه إلى موظف الاستقبال بالفندق ، وقال باللغة الانجليزية :

ـــ اسمى ( أدهم صبرى ) .. وأنا صحفى بجريدة ( أخبار اليوم ) ، وهناك حجرة محجوزة باسمى ، و...

قاطعه صوت حاسم ، يقول بالعربية :

ـــ أنت كاذب .

التفت فى هدوء إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره عليها لأوَّل مرة .. على ( فدوى ) .

★ ★ ★

بدا الضيق على وجه ( منى ) ، عندما بلغ ( قدرى ) هذا الجزء من الرواية ، وأطلَّت الغيرة من عينيها واضحة ، فابتسم ( قدرى ) فى خبث ، وتوقَّف عن رواية الأحداث ، ليمنحها لحظات من الصمت والتفكير ، قبل أن تسأله ، محاولة التظاهر باللامبالاة :

ـــ أهى جميلة ؟

سألها فى مكر :

ـــ من ؟

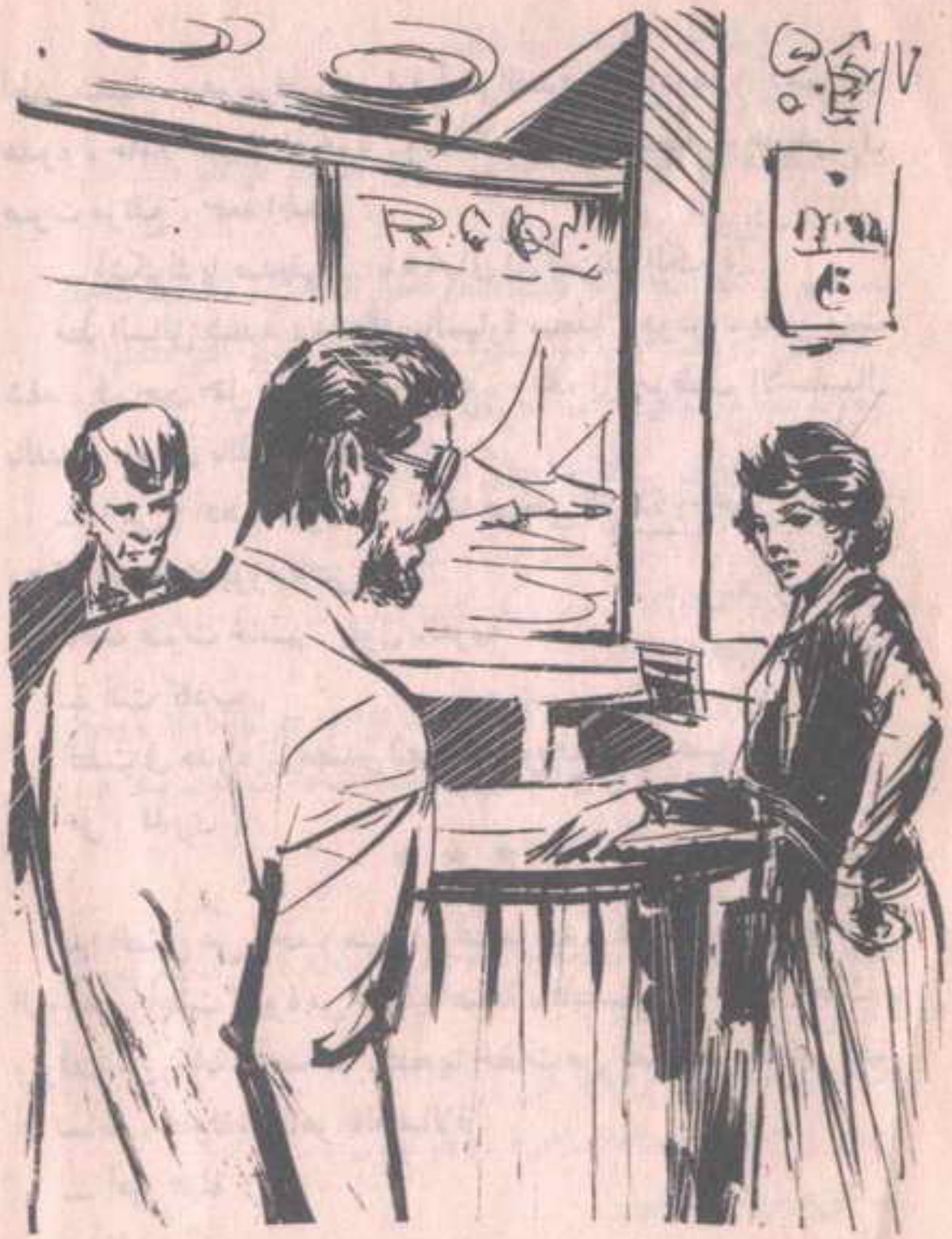

التفت فى هدوء إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره عليها لأوّل مرة .. على ( فدوى ) .

هتفت فى عصبية :

( فدوى ) .. ألسنا نتحدث عنها ؟

تراجع فى مقعده ، وصنع من سبّابته وإبهامه حلقة أمام وجهه ، وهو يلوّح بأصابعه الثلاثة الأخرى ، قائلًا :

ــ بل فاتنة .

تضاعف الضيق والغيرة فى ملامحها ، وهى تقول :

ــ إلى هذا الحد .

ابتسم قائلًا :

ــ لقد اعتدنا الدقة فى عالم المخابرات .. أليس كذلك ؟ .. لقد كانت ( فدوى ) جميلة الملامح ، كستنائية الشعر ، تجمع عيناها بين زرقة البحر ، وصفاء سماء الصيف ، لها أنف دقيق جميل ، وفم أشبه بفاكهة ناضجة ، وعنق طويل كالمرمر ، و...

قاطعته فى عصبية :

ــ هل سنقضى الوقت فى التغزّل فى جمالها وفتنتها ؟

ضحك قائلًا :

ــ لن نفعل هذا بالطبع .

قالت فى حدة :

ــ حسنًا .. أخبرنى لماذا اتهمت ( أدهم ) بالكذب ؟

قال فى اهتمام :

ــ كان لديها سبب قوى .

غلبها فضولها ، وهى تسأله :

ــ ماهو ؟

اعتدل ، وراح يواصل القصة ..

ويروى ..

★ ★ ★

تطلّع ( أدهم ) فى هدوء إلى وجه ( فدوى ) ، قبل أن يسألها دون انفعال :

ــ لماذا تتهمينى بالكذب يا سيِّدتى ؟

أجابته فى خفة مدهشة :

ــ إننى أفضل لقب آنسة ؛ فأنا لم أتزوّج بعد ، أما عن جواب سؤالك ، فهو أننى أعلم تمامًا أنك لست صحفيًا بجريدة ( أخبار اليوم ) .

ثم مالت نحوه ، مستطردة فى مرح :

ــ لأننى أنا صحفية فى هذه الجريدة .

قالتها وتراجعت مبتسمة فى زهو ، شأن من كشف أمر شخص ما ، فى حين حافظ ( أدهم ) على هدوئه ، وهو يضع على شفتيه ابتسامة باردة ، قائلًا :

ــ عجبًا !.. كيف لم نلتق هناك إذن ؟

أدهشتها جرأته ، فهتفت :

ــ لا تواصل كذبك ، وإلا ..

حمل صوته بغتة صرامة مدهشة ، وهو يقول بلهجة آمرة :

ــ اصمتى

وعلى الرغم من روح العناد والتحدّى ، التى اشتهرت بها ( فدوى ) ، فى أروقة الجريدة ، التى تعمل بها ..

وعلى الرغم من اعتدادها الشديد بشخصيتها وكرامتها ، إلا أن شيئًا ما فى لهجة ( أدهم ) ، وفى نظرة عينيه الصارمة ، جعل الكلمات تتجمّد على شفتيها ، والدماء تتوقّف فى عروقها ، وهو يستطرد بنفس اللهجة :



ــ من حسن حظك أن موظف الاستقبال هذا لا يجيد العربية ، وإلا اضطررت لانتزاع لسانك من حلقك .. لا تنطقى بحرف واحد ، حتى انتهى من حديثى معه .. أفهمت ؟

أرادت أن تستنكر وتعترض على أسلوبه فى مخاطبتها ، إلا أنها فوجئت برأسها يومىء إيجابًا ، وبلسانها ينكمش مرتجفًا فى حلقها ، فى حين واصل هو حديثه مع موظف الاستقبال فى هدوء عجيب ، حتى حصل على مفتاح حجرته ، فالتفت إليها ، وقال فى صرامة ..

ــ اتبعينى .

أرادت أن تعترض هذه المرة أيضًا ، ولكن لهجته بدت لها أشبه بالسحر ، حتى أنها لم تملك سوى طاعته ، فتبعته فى استسلام إلى استراحة الفندق ..

وفى حذر شديد ، تابعهما موظف الاستقبال ببصره ، وهما يتعدان ، ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وأدار القرص فى سرعة ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، حتى قال فى خفوت :

ــ مساء الخير يا سيِّد ( جولدمان ) .. إنه أنا .. ( يورغو ) .. أظننى قد تعرّفت رجل المخابرات المصرى ، الذى أرسلوه بشأن الباخرة .. نعم .. إنه يقيم هنا ..فى الفندق .

وألقى نظرة أخرى على ( أدهم ) ، الذى اتخذ مقعدًا يجاور مقعد ( فدوى ) ، فى ركن بعيد من أركان استراحة الفندق ، واستطرد :

ــ نعم يا سيِّد ( جولدمان ) .. لقد وقع الصيد فى الفخ ، وحانت لحظة ذبحه .

وضاقت الحلقة أكثر ..

★ ★ ★

# ٤ ــ الحصار ..

أشعل سير ( مايكل أوليفر ) ، نائب رئيس المخابرات البريطانية غليونه ، ونفث دخانه فى بطء وبرود ، وهو يقف فى شرفة فيلا صغيرة ، تطلّ على شاطىء البحر فى ( اليونان ) ، وقال للشاب الواقف إلى جواره ، دون أن يلتفت إليه :

ــ لقد وصل رجل المخابرات المصرى يا ( آرثر ) .

قال الشاب فى اهتمام :

ــ وصل ؟! .. حقًا يا سيِّدى ، أين يقيم ؟ وأى اسم يحمل ؟

التقط سير ( مايكل ) نفسًا عميقًا من غليونه ، ونفثه فى بطء ، قبل أن يجيب ..

ــ إنه يقيم فى فندق ( كوستا ) ، تحت اسم ( أدهم صبرى ) ، وهذا ليس اسمه الحقيقى بالطبع .

قال ( آرثر ) :

ــ بالطبع .. ما من رجل مخابرات يستخدم اسمه الحقيقى ، فى عملية كهذه .

ثم تطلّع إلى رئيسه فى إعجاب ، وهو يستطرد :

ــ ولكن كيف بلغتك هذه المعلومات يا سيِّدى ؟

ابتسم سير ( مايكل ) فى زهو ، وهو ينفث دخان غليونه ، قائلًا :

ــ إنها دائرة شديدة التعقيد يا ( آرثر ) ، لم يستطع أساتذتك ، فى مدرسة المخابرات الملكية شرحها لك ؛ لأنها تفوق إدراكهم حتمًا ، ولكن



خبرتى الطويلة فى عالم المخابرات ، منذ الحرب العالمية الثانية ، يجعلنى أفوقهم حتمًا فى هذا المجال .

قال ( آرثر ) مبهورًا :

ــ بالطبع يا سيِّدى .. بالطبع .

أومأ سير ( مايكل ) برأسه فخورًا ، وتابع ..

ــ لقد غرس الاسرائيليون أحد رجالهم ، فى جهاز المخابرات المصرى ، وهذا الرجل أبلغهم أن المصريين قد أرسلوا أحد رجالهم إلى هنا ، ليلتقط شيئًا ما ، من قلب الباخرة الغارقة ، وعندما تلقى الإسرائيليون هذا الخبر أسرع أحد العملاء السوفيت ، فى قلب ( الموساد ) ، ينقله إلى ( موسكو ) ، التى أبلغته بدورها إلى عميليها هنا ( نوفا ) و ( شيلنكو ) ، اللذين أبلغا رجالهما بالطبع ، ولأن لنا عميلًا مخلصًا ، وسط صفوف السوفيت ، فقد نقل إلينا عميلنا الخبر بدوره ، وبعدها وصل رجل المخابرات المصرى إلى ( أثينا ) ، وتعرّفه أحد رجال ( الموساد ) ، فأبلغ قائده ( جولدمان ) ، الذى أبلغ رجاله بالطبع ، فنقل إلىَّ أحدهم الخبر .

ارتفع حاجبا ( آرثر ) ، وهو يهتف مبهورًا مشدوهًا :

ــ يالها من دائرة شديدة التعقيد بالفعل !!

ابتسم سير ( مايكل ) ، وهو يقول فى خيلاء :

ــ ألم أقل لك ؟

سأله ( آرثر ) فى لهفة :

ــ وما الذى ينبغى علينا فعله ، مع ذلك العميل المصرى يا سيِّدى ؟

أجابه سير ( مايكل ) ، وهو ينفث دخان سيجارته فى هدوء :

ـ لا شيء .

عقد ( آرثر ) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :

ـ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟

أجابه سير ( مايكل ) ، بابتسامة خبيثة :

ـ أعنى ما سمعته بالضبط يا عزيزى ( آرثر ) .. إننا لن نفعل شيئًا .. بل سنترك رجل المخابرات المصرى يبذل أقصى طاقاته ، حتى يستعيد الصور والوثائق ، وبعدها يأتى دورنا .

تهللت أسارير ( آرثر ) ، وقال :

ـ فهمت يا سيِّدى .

كان شديد الزهو والإعجاب برئيسه ، الذى بدا له أشبه بثعلب ماكر ، بشاربه الأحمر الكث ، المفتول على الطريقة القديمة ، وأسنانه الكبيرة البيضاء ، وذلك الشعر الكثيف ، الذى يحيط بأنفه ، ثم لم يلبث أن تذكَّر أمرًا آخر ، فسأل رئيسه فى اهتمام :

ـ ومتى فى رأيك يبدأ المصرى عمله يا سيِّدى ؟

مطَّ سير ( مايكل ) شفتيه فى برود ، ونفث دخان غليونه فى عمق ، قبل أن يقول فى حسم :

ـ الليلة .

وكان على حق ..

★ ★ ★

أطاعت ( فدوى ) ( أدهم ) ، وجلست على المقعد المجاور له ، فى استراحة الفندق ، وتطلَّعت فى صمت إلى ملامحه الوسيمة ، وبدا لها شاربه



كثًا أكثر مما ينبغى ، وخيَّل إليها أنه سيبدو أكثر وسامة ، دون هذا الشارب ، ثم لم تلبث طاقة العناد فى أعماقها أن تفجَّرت ، فقالت فى حدة :

ـ هأنذا قد تبعتك إلى هنا ، والآن ماذا لديك ، لتبرِّر به موقفك ؟

قال ( أدهم ) فى هدوء :

ـ ولماذا أحاول تبرير موقفى ؟. إننى بالفعل صحفى فى ( أخبار اليوم ) .

مالت نحوه فى حركة حادة ، وقالت :

ـ كاذب .. سأكرِّر هذا القول ألف مرة ، لو اقتضى الأمر ، فأنا أعرف كل محرِّر فى أخبار اليوم ، من الأستاذ ( مصطفى أمين ) نفسه ، حتى أصغر محرِّر تحت التمرين ، فى قسم الإعلانات المبوَّبة .

كان من الواضح أنه يواجه فتاة ذكية وعنيدة ؛ لذا فقد بدا له أن محاولة خداعها مضيعة للوقت ، فمال نحوها بدوره ، وقال فى حسم ..

ـ حسنًا .. إننى أكذب .. لست محرِّرًا فى ( أخبار اليوم ) .

تراجعت هاتفة فى ظفر :

ـ أرأيت ؟.. لقد كنت على حق ، عندما ...

قاطعها فى صرامة :

ـ ولكن أحدًا غيرنا لن يعرف هذه الحقيقة .

مرة أخرى بدت لها لهجته حازمة حاسمة آمرة ، بأكثر مما يمكنها معارضته ، حتى أنها ، عندما أرادت أن تهتف به :

ـ ولماذا أفعل هذا ؟

وجدت نفسها تقول فى خنوع ، لم تعرفه فى نفسها قطّ :

ـ لماذا ؟

أجابها فى صرامة :

ـ لأن عملى يحتم انتحالى هذه الصفة .

ردَّدت فى حيرة :

ـ عملك ؟

ثم تطلَّعت إليه لحظات فى صمت وتساؤل ، وعقلها يعمل فى سرعة كعادتها ، بحثًا عن جواب شاف ، لهذا اللغز الجالس أمامها ، قبل أن تقول فى بطء ، وكأنها قرَّرت أن تمنحه حق مشاركتها تفكيرها :

ـ حسنًا .. دعنا ندرس الأمر فى هدوء وروية ، وسنتوصَّل حتمًا إلى الحقيقة .. لقد كان المفروض أن أعود إلى ( القاهرة ) اليوم ، ولكن الجريدة اتصلت بى هاتفيًا ، وطلبت منى البقاء ليوم إضافى ، لتغطية حادث غرق الباخرة المصرية ، وهذا هو الحادث الوحيد ، الذى أثار الانتباه هنا ، فى هذه الأيام .. هل أتيت أنت أيضًا بشأنه ؟

لم يجب ، وهو يتطلَّع إليها فى تكاسل عجيب ، ولكن تراخيه هذا لم يخدعها ، بل زادها حماسًا ، وجعلها تستطرد :

ـ نعم .. من المؤكَّد أنك هنا لهذا السبب ، فلقد أجريت حديثًا مع أحد خبراء السفن والبواخر هذا الصباح ، وأخبرنى أنه ليس من المنطقى أن تنفجر محركات باخرة ، بالقرب من الشاطىء ، لأنها فى كل الأحوال ، سواء أكانت مبحرة ، أو فى طريقها للرسوّ ، لا تستخدم محركاتها بكامل طاقتها ، فى هذه المرحلة ، وهذا يعنى أن حادث الباخرة مفتعل .. أليس كذلك ؟



اعترف فى قرارة نفسه بذكائها ، ولكنه لم يمنحها جوابًا ، وإن راح يتطلَّع إليها فى اهتمام واضح ، وهى تتابع :

ـ أستطيع أن أجزم بأن هذا هو سبب وجودك هنا بالفعل .. ولكن لماذا يهتم مصرى بهذا الأمر ، ما لم يكن أحد رجال الأمن ، أو..؟

صمتت لحظة ، وهى تتأمَّله فى اهتمام ، قبل أن تميل نحوه ، وتهمس فى أذنه :

ـ أو المخابرات .

كاد يهتف إعجابًا بذكائها ، وعقلها المنظَّم المنسّق ، إلا أن هذا لم يتجاوز أعماقه ، وظلَّ وجهه جامدًا ، وهو يقول :

ـ ياللخيال الجامح !

هتفت فى حماس ظافر :

ـ أراهنك أنه ليس كذلك .

ثم همست فى أذنه بلهفة :

ـ هل تعدنى بالحصول على القصة الكاملة ، بعد أن تنتهى مهمتك ؟

هزَّ كتفيه فى استهتار ، قائلًا :

ـ هذا لو كانت هناك مهمة بالفعل .

ضحكت فى جذل كالأطفال ، وقالت :

ـ هل تراهن ؟

نهض فى حسم ، وهو يقول :

ـ لا أيتها الصحفية النشطة .. لن أراهن .

وابتعد عنها فى خطوات سريعة حاسمة ، فتابعته ببصرها فى انبهار ،

وهتفت فى أعماقها :

فليكن أيها الوسيم .. من حقك ألا تراهن ، ولكن من حقى أيضًا أن أحصل على قصة جيِّدة .

وارتفع صوتها قليلًا ، وهى تضيف فى جذل :

ــ وفريدة .

★ ★ ★

أنهى موظف الاستقبال اليونانى ( يورغو ) عمله ، فى تمام العاشرة مساءً ، فأبدل ثيابه ، واتجه إلى سيارته الخاصة ، وهو يمنّى نفسه بنوم هادىء عميق ، بعد كل ما واجهه من متاعب هذا الصباح ، ولم يكد يلقى جسده على مقعد القيادة ، حتى هتف فى ارتياح :

ــ لا يوجد أفضل من البيت .

تجمَّدت الدماء فى عروقه بغتة ، عندما التصقت فوهة مسدس باردة بمؤخرة عنقه ، وسمع صوتًا أنثويا صارمًا ، يقول من المقعد الخلفى :

ــ هذا لو ذهبت إليه .

ارتجف ( يورغو ) من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يرفع يديه عن عجلة القيادة ، ويقول فى ذعر :

ــ لست أحمل مالًا يا سيِّدتى .. أقسم لك .

أجابه الصوت الأنثوى فى سخرية :

ــ مال ؟!.. أتظننى أسعى خلف مالك أيها الحقير ؟

قال وهو يقارب الانهيار :

ــ ما الذى تسعين إليه إذن ياسيِّدتى بالله عليك ؟



قبل أن يسمع منها جوابًا ، فوجىء برجل بالغ الوسامة ، أشيب الفودين ، يفتح باب سيارته الأخر فى هدوء ، ثم يجلس على المقعد المجاور له ، وهو يقول فى هدوء شديد :

ــ أبعدى فوهة مسدسك عن مؤخرة عنقه قليلًا يا عزيزتى ( مارى ) .. ألا ترين أنه يرتجف من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ؟

أطاعت ( مارى ) على الفور ، وأبعدت الفوهة الباردة القاتلة ، عن مؤخرة عنق ( يورغو ) ، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ نعم .. أرى ذلك يا سير ( ويلكوكس ) .

ضاعف هذا القول ارتجافة ( يورغو ) عشرات المرات ، وهو يهتف فى رعب :

ــ سير ( ويلكوكس ) ؟! .. الزعيم الأكبر ، لمنظمة الجاسوسية الحرة ؟!

ابتسم الوسيم ، الذى يبدو فى منتصف الأربعينيات من عمره ، وهو يقول :

ــ من حسن الحظ أنك تعرف شيئًا عن تاريخى يا فتى ، حتى لا نضيع الوقت فى تعارف ومجاملات سخيفة ، ولكن يبدو أنك لا تعرف صديقتى العزيزة ( مارى ) .. إنهم يطلقون عليها اسم ( مارى الدموية ) ، ليس لأنها تحمل على رأسها أجمل شعر أحمر رأيته فى حياتى ، ولا لأنها تعشق الشراب المعروف بهذا الاسم ( بلورى مارى ) ، بل لأن هوايتها المحبَّبة هى إراقة الدماء ، وإطلاق النار على الرءوس .

كاد ( يورغو ) يفقد وعيه من شدة الرعب ، وهو يقول :

ـــ ماذا تريد منى يا سير ( ويلكوكس ) ؟.. ماذا تريد منى بـالله عليك ؟

أشعل سير ( ويلكوكس ) سيجارًا كبيرًا فى بطء وهدوء ، ونفث دخانه فى عمق ، قبل أن يسأله :

ـــ أريد أن أعرف كل مالديك عن تلك الباخرة المصرية ، التى غرقت بالقرب من سواحل اليونان يا صديقى .

قال ( يورغو ) بصوت مرتجف :

ـــ لست أعلم شيئًا عنها يا سير ( ويلكوكس ) .. إنها مجرَّد ..

قبل أن يتمّ عبارته ، رفع سير ( ويلكوكس ) سبَّابته بإشارة خاصة إلى ( مارى ) ، وسمع ( يورغو ) من خلفه صوت رصاصة مكتومة ، تنطلق من مسدّس مزوَّد بكاتم للصوت ، وشعر بآلام رهيبة فى أذنه اليسرى ، ورأى بقعة دم كبيرة ترتطم بزجاج السيارة الأمامى ، ثم يتوسّطها ثقب مستدير ، وسقط شىء رطب دافىء لزج فى يده ، فصرخ :

ـــ أذنى .. لقد قطعت تلك اللعينة أذنى .

أوقفه سير ( ويلكوكس ) فى صرامة :

ـــ وستقطع أذنك الأخرى برصاصة ثانية ، لو واصلت الصراخ على هذا النحو ، وستعقبها بأنفك ، ثم عينك اليمنى ، ثم ..

هتف ( يورغو ) فى ارتياع :

ـــ لا ..لا يا سير ( ويلكوكس ) .. الرحمة !!.. لن يمكننى احتمال هذا .

نفث ( ويلكوكس ) دخان سيجاره ، وهو يقول :



ـــ أسرع بإلقاء مالديك على مسامعى إذن ، فعزيزتنا ( مارى ) تبتسم فى جذل وتتلذّذ ، ويبدو أنها تتمنى ألا تتعاون معنا ، حتى يمكنها ممارسة هوايتها معك .

هتف ( يورغو ) فى هلع :

ـــ لا .. لا .. سأخبرك بكل ما تريد يا سير ( ويلكوكس ) .. كل ماتريد .

بدت خيبة الأمل على وجه ( مارى ) ، فى حين ارتسمت على شفتى سير ( ويلكوكس ) ابتسامة ظافرة ، وهو يقول :

ـــ حسنًا يا فتى .. هيا .. قصّ علينا مالديك .

واندفع ( يورغو ) يروى له كل مالديه ..

وزاد عدد الجيوش المتصارعة ..

★ ★ ★

## ٥ ـ الأعماق ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية وعشر دقائق ، بعد منتصف الليل ، عندما أوقف ( أدهم ) تلك السيارة الصغيرة ، التى استأجرها من مكتب تابع للفندق ، أمام كابينة الشاطىء ، وهبط من السيارة فى هدوء ، وتلفّت حوله فى حذر ، قبل أن يتجه إلى الكابينة ، ويدس مفتاحها فى ثقب الباب ، ويديره ، ثم يدفع الباب ، ويدلف إلى الداخل فى خفة ..

كانت الكابينة بسيطة الأثاث ، تتكوّن من حجرة واحدة ، وردهة صغيرة ، وحمام ضيق ، وكانت حلة الغوص موضوعة فى عناية فوق الفراش ، وفوقها المصباح اليدوى الصغير ، وإلى جوارها حقيبة أدوات التكر ..

وفى هدوء ، أزاح ( أدهم ) ستارة النافذة ، وألقى نظرة على الشاطىء القريب ، وقدّر موضع غرق الباخرة ، ثم اتجه إلى الفراش ، ونزع ثيابه ، وراح يرتدى حلة الغوص فى مهارة واضحة ، تشفّ عن خبرة طويلة فى هذا المجال ، وبعدها انحنى يلتقط أسطوانتى الأكسوجين ، و ..

وفجأة تسمّرت يده فى مكانها ..

لقد التقطت أذنه الحسّاسة المدرّبة صوت خطوات تقترب فى حذر ..

وفى حركة حادة ، اعتدل ( أدهم ) ، وأرهف سمعه جيدًا ..

كان من الواضح أن صاحب الخطوات يسير على أطراف أصابعه ، ويبذل أقصى جهده لإخفاء صوت قدميه ، ولكن أذن ( أدهم ) ميّزت صوت الرمال ، التى تلتصق بقدمى القادم ، ثم تتساقط عنها فى إيقاع خافت بطىء ..



والتصق ( أدهم ) بالحائط الخشبى المجاور لباب الكابينة ، وسمع وقع الأقدام يقترب ، ويقترب ، فتحفّزت عضلاته لقتال عاجل ، خاصة عندما رأى مقبض الباب يتحرّك ، موحيًا بأن أحدهم يحاول فتحه من الخارج ..

ثم انفتح الباب ..

انفتح فى حذر شديد ، ورأى ( أدهم ) يدًا تمتد إلى الداخل ، و ...

وتحرّكت الأحداث بسرعة مذهلة بغتة ..

لم يكد ( أدهم ) يلمح تلك اليد ، حتى جذب الباب فى حركة سريعة ، وانقضت قبضته على معصم اليد ، وجذب صاحبها إلى الداخل ، ثم أشعل ضوء الكابينة فى حركة خاطفة ، امتزجت بشهقة أنثوية ، قبل أن يهتف هو فى مزيج من الغضب والدهشة الاستنكار :

ـ أنت ؟!

حدّقت ( فدوى ) فى وجهه ، وزى الغوص الذى يرتديه ، قبل أن تهتف فى ظفر :

ـ إنك ترتدى زى غوص !

دفع الباب يغلقه فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ما الذى أتى بك ؟ .. لماذا تبعتنى إلى هنا ؟

قالت فى عناد :

ـ اترك معصمى أوّلًا .

أفلت يدها فى حركة حادة ، وهو يقول :

ـ ألا تدركين ما تفعلينه ؟.. إنك تعرضين حياتك للخطر ، دون مبرّر .

قالت فى لهفة :

ـــ كنت أعلم أنك ستحاول بلوغ الباخرة الليلة ، فظللت مستيقظة عند نافذة حجرتى ، حتى رأيتك تستقل سيارة صغيرة ، بعد أن هدأ الليل ، وتنطلق بها نحو الشاطىء ، فتبعتك إلى هنا .

قال فى صرامة :

ـــ أنت كاذبة ، لو تبعتنى إلى هنا لكشفت أمرك على الفور .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـــ أعلم هذا .. لقد أدركت أنك محترف ، وستكشف أمرى ، لو تبعتك بصورة مباشرة ؛ لذا فقد بقيت فى حجرتى ، وتابعت ضوء مصابيح سيارتك ، ولم يكن ذلك عسيرًا ، فالفندق مقام على ربوة عالية كما تعلم ، ويمكنك من نافذة حجرتى رؤية الشاطىء كله ، وخاصة عندما تكون سيارتك هى الوحيدة ، التى تتحرك فى الطريق الموازى له .. ولقد انتظرت حتى توقفت سيارتك ، وراجعت خريطتى ، ثم استقللت سيارتى ، وتبعتك إلى هنا ، ولقد أوقفت سيارتى بعيدًا بالطبع ، حتى لا يبلغ صوت محركها سمعك .

أدهشه ذلك الأسلوب المنمق ، الذى اتبعته ، والذى يقارب أساليب المحترفين ، وسألها فى اهتمام :

ـــ ما حقيقة عملك يا آنسة ؟

قالت فى سرعة :

ـــ ( فدوى ) .. اسمى ( فدوى ) .. وأنت ( أدهم ) .. أليس كذلك ؟.. لقد حصلت على اسمك من سجل النزلاء بالفندق .



ثم مالت نحوه ، تسأله فى فضول :

ـــ أهو اسمك الحقيقى ؟

تجاهل سؤالها ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ لم تجيبى سؤالى بعد يا ( فدوى ) .

ابتسمت وهى تقول فى كلمات سريعة :

ـــ إننى صحفية فى ( أخبار اليوم ) ، كما سبق أن أخبرتك ، ومن المؤكد أنك قد قرأت أحد موضوعاتى ، واسمى بالكامل هو ( فدوى سليمان ) .. هل تذكر الاسم ؟

أجابها فى برود :

ـــ لا .

لم يبد عليها الاهتمام لجوابه ، وهى تتأمل حلة الغوص ، قائلة :

ـــ هل ستغوص خلف الباخرة الآن ؟ .. اصدقنى القول .. هل تشك السلطات المصرية فى أن الحادث متعمّد ؟ .. هل ..

أوقفها فى صرامة :

ـــ كفى يا آنسة ( فدوى ) .. لست نجمًا سينمائيًا ، لتحاصرينى بكل هذه الأسئلة .

مطّت شفتيها ، وقالت :

ـــ ومن قال إننى أهتمّ بنجوم السينما ؟

أمسك معصمها مرة أخرى ، بحركة مفاجئة ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ اسمعى يا آنسة ( فدوى ) .. لو أنك مصرية مخلصة لوطنك ، فاعلمى أنك بتدخلك هذا تفسدين مهمة بالغة الخطورة ، يتوقف عليها أمن وطنك كله .

حدّقت فى وجهه لحظات فى صمت ، ثم تمتمت :

ــ إنك رجل مخابرات .. كنت أعلم هذا .

ترك معصمها ، وهو يشير إلى أقرب مقعد إليه ، قائلًا فى حزم :

ــ ستجلسين هنا صامتة ، دون العبث بأى شىء ، حتى أنتهى من مهمتى ، وأعود إلى الكابينة ، وبعدها سنناقش أمر أسلوبك السخيف هذا .

والتقط أسطوانتى الأكسوجين ، مضيفًا فى صرامة :

ــ رسميًا .

ابتسمت فى ابتهاج ، كما لو كانت طفلة صغيرة ، تشاهد فيلمًا سينمائيًا مثيرًا ، وأسرعت تجلس على طرف الفراش ، قائلة :

ــ كما تأمر .

رأته يتجه إلى الباب ، فأضافت :

ــ أتعلم أنك أكثر وسامة ، من دون المنظار .

تجاهل قولها تمامًا ، وهو يفتح الباب ، ولكنها هتفت فى لهفة :

ــ أستاذ ( أدهم ) .. لحظة من فضلك .

التفت إليها مستفسرًا ، فسألته فى اهتمام بالغ :

ــ أهذا الشارب مستعار ؟

حدّق فى وجهها لحظة فى دهشة ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا فى سخط :

ــ يا للنساء !

وصفق الباب خلفه فى عنف ..

★ ★ ★



أبعد ( زاج ) المنظار المقرّب ، المجهّز للرؤية الليلية عن عينيه ، والتقط جهازًا لاسلكيًا صغيرًا من جيبه ، ضغط زر الاتصال فيه ، وهو يقول :

ــ لقد غطس أيها الرفيق ( نوفا ) .

أتاه صوت ( نوفا ) الشقراء ، عبر جهاز اللاسلكى ، وهى تقول فى انفعال :

ــ كنت أتوقّع هذا .

ثم استطردت فى حزم :

ــ راقبه جيدًا يا ( زاج ) ، وأخبرنى فور عودته .. هل تفهم ؟

قال فى لهجة تشفّ عن عميق خوفه منها ، واحترامه لها :

ــ سأفعل ما تأمرين به ، أيتها الرفيق القائد .

وأنهى الاتصال بضغطة زر أخرى ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى سمع من خلفه صوتًا أنثويًا ساخرًا ، يقول :

ــ جميل منك أن أنهيت الاتصال .

قفزت يده فى سرعة إلى مسدّسه ، وهو يلتفت إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على شعر أحمر نارى ، يتألق كاللهب ، بأضواء الميناء القريب ، المنعكسة على صاحبته ، التى ترفع بقبضتها مسدسًا كبيرًا ، مزوّدًا بكاتم للصوت ، وهى تبتسم ابتسامة أقرب إلى الجذل ..

وأراد ( زاج ) أن يطلق النيران ، ويخمد تلك الابتسامة ، على الشفاة الغليظة ..

ولكن ( مارى ) أطلقت النار أوّلًا ..

بفارق ثانية واحدة ..

وتناثرت الدماء على وجهها الجميل ، مع اختراق الرصاصة لجمجمة ( زاج ) ، الذى هوى على الأرض كالحجر ، فالتقطت منديلها فى حركة

أنيقة ، ومسحت به الدماء عن وجهها ، ثم ألقت المنديل على رأس ( زاج ) ، وهى تبتسم فى سخرية ، فى حين ظهر سير ( ويلكوكس ) من خلفها ، وهو يمطّ شفتيه ، قائلًا :

ــ يا للشيطان ! .. إنك تعشقين رؤية الدماء بالفعل يا عزيزتى ( مارى ) .

قالها دون أدنى انفعال ، ثم انحنى يلتقط المنظار ، ويمسح الدماء المتناثرة عليه فى أناقة ، قبل أن يبتسم قائلًا :

ــ ألا يبدو لك المشهد مكرّرًا يا عزيزتى ( مارى ) ؟ .. ها نحن أولاء نفعل ما نفعله فى كل مرة .

ورفع المنظار إلى عينيه ، مستطردًا فى هدوء مخيف :

ــ الانتظار ..

★ ★ ★

كان الماء باردًا ، مظلمًا ، وعميقًا ، ولكن كل هذا لم يرهب ( أدهم ) ، الذى اعتاد الغوص إلى الأعماق ، منذ نعومة أظفاره ، ولقد غاص إلى عمق أربعة أمتار فى الظلام ، قبل أن يشعل مصباحه اليدوى ، حتى لا ينعكس ضوء المصباح على سطح الماء ، فيكشف عمله ..

وبعد ثلاثة أمتار أخرى ، كشف ضوء المصباح مدخنة الباخرة الضخمة ..

وفى حركة انسيابية ناعمة ، واصل ( أدهم ) غوصه ، ودلف إلى قرار الباخرة ، عبر أحد النوافذ المستديرة ، وراح يشقّ طريقه ، وسط الممرات المغمورة بالماء ، دون توقّف أو تردد ؛ لأنه يعلم هدفه جيدًا ..

وأخيرًا بلغ ( أدهم ) حجرة الطعام بالباخرة ، وأرشده مصباحه إلى بار صغير فى ركنها ، اتجه إليه مباشرة ، ثم استقرّ إلى جواره ، وراح يفحص



جداره الخشبى فى اهتمام خاص ، حتى عثرت أصابعه على دائرة خشبية منتظمة ، تبدو للناظرين كجزء من النقوش الأنيقة ، التى تزين حافة البار . إلا أن هذه الدائرة بالذات استجابت لحركة أصابعه ، وهو يديرها فى حذر عدة مرات ، ثم يجذبها إلى الخارج فى رفق ..

ولم يكد يفعل ، حتى انزاح ركن من البار الخشبى ، كاشفًا فجوة متوسطة الحجم ، استقرّ داخلها الصندوق ..

الصندوق الأسود ..

وفى حرص ، التقط ( أدهم ) الصندوق ، وحمله من مقبضه المعدنى فى إحكام ، ثم سبح مغادرًا الباخرة الغارقة ، بنفس الوسيلة التى دخلها بها ..

عبر الممرات نفسها فى نعومة ، ثم ارتفع يعبر كوة مستديرة ، دفعته خارج الباخرة ..

وفجأة وقع ضوء المصباح على شىء ، لم يتوقّع ( أدهم ) رؤيته ، فى هذا الوقت ، وذلك المكان ..

على وجه ..

وجه بشرى ، لرجل يرتدى ثياب الغوص ..

وفى اللحظة نفسها ، أحاطت ذراع قوية بعنق ( أدهم ) من الخلف ، وانخفض ضوء مصباحه بحركة حادة ، فانعكس فوق بندقية صيد مائية ، ذات رمح حاد طويل ، يمسك بها الرجل الذى يواجهه ..

ومع سقوط الضوء على البندقية المائية ضغط الرجل الزناد ..

وانطلق الرمح القاتل ..

واتجه نحو صدر ( أدهم ) ..

مباشرة .

★ ★ ★

وفى حرص ، التقط ( أدهم ) الصندوق ، وحمله من مقبضه المعدنى فى إحكام ، ثم سبح مغـادرًا الباخرة الغارقة ..

# ٦ ــ من كل صـوب ..

أدارت ( فدوى ) عينيها فى أرجاء الكابينة الصغيرة فى اهتمام ، حتى توقَّف بصرها عند الحقيبة الصغيرة ، المجاورة للفراش ، فتطلَّعت إليها فى فضول ، وهى تغمغم :

ــ أراهن أن هذه الحقيبة الصغيرة تحوى متحفًا حربيًا كاملًا .

لم تستطع مقاومة فضولها ..

بل إنها حتى لم تحاول ..

لقد نهضت إلى الحقيبة على الفور ، ورفعتها فوق الفراش ، وهى تتابع :

ــ عجبًا !! .. إنها أخفّ وزنًا مما كنت أتوقّع بكثير .

فتحت قفليها بحركة واحدة سريعة ، ولم تكد تفتحها حتى انعقد حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

ــ ما هذا ؟

قلّبت مجموعة الألوان والدهانات داخل الحقيبة فى حذر ، ورفعت زجاجة مملوءة بسائل وردى باهت إلى أعلى ، وراحت تتطلّع إلى محتوياتها فى فضول ، قبل أن تقول لنفسها فى حيرة :

ــ ماذا يفعل ضابط مخابرات مثله ، بهذه المساحيق العجيبة ؟

ارتفع من خلفها صوت خشن ، يقول بلهجة تجمع ما بين السخرية والصرامة :

ــ يقاتل بها .

انتفض جسدها فى قوة ، وسقطت الزجاجة من يدها فوق الفراش ،

وهى تلتفت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم لم تلبث أن أطلقت شهقة قوية ، عندما وقع بصرها على رجل قصير القامة ، أصلع الرأس ، له لحية قصيرة وشارب كثّ ، ويرتدى حلّة أنيقة ، ورباط عنق غالى الثمن ..

والأهم أنه كان يصوّب إليها مسدسًا ضخمًا ، بدا شديد التناقض مع قامته القصيرة ، وهو يتابع :

ــ هل أفزعتك ؟

قالت فى توتّر :

ــ نعم .

فوجئت به يبتسم فى جذل ، قائلًا :

ــ هذا يسعدنى .

ثم تلاشت ابتسامته بغتة ، وانقلبت لهجته إلى الصرامة ، وهو يستطرد :

ــ ويؤسفنى أنك ستضطرين لاحتمال ضيافتى ، حتى يعود ( أرينز ) بالوثائق .

غلبها فضولها الصحفى ، وهى تقول :

ــ من ( أرينز ) هذا ؟

عادت الابتسامة إلى شفتيه ، وهو يجيبها :

ــ إنه مساعدى يا سيّدتى .. معذرة .. نسيت تقديم نفسى إليك .. أنا الكولونيل ( جولدمان ) .. أحد كبار ضباط ( الموساد ) .

شهقت فى فزع :

ــ ( الموساد ) ؟!.. أتقصد جهاز المخابرات الإسرائيلى ...



قاطعها مبتسمًا :

ــ تمامًا يا عزيزتى .. نفس جهاز المخابرات ، الذى يحمل إلى جهاز المخابرات المصرى ، الذى تنتمين إليه ، هزيمة جديدة .

قالت فى عصبية :

ــ لست أنتمى إلى جهاز المخابرات المصرى .. إننى صحفية بجريدة أخبار الـ ...

قاطعها فى صرامة هذه المرة :

ــ لا داعى لإضاعة الوقت فى هذه التفاهات يا عزيزتى ؛ فنحن هنا لانتظار عودة ( أرينز ) ، بعد أن يقتل زميلك ، ويستولى على الوثائق ، وبعدها سأنهى العملية بنفسى .

غمغمت فى رعب :

ــ أية عملية ؟

اتسعت ابتسامته المخيفة ، وهو يقول :

ــ قتلك يا عزيزتى .

وهوى قلبها بين ضلوعها ..

★ ★ ★

لم يكن ( أدهم صبرى ) قد تجاوز السادسة من عمره بعد ، عندما بدأ والده ــ رحمه الله ــ تدريبه على الغوص فى الأعماق ، ولقد استوعب مهارات تلك الرياضة فى سرعة ، وإن أصابه الملل ــ آنذاك ــ من إصرار والده على تدريب رئتيه ، على احتمال البقاء تحت سطح الماء ، لأطول فترة ممكنة ، دون قناع الأكسوجين ، وشغف ــ فى الوقت ذاته ــ بذلك

التدريب الخاص بسرعة الحركة ، والقتال فى الأعماق ..

وعندما بلغ ( أدهم ) العاشرة من عمره ، كان قد اعتاد هذه التدريبات ، وبلغ فى أدائها مهارة مذهلة ، بالنسبة لصبى فى عمره ..

و كانت هذه واحدة من المرات القليلة ، التى أتيحت فيها الفرصة لـ ( أدهم ) ، لاختبار مهاراته فى هذا الشأن ..

لقد رأى الرمح القاتل مصوّبًا إلى صدره ، وصاحبه يضغط الزناد ، فى الوقت الذى تحيط فيه ذراع قوية بعنقه ..

ورأى الرمح ينطلق ..

رأه فى نفس اللحظة ، التى بدأ فيها قتاله ..

لقد انحنى إلى الأمام ، ومدّ يده خلف ظهره ، وأمسك بها منظم أسطوانه الأكسوجين ، التى يرتديها خصمه خلف ظهره ، وجذبها فى قوة ، وهو يدور حول نفسه دورة رأسية أمامية ..

وفى اللحظة التى بلغ فيها الرمح هدفه ، كان الهدف قد انعكس تمامًا ، وأصبح ظهر الخصم الآخر ، هو الذى يواجه رمح زميله ..

وأصاب الرمح واحدة من اسطوانتى الأكسوجين ، اللتين يرتديهما الخصم الآخر ، وانطلق منها الأكسوجين فى قوة وعنف ، بحيث أصبحت أشبه بمحرك نفاث ، دفع جسد الرجل ، الذى ظل متشبثًا بعنق ( أدهم ) ، نحو جسم الباخرة ، وهو يجرّ ( أدهم ) خلفه ..

وارتطم الجسدان بجسم الباخرة فى عنف ..

كانت الصدمة من القوة ، بحيث أدارت رأس ( أدهم ) ، وأطاحت بخصمه عشرة أمتار بعيدًا عنه ، قبل أن يفرغ انطلاق الأكسوجين المضغوط



من اسطوانته ، ويسبح جسده بلا هدف ..

واستلّ الرجل الآخر خنجره ، وانقضّ به على ( أدهم ) ، وهو يغمر وجهه بضوء مصباحه القوى ..

وعلى الرغم من الدوار العنيف ، الذى يشعر به ( أدهم ) ، تحرّكت يده فى سرعة ، تمسك معصم خصمه ، وتلويه فى قوّة ، لتسقط خنجره ، ولكن الرجل أحكم قبضته على خنجره فى استماته ، ودفع ( أدهم ) إلى الخلف فى قوّة ..

وفى نفس اللحظة ، كان الرجل الآخر قد استعاد توازنه ، وانقضّ على قدمى ( أدهم ) بدوره ..

وراح ( أدهم ) يقاتل ، بكل ما يملك من قوة ، وهو يحيط مقبض الصندوق الأسود بقبضته اليسرى فى قوة ..

ودفع ( أدهم ) خصمه السفلى بقدميه ، ثم ضرب وجه الثانى بالصندوق المعدنى ، وتراجع ليوجّه ضربة أخرى إليهما ..

ولكن فجأة ، أمسك شىء ما أسطوانة الأكسوجين ، المثبتة خلف ظهره فى قوّة ..

وانقضّ الرجلان ، وقد أيقنا من وقوع ( أدهم ) فى أيديهما ، بعد أن علقت اسطوانته فى قائم معدنى ، من قوائم الباخرة الغارقة ..

وبضربة عنيفة ، أصاب أحدهما يد ( أدهم ) اليسرى بخنجره ، فى حين جذب الثانى الصندوق الأسود من يده بكل قواه ..

وعلى الرغم منه ، أفلت ( أدهم ) الصندوق ، وتراجع بيده ، التى تفجرّت فيها الدماء غزيرة ..

وتراجع الرجلان فى ظفر ، ثم اندفعا مرة أخرى نحو ( أدهم ) ، الذى يقاتل لتخليص اسطوانة الأكسجين من القائم المعدنى ، ولكنه لم يكد يرى اندفاعتهما نحوه ، حتى استعدّ للذود عن حياته ، ولكن الرجلين تجاهلاه تمامًا ، وتعاونا على تثبيت جسم معدنى صغير ، بجوار الباخرة المجاور له ، ثم التفت أحدهما إليه ..

وعلى ضوء المصباح الخافت ، رأى ( أدهم ) عينى الرجل ، وهما تتطلعان إليه فى سخرية وشماتة ...

ثم رأى يد الرجل ترتفع بالخنجر ..

وتهوى ..

لم تهو على عنقه ، كما توقّع ، وإنما هوت على الخرطوم المطّاطى ، الذى ينقل الأكسوجين من الأسطوانة إلى فم ( أدهم ) ..

ومزق الخنجر خرطوم الأكسوجين ..

وتضاعفت النظرة الشامتة الساخرة فى عينى الرجل ، وهو يشير إلى زميله ، قبل أن يبتعد الاثنان فى سرعة ، ويبتلعهما الظلام ..

وعلى الرغم من ذلك الظلام الدامس ، التقطت عينا ( أدهم ) أرقام الساعة المضيئة ، المتصلة بذلك الجسم المعدنى الصغير ، الذى ثبته خصماه على جدار الباخرة الغارقة ..

وأدرك ، وهو يفقد آخر فقاقيع الأكسوجين ، طبيعة ذلك الجسم المعدنى ..

لقد كان قنبلة ..

قنبلة زمنية ، تشير أرقامها إلى أن كل الوقت المتبقى أمامه لايزيد عن



نصف الدقيقة ، وبعدها يحدث الانفجار ..

الانفجار القاتل ..

★ ★ ★

تحرّكت ( نوفا ) فى حجرتها بعصبية واضحة ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، وتلوّح بكفها ، قائلة لـ ( شيلنكو ) :

ــ ما الذى أصاب ذلك الغبى ( زاج ) ؟ .. إنه لم يرسل رسالة واحدة ، منذ نصف الساعة .. هل استسلم للنوم ؟

بدا القلق على وجه ( شيلنكو ) ، وهو يتطلّع إلى ساعته ، قائلًا :

ــ هذا لو أنه على قيد الحياة

توقّفت ( نوفا ) بحركة مباغتة ، وهى تقول فى حدّة :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابها ، وهو يلتقط جهاز الاتصال اللاسلكى :

ــ أعنى أننا لسنا وحدنا ، فى لعبة صيد الأسماك الثمينة هذه ، أيتها الرفيق ( نوفا ) ، ولن يدهشنى أن يكون هناك فريق آخر ، قد سبقنا إلى هناك ، وأزاح ( زاج ) عن طريقة إلى الأبد .

انعقد حاجباها الجميلين فى صرامة ، وهى تقول :

ــ لو حدث هذا ..

لم تتم عبارتها ، ربما لأنها لم تجد ما تتمها به ، فلاذت بالصمت فى توتّر بالغ ، واقتربت من ( شيلنكو ) ، الذى ضغط زر الاتصال ، وهو يقول :

ــ هنا الطائر الأحمر ، يتحدّث إلى العين النارية .. أجب أيها العين النارية .. هل تسمعنى ؟.. هل تسمعنى يا رجل ؟

لم يتلق الجهاز سوى صمت مطبق ، فكرَّر ( شيلنكو ) النداء فى عصبية ، ثم ألقى جهاز الاتصال اللاسلكى فى عنف ، وصاح :

ـــ يبدو إننى على حق .

تفجَّر غضب هائل فى وجه ( نوفا ) وعينيها ، واستدارت تلتقط مسدسها فى حدة ، وجذبت مشطه فى قوة ، وتركته يرتد بصوت معدنى رنَّان ، ثم دسته فى حزامها ، هاتفة :

ـــ وماذا نفعل هنا ؟

اندفع ( شيلنكو ) خلفها ، وهو يهتف :

ـــ نعم .. ماذا نفعل هنا ؟

وكان من الواضح أنهما سينطلقان على الفور إلى ساحة المعركة .. وسيحتدم القتال ..

★ ★ ★

جلست ( فدوى ) متوتِّرة ، تقاوم قيودها فى عصبية ، وهى تتطلَّع إلى فوهة مسدس ( جولدمان ) ، المصوَّبة إليها ، فى حين بدا هذا الأخير قلقًا ، يتطلَّع إلى ساعته كل لحظة ، مما جعل ( فدوى ) تزدرد لعابها ، فى محاولة للتغلَّب على توتُّرها ؛ قبل أن تقول :

ـــ هل تأخر رجالك ؟

أجابها فى خشونة :

ـــ لم يكن هناك وقت محدود للعملية ، فلن يبدأ عملهم ، قبل أن يحصل زميلك على الوثائق .

قالت فى قلق :



ـــ أما زلت تصرّ على أنه زميلى ؟ .. قلت لك ألف مرة أننى لا أعمل فى المخابرات المصرية .

قال فى غلظة :

ـــ لا فارق .

ثم لوَّح بمسدسه فى وجهها ، مستطردًا :

ـــ نهايتك واحدة فى كل الأحوال .

خفق قلبها فى رعب ، وقالت :

ـــ لماذا ؟ .. لا شأن لى بكل هذا .. إننى مجرَّد ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، دوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، أشبه بقرع طبلة ضخمة ، من أعماق بئر سحيقة .. وارتفعت موجة عالية من قلب البحر ، على مسافة ثلاثمائة متر من الشاطىء ، ثم انقضت مرة أخرى على البحر ، وتناثر زبدها إلى مسافة طويلة ، واندفع أمامها ، وهى تشقّ طريقها إلى الشاطىء ، ثم ترتطم بالرمال ، وتذوب فوقها فى هدوء ، وتنحسر صامتة ..

وبكل الظفر والحماس ، هتف ( جولدمان ) :

ـــ لقد نجحوا .. نجح الرجال فى مهمتهم .

واستدار إلى ( فدوى ) ، مستطردًا فى انفعال :

ـــ هل تعلمين ما الذى يعنيه هذا ؟ .. لقد كان الانفجار آخر خطوة فى خطتنا ، وبلوغ الخطوة الأخيرة يعنى حتمًا نجاح كل الخطوات السابقة لها .. أى أن رجالنا قد حصلوا على الوثائق ، وقتلوا زميلك .. إنه نجاح كامل .. نجاح رائع .

اتسعت عينا ( فدوى ) فى ذهول ، وارتجف قلبها بين ضلوعها فى قوة ..
صحيح أنه لم تمض بعد ليلة واحدة ، على لقائها مع ( أدهم ) ، ولكنها لم تحتمل فكرة فقده ، على هذا النحو ..
ومن أعماقها تجمَّعت دمعة كبيرة ، وجدت طريقها فى سرعة إلى عينيها ، وتفجَّرت ساخنة غزيرة ..
وفى سخرية وشماتة ، رفع ( جولدمان ) مسدسه نحو رأسها ، وقال :
ــ ابكى يا عزيزتى .. أحب أن أرى دموع ضحاياى ، قبل أن تخترق رصاصاتى رءوسهم .
وجذب إبرة مسدسه ، وهو يستطرد :
ــ هيا .. قولى وداعًا لكل طموحاتك .
وانهار الأمل فى أعماقها ..
انهار تمامًا .

★ ★ ★



# ٧ ــ كل القـوى ..

تطلَّع رجل المخابرات البريطانية ( آرثر ) نحو البحر ، بمنظاره المقرَّب ، وقال لسير ( مايكل أوليفر ) ، الجالس إلى جواره ، يدخن غليونه فى هدوء :
ــ لقد كنت على حق يا سيِّدى .. هناك زورق بخارى يتجه إلى الشاطىء .. من الواضح أن رجال ( الموساد ) قد نجحوا فى استعادة الوثائق .
نفث سير ( مايكل ) دخان غليونه فى هدوء ، وهو يسأله :
ــ أما زال ( جولدمان ) فى الكابينة ؟
أدار ( آرثر ) منظاره إلى الكابينة الصغيرة ، وأجاب :
ــ بلى .. مازال يحتجز الفتاة هناك .
هزَّ سير ( مايكل ) رأسه ، وهو يقول فى ازدراء :
ــ مازال ( جولدمان ) كعهدى به ، سخيفًا تافهًا .. لماذا يصرّ على احتجاز الفتاة ؟
وافقه ( آرثر ) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :
ــ لست أدرى .. كان المفروض أن يطلق سراحها ، مادام ..
قاطعه سير ( مايكل ) بصيحة غاضبة :
ــ خطأ .
التفت إليه ( آرثر ) فى حيرة وتساؤل ، فتابع غاضبًا :
ــ لو أتى هذا القول من شخص غيرك ، لاكتفيت بتوجيه اللوم إليه ،

ولكننى لا أقبل مثل هذا الخطأ منك ، بعد أن تلقيت أسرار المهنة منى شخصيًا

قال ( آرثر ) فى حيرة :

ــ ما المفروض أن يفعله إذن يا سير ( مايكل ) ؟

نفث سير ( مايكل ) دخان غليونه فى وجه تلميذه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ يقتلها .

تراجع ( آرثر ) ، هاتفًا فى استنكار :

ــ يقتلها ؟! .. يقتل امرأة يا سيِّدى ؟!

أجابه سير ( مايكل ) فى خشونة :

ــ نعم .. يقتل امرأة ، وبلا رحمة أو تردّد .. إننا لا نلعب أو نمزح هنا يا ( آرثر ) .. إنه عالمنا .. عالم المخابرات ، حيث لا هدف يسمو فوق مصلحة دولتك .

عقد ( آرثر ) حاجبيه ، مغمغمًا :

ولكن ما الداعى لقتلها يا سيِّدى ؟ .. إننا نعلم جيِّدًا أنها مجرَّد صحفية مصرية ، فلقد تحرينا عنها هذا الصباح ، ومادام ( جولدمان ) قد حصل على ما يبغى ، فلا فائدة تعود من قتلها .

رمقه ( مايكل ) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

ــ لقد رأت ( جولدمان ) ، وعرفت كل مايحدث .. هل رأيت فى عمرك كله صحفيًا ، يمكنه أن يكتم كل هذه الأحداث المثيرة فى أعماقه ، ويقاوم إغراء نشرها فى الصفحة الأولى ؟



أومأ ( آرثر ) برأسه متفهمًا ، ولكن لهجته شفّت عن عدم ارتياح للأمر ، وهو يتمتم فى خفوت :

ــ حسنًا .. مادمت ترى ذلك يا سيِّدى .

قالها وعاد يرفع منظاره إلى عينيه ، ويتابع الزورق البخارى ، الذى بلغ الشاطىء فى نفس اللحظة ، وأضاف فى اهتمام شديد ، وهو يتطلّع إلى الصندوق الأسود الصغير ، الذى يمسك به أحد الرجال الثلاثة ، داخل الزورق :

ــ لقد استعادوا الوثائق بالفعل .

رفع سير ( مايكل ) مسدسه ، وجذب مشطه فى حزم ، وهو يقول :

ــ هيا بنا إذن .

مدّ ( آرثر ) يده ليدير محرِّك السيارة ، ولكن فجأة برز من النافذة المجاورة له مدفع رشاش ، قال صاحبه فى صرامة :

ــ مهلاً يا صاح .. إنها المحطة الأخيرة .

حاول سير ( مايكل ) أن يدير مسدسه فى سرعة ، ولكن فوهة مدفع رشاش آخر التصقت بجانب رأسه ، مع صوت خشن ، يقول :

ــ لا تحاول يا سيِّدى .. ستكون رصاصات مدفعى أسرع بالتأكيد .

ألقى سير ( مايكل ) مسدسه فى سخط ، ورفع ذراعيه مستسلمًا .. لقد خسر الجولة ..

أو المعركة كلها ..

★ ★ ★

استقبل ( جولدمان ) رجاله الثلاثة فى حرارة ، وهتف وهو يختطف الصندوق الأسود ، ويضمّه إلى صدره :

ــ لقد نجحتم يا رجال .. مرة أخرى ستثبتون للعالم أجمع أن ( الموساد ) هو أقوى جهاز مخابرات فى العالم .

ألقى الرجال نظرة لا مبالية على ( فدوى ) ، التى انخرطت فى بكاء حار ، ثم قال قائدهم ( آرينز ) :

ــ لم يكن الأمر سهلاً يا سيِّد ( جولدمان ) .. لقد التقينا بذلك الضابط المصرى ، عند حطام الباخرة ، وهو يقاتل فى شراسة مدهشة ، وانتزاعنا ذلك الصندوق الأسود منه ، يشبه انتزاع قطعة لحم ، من بين أنياب أسد جائع شرس .

قال ( جولدمان ) فى حماس :

ــ المهم أنكم قد انتزعتموه منه ، بعد قتله .

أشار ( آرينز ) إلى البحر ، قائلاً :

ــ لم نقتله نحن .. لقد قتله الانفجار .

هتف ( جولدمان ) فى سخط :

ــ قتله الانفجار ؟! .. ماذا تعنى ؟ .. هل تركتموه هناك على قيد الحياة ؟

قال ( آرينز ) ..

ــ لقد اشتبكت اسطوانته فى قائم معدنى ، من قوائم الباخرة الغارقة ، ووضعنا القنبلة على بعد متر واحد منه ، ولا ريب أن الانفجار قد مزّقه إربًا .



قال ( جولدمان ) فى غضب :

ــ ومن المحتمل أيضًا أنه لايزال على قيد الحياة .

ابتسم ( آرينز ) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ مستحيل .. لقد تركناه بلا ذرة هواء واحدة ، وأمامه نصف دقيقة فقط قبل الانفجار ، واسطوانته مشتبكة فى حطام الباخرة ، فكيف تتصوّره ينجو ، بعد كل هذا ؟

وأضاف رجل ثان فى سخرية :

ــ لا أحد يمكنه أن يسبح لسبعة أمتار ، تحت سطح الماء ، بصدر خال من الهواء .

لم يبد الاقتناع على وجه ( جولدمان ) ، ولكنه قال :

ــ فليكن .. موته أو حياته لا يعنيان شيئًا الآن ، بعد أن استعدنا وثائقنا .

ثم التفت إلى ( فدوى ) ، وجذب إبرة مسدسه ، وهو يصوّبه إليها ، قائلاً فى جذل وحشى عجيب :

ــ وكذلك موتك وحياتك يا عزيزتى .. هيا .. قولى وداعًا لهذا العالم القذر .

صرخت ( فدوى ) فى رعب :

ــ لا .. لا تفعل ..

ولكنه ضغط الزناد ..

بلا تردّد ..

★ ★ ★

إنه لم يكد يضغط الزناد ، ==
واندفع إلى داخلها ==
==سور الجميع رؤيته ..

عندما صوَّب ( جولدمان ) مسدّسه إلى ( فدوى ) ، وضغط الزناد ، كان شديد الثقة فى أنه مامن شىء فى الوجود يمكن أن يمنعه عن قتلها ..

ولكن من المؤكَّد أن رأيه هذا قد تغيَّر تمامًا ، بعد نصف دقيقة من هذا ..

بل بعد تسع عشرة ثانية ، على وجه الدقة ..

إنه لم يكد يضغط الزناد ، حتى انهار باب الكابينة فجأة ، تحت ضربة كتف قوية ، واندفع إلى داخلها آخر شخص ، يتصوَّر الجميع رؤيته ..

( أدهم صبرى ) ..

وانتفض ( جولدمان ) فى ذهول ، وتراجع فى حدة ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة مسدسه ..

وهوى قلب ( فدوى ) بين ضلوعها ، عندما سمعت أزيز الرصاصة ، على قيد سنتيمترات من أذنها اليسرى ، ثم صوت ارتطامها بجدار الكابينة خلفها ، وارتدادها فى عنف ، لترتطم بأرض الحجرة ، وتنزلق فى صرير مزعج ..

ولم تصدِّق ( فدوى ) أنها نجت ..

بل لم تصدِّق أن ( أدهم صبرى ) قد نجا ، بعد كل ما سمعته من ( جولدمان ) ورجاله ، واتسعت عيناها فى ذهول وانبهار ، عندما رأته ينقضّ على رجال ( جولدمان ) الثلاثة ، فيسحق فك أحدهم بلكمة كالقنبلة ، ويغوص بقدمه فى معدة الثانى ، ثم ينحنى متفاديًا لكمة الثالث ، وينقضّ على أنفه بلكمة ساحقة ، ويلتقط مسدّس أحدهم ، ويصوِّبه إلى ( جولدمان ) ، قبل أن يدير هذا الأخير فوهة المسدّس إليه ..

وفى رعب هائل ، ألقى ( جولدمان ) مسدسه ، ورفع ذراعيه هاتفًا :

ــ لا .. لا تطلق النار .. إننى أستسلم .

هتفت ( فدوى ) فى سعادة :

ــ ( أدهم ) .. حمدًا لله .. أنت بخير .

ثم وقع بصرها على يده اليسرى ، التى تنزف منها الدماء ، وصاحت فى جزع :

ــ ولكن يدك .. إنك ..

قاطعها صوت ( أدهم ) ، وهو يقول لـ ( جولدمان ) فى صرامة :

حل قيودها .

أسرع ( جولدمان ) إليها ، وهو يقول فى ذعر :

ــ سأفعل .. سأفعل ما تأمرنى به .. إننا لم نقصد قتلك .. أنت ضابط مخابرات مثلنا ، وتعلم طبيعة العمل ، و ..

قال ( أدهم ) فى حزم :

ــ اصمت .

ابتلع ( جولدمان ) لسانه ، وراح يحلّ وثاق ( فدوى ) فى سرعة ، فى حين تطلّعت هى إلى ( أدهم ) فى اهتمام :

كان شحوبه واضحًا ، على الرغم من تماسكه ، ووقفته الصلبة الثابتة ، وكان من الواضح أنه قد فقد الكثير من الدماء ، من جرح يده ..

وتساءلت فى حيرة عن كيفية نجاته ، بعدما سمعته من ( آرينز ) ، وبسبب طبيعتها الصحفية ، انتقل السؤال من عقلها إلى لسانها على الفور ، وهى تقول :



ــ كيف نجوت ؟

أجابها فى هدوء :

ــ خلعت اسطوانة الأكسوجين ، وسبحت أفقيًا ، مبتعدًا عن الباخرة فى سرعة ، ثم دفعنى الانفجار إلى الأمام عدة أمتار ، ساعدتنى على الاقتراب من الشاطىء والصعود إلى السطح .

حدّق ( جولدمان ) فيه بذهول ، وهو يقول :

ــ وهل احتملت رئتاك كل هذا ؟

أجابه ( أدهم ) فى خشونة :

ــ ليس هذا من شأنك .

ومن العجيب أن ( جولدمان ) قد ابتسم ، وهو يقول :

ــ بالتأكيد .. ليس هذا من شأنى .

ولكن ( فدوى ) أدركت سر ابتسامته ، ووقع بصرها على رجل الموساد ، الذى استعاد وعيه ، خلف ظهر ( أدهم ) ، ونهض فى حرص ، وهو يمسك مسدسه ..

وصرخت ( فدوى ) :

ــ احترس يا ( أدهم ) .

وحاول ( أدهم ) أن يستدير فى سرعة ..

ولكن الرصاصة دوت ، قبل أن يفعل ..

وأصابت الهدف .

★ ★ ★

# ٨ ــ ساحة القتال ..

على الرغم من الشهرة الواسعة ، التى يحوزها سير ( مايكل أوليفر ) ، بصفته أكثر رجال المخابرات البريطانية برودًا وهدوئًا ، إلا أنه بدا شديد التوتر هذه المرة ، وهو يقول للرجل ، الذى يصوب إليه مدفعه الرشاش :

ــ هل ستقتلوننا الآن ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لا ياسير ( مايكل ) .. لن نفعل .. إننا لسنا خصمين كما تعلم ، ولكن السيِّد ( جولدمان ) رآك فى الفندق ، وأدرك أنك تسعى حتمًا خلف مانسعى إليه ، وأنك ستتبعنا بالضرورة إلى هنا ، فطلب منا أن نمنعك من بلوغ المكان ، حتى ينتهى الأمر .

هدأت أعصاب سير ( مايكل ) ، وابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ــ هذا أفضل .

ثم حاول اشعال غليونه بقداحه ، وهو يستطرد :

ــ إننا لسنا خصومًا بالفعل يا رجل ، فلولا ( بريطانيا ) ، لما كان لكم وطن قومى فى ( فلسطين ) .. أليس كذلك ؟

قال الرجل فى خشونة :

ــ لا توجد ( فلسطين ) الآن .

غمغم سير ( مايكل ) ، فى لهجة توحى باللامبالاة :

ــ حقًا ؟!



ثم ابتسم مردفًا :

ــ القدّاحة هى أسخف وسيلة لإشعال غليون .. أعواد الثقاب هى أفضل وسيلة لذلك .. أليس كذلك يا عزيزى ( آرثر ) ؟

أجابه ( آرثر ) فى هدوء :

ــ بالتأكيد يا سيِّدى .

أعاد سير ( مايكل ) قدّاحته إلى جيب صديريته ، ومدّ يده إلى جيبه ، قائلاً :

ــ أظننى أحتفظ بعلبة أعواد ثقاب ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوت الرصاصة ، من كابينة ( أدهم ) ، فالتفت رجلا ( الموساد ) إلى الكابينة فى حركة واحدة ..

وهنا تحرَّك البريطانيان ..

فى نفس اللحظة ، دفع ( آرثر ) باب السيارة المجاور له ، فى وجه خصمه ، وأخرج سير ( مايكل ) من جيبه مسدسًا ، أطلق رصاصته على رأس رجل ( الموساد ) الآخر ، عبر كاتم للصوت ..

وهوى رجل ( الموساد ) صريعًا ، فى حين صاح الآخر ، وهو ينهض فى سرعة :

ــ أيها الأوغاد .. أيها الـ ..

أخرسته رصاصة أخرى صامتة ، انطلقت من فوهة مسدس ( آرثر ) ، واستقرّت فى رأسه ..

وهتف سير ( مايكل ) :

ــ أحسنت يا ( آرثر ) .. كنت أعلم أنك ستفهم ما أقصده ،

عندما ذكرت أمر أعواد الثقاب .

عاد ( آرثر ) إلى مقعد القيادة فى سرعة ، وهو يقول :

ــ إننى تلميذك يا سير ( مايكل ) .

وأدار محرّك سيارته ، وهو يهتف مستطردًا :

ــ المهم ألا يفوتنا السباق .

وانطلق نحو الكابينة .. !

★ ★ ★

عندما دوى صوت الرصاصة داخل الكابينة ، تصوّر ( جولدمان ) أن رجله قد نجح فى قتل ( أدهم ) ، ولكنه فوجىء بالرجل يطلق شهقة ألم ودهشة ، وتتسع عيناه بشدة ، قبل أن تتفجّر الدماء من ثقب فى جمجمته ، ويهوى جثة هامدة ..

وانتفض جسد ( فدوى ) ، عندما انطلقت رصاصة ثانية ، أطاحت بمسدس ( أدهم ) ..

ثم وقع بصر الجميع على المرأة الفارهة القوام ، ذات الشعر الأحمر النارى القصير ، التى تحمل مسدسًا كبيرًا ، من طراز ( ماجنـوم ) ، مازالت الأدخنة تتصاعد من فوهته ، وهى تبتسم ابتسامة واثقة ساخرة ..

وانعقد حاجبا ( أدهم ) فى شدة ، وهو يتطلع إلى تلك الأفعى ، التى نجحت فى انتزاع مسدسه برصاصتها ، والتقت نظراته بنظراتها الساخرة ، فى تحد واضح ، فى حين هتف ( جولدمان ) ، وهو يتراجع فى رعب :

ــ من أنت ؟.. ماذا تريدين منا ؟

لم تنبس ذات الشعر الأحمر ببنت شفة ، وهى تتطلّع إلى الجميع بنظراتها



الساخرة ، وتصوّب إليهم مسدّسها فى حزم ، ثم ظهر من خلفها سير ( ويلكوكس ) ، فى حلة بالغة الأناقة كعادته ، وهو يقول فى هدوء :

ــ معذرة لتدخلنا المفاجىء أيها السادة .. أظنكم قد تعارفتم مع عزيزتى ( مارى ) .. أليس كذلك ؟

هتفت ( فدوى ) فى دهشة :

ــ من أنت ؟

أتاها صوت ( أدهم ) ، وهو يقول فى لهجة جافة ، متطلعًا إلى ( ويلكوكس ) :

ــ إنه سير ( جون ويلكوكس ) ، رئيس نادى ( لندن ) للجولف ، ومؤسس جمعية المحاربين القدامى فى ( بريطانيا ) ، والزعيم السرى لمنظمة الجاسوسية الحرة .

فغرت ( فدوى ) فاها فى ذهول ، أمام قول ( أدهم ) ، فى حين ابتسم سير ( ويلكوكس ) ، وهو يُشعل سيجاره الفاخر ، وينفث دخانه ، قائلاً :

ــ عظيم .. من الواضح أنك تعرفنى يا فتى ، وهذا يجعل الأمور أكثر بساطة .

ثم أشار إلى الصندوق الأسود ، الملقى أرضًا ، واستطرد

ــ أظن هذه هى خزانة الوثائق .. أليس كذلك ؟

وانحنى يحمل الصندوق ، متابعًا :

ــ معذرة لاضطرارى إلى الانصراف مبكرًا ، فلن يلبث المكان أن يغص برجال الشرطة اليونانية ، و ...

لم يستطع سير ( ويلكوكس ) إتمام عبارته ، فقد تحرّكت قدم ( أدهم ) بغتة ، وركلت فكه فى حركة سريعة ، جعلته يهتف ساخطًا :

ــ اللعنة ! .. ( مارى ) .

ولم يكد ينطق اسمها ، حتى أدارت ( مارى ) الدموية فوهة مسدّسها نحو ( أدهم ) ..

وأطلقت النار ..

وفى هذه المرة أصابت الرصاصة ( أدهم ) ..

أصابته فى طرف ساعده ، وواصلت طريقها ، بعد أن تـركت فى الساعد جرحًا طويلاً ، تفجرّت منه الدماء على الفور ..

وفى اللحظة نفسها هوى ( ويلكوكس ) بالصندوق الثقيل على فك ( أدهم ) ..

وتراجع ( أدهم ) من عنف الضربة ..

عوامل شتى ، اجتمعت كلها ، لتضرب رأسه فى وقت واحد ..

جرح يده ..

الرصاصة التى أصابت ساعده ..

المجهود العنيف ، الذى يبذله بشكل متواصل ، منذ مايقرب مـن ساعة ..

الدماء التى فقدها ..

ثم الضربة العنيفة ، التى أصاب بها الصندوق وجهه ..

كل هذا جعل سقوط البطل أمرًا طبيعيًا ..

فسقط ..



وصرخت ( فدوى ) فى لوعة ، عندما شاهدت ( أدهم ) يسقط فاقد الوعى ، بين أعدائه ، فرفعت إليها ( مارى ) مسدّسها فى حركة حادة ، وكادت سبّابتها تعتصر الزناد ، لولا أن أوقفها سير ( ويلكوكس ) فى صرامة ، قائلاً :

ــ لا .. لست أحب قتل النساء .

تطلّعت إليه ( مارى ) فى استخفاف ، فأضاف :

ــ هذا أمر .

مطّت شفتيها فى ازدراء ، وهى ترمق ( فدوى ) بنظرة نارية ، ثم أدارت فوهة مسدّسها نحو رأس ( أدهم ) الفاقد الوعى ، وهى تقول فى سخرية :

ــ وماذا عن فاقدى الوعى ؟

عقد ( ويلكوكس ) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ إننى أكره قتلهم فى المعاد ، ولكن هذا ضابط مخابرات ، وهذا استثناء .. نعم ..يمكنك قتله .

شهقت ( فدوى ) فى ذعر ، فى حين ارتسمت على شفتى ( مارى ) ابتسامة شرسة ، وهى تقول :

ــ أشكرك .

وجذبت إبرة مسدسها فى جذل ..

وفجأة توقّفت سيارة سير ( مايكل ) فى صوت عنيف ، وقفز منها ( آرثر ) ، حاملاً مسّدسه ..

ومن المؤكدّ أن هذا قد أنقذ حياة ( أدهم ) ، فلقد استـدارت

( مارى ) فى سرعة إلى حيث سيارة ( مايكل ) ، عبر الباب المفتوح ، وأطلقت رصاصتها فى اتجاهها ..

وقفز ( آرثر ) خلف السيارة ، وهو يهتف :

ــ اختبىء يا سير ( مايكل ) .

انحنى سير ( مايكل ) ، محاولاً تفادى الرصاصات ، فى حين راح ( آرثر ) يتبادل إطلاق النيران مع ( مارى ) ، وحمل ( ويلكوكس ) الصندوق الأسود ، وهو يهتف بـ ( مارى ) :

ــ سأدير محرّك السيارة .. تخلّصى من هؤلاء الأوغاد ، والحقى بى على الفور .

اندفع نحو النافذة الخلفية للكابينة ، وقفز عبرها إلى الخارج ، وانطلق يعدو نحو سيارته ، فى حين التصق ( جولدمان ) بالحائط فى رعب ، وتجمدّت ( فدوى ) فى مكانها ، وواصلت ( مارى ) إطلاق النار نحو السيارة ، وهى تغمغم فى سخرية :

ــ لن يمكنكم هزيمة ( مارى ) أبدًا .

ومع طلقات رصاصاتها التالية ، انفجرت إطارات سيارة سير ( مايكل ) ، وتدفّق الوقود من خزانها المثقوب ، فهتف ( آرثر ) فى حنق :

ــ أيتها اللعينة !

وامتزج هتافه بضحكة ساخرة عالية ، انطلقت من بين شفتى ( مارى ) ، وهى تتراجع فى رشاقة ، ثم تعدو نحو النافذة ، وتعبرها بقفزة مرنة أنيقة ، ثم تقفز داخل سيارة سير ( ويلكوكس ) ، الذى انطلق



بالسيارة على الفور ..

وانطلق ( آرثر ) يعدو خلف سيارة ( ويلكوكس ) ، ويطلق نحوها رصاصاته ، ولكن الرصاصات ارتطمت كلها بجسد السيارة المصفّح ، وارتدّت عنه فى عنف ، مع ضحكات ( مارى ) العالية الساخرة ، فهتف ( آرثر ) فى سخط غاضب :

ــ اللعنة !

وسمع من خلفه صوت سير ( مايكل ) ، يقول :

ــ اسرع يا فتى .. سنحاول اللحاق بهم .

التفت ليجد سير ( مايكل ) مستقلًا السيارة الصغيرة ، التى وصل بها ( أدهم ) إلى الكابينة ، فأسرع عائدًا إليه ، وقفز داخل السيارة ، قائلاً فى حماس :

ــ سنلحق بهم حتمًا .

وانطلق بالسيارة ..

ولم تكد السيارة تبتعد ، حتى انتفض ( جولدمان ) ، كمن يفيق من سبات عميق ، واندفع نحو رجليه الباقيين على قيد الحياة ، وراح يهتف بهما :

ــ استيقظ يا ( آرينز ) .. استيقظ يا ( موشى ) .

أما ( فدوى ) ، فقد ألقت نفسها على ( أدهم ) ، هاتفة :

ــ ( أدهم ) .. ماذا أصابك ؟ .. يا إلهى !! انقذه يا إلهى .. لا تدعه يموت ..

كان قد فقد الكثير من دمه بالفعل ، وتعرّض لأهوال يشيب لها الولدان ، فغرق فى غيبوبة عميقة ..

وفجأة اقترب صوت بوق سيارة شرطة من المكان ، فهبّ ( جولدمان ) واقفًا ، وتلفّت حوله كفأر حبيس ، ثم انطلق يعدو خارج الكابينة ، وغاب وسط الظلام المحيط بالمكان ..

ووصلت سيارة الشرطة ..

ولم تكد ( فدوى ) تلمح أوّل رجل شرطة يونانى ، حتى صرخت :

ــ استدع سيارة إسعاف .. أسرع بالله عليك .. أسرع .

لم يفهم الضابط كلمة واحدة من عبارتها العربية ، ولكن المشهد أمامه كان أوضح من أى حديث ؛ لذا فقد التفت إلى زميله ، قائلاً :

ــ استدع سيارة إسعاف .

ثم انتزع مسدّسه ، وصوّبه إلى ( فدوى ) ..

★ ★ ★

سرى توتر عنيف فى جسد ( نوفا ) ، وهى تجلس إلى جوار ( شيلنكو ) ، الذى ينطلق بالسيارة فى محاذاة الشاطىء بأقصى سرعة ، وهتفت به فى عصبية :

ــ أسرع يا ( شيلنكو ) .. أسرع .

قال فى حدة :

ــ السيارة تنطلق بأقصى سرعتها ، أيتها الرفيق ( نوفا ) .

هتفت فى غضب :

ــ لماذا لم نذهب مع ( زاج ) ؟

قال وهو يبذل أقصى جهده ، للسيطرة على أعصابه :



ــ كانت فكرتك أنت .

عضت شفتيها فى غيظ وندم ، دون أن تبس ببنت شفة ، ثم غمر وجهها ضوء ساطع ، فهتفت مفرغة غضبها :

ــ من هذا الغبى ، الذى يقود سيارته فى اتجاه معاكس لسير الطريق ؟

مرقت من جانبها ، فى اللحظة التالية ، سيارة أنيقة فاخرة ، ووقع بصرها على شعر ( مارى ) الأحمر داخلها ، فهتفت :

ــ اللعنة ! .. ما الذى يدعو هذه السيارة إلى ..؟

تذكّرت فجأة صاحبة الشعر الأحمر ، فبترت عبارتها ، لتصرخ :

ــ إنها ( مارى ) .. ( مارى ) الدموية .

وصرخت فى ( شيلنكو ) :

ــ استدر يا رجل .. الحق بهم بسرعة .

صاح بها ، وهو يدير السيارة فى عنف ، وبسرعة كادت تقلبها رأسًا على عقب :

ــ لماذا ؟

هتفت محنقة :

ــ هذه السيارة ، التى تنطلق عكس الطريق ، تحوى داخلها ( مارى ) الدموية ، الذراع اليمنى لسير ( ويلكوكس ) ، وهذا يعنى أنه سبقنا كالمعتاد ، وحصل على ما نسعى خلفه .. حاول أن تلحق به يا ( شيلنكو ) ، وإلا خسرنا كل شىء .

تمنى ( شيلنكو ) لحظتها لو أنه يقود سيارة سباق قوية ، فقد كانت المسافة التى تفصله عن سيارة سير ( ويلكوكس ) كبيرة ، وتتسع

باستمرار ، بفضل فارق القوة بين محركى السيارتين ..

ثم ظهرت تلك الهليوكوبتر فى السماء ، وصاحت ( نوفا ) :

ــ لو أن هذه الهليوكوبتر تخص سير ( ويلكوكس ) ، فسيعنى هذا أن ..

لم تكمل عبارتها ..

ولم تكن بحاجة إلى إكمالها ..

لقد فهم ( شيلنكو ) ..

وأدرك أنها على حق ..

لقد اتجهت الهليوكوبتر فى سرعة إلى سيارة سير ( ويلكوكس ) ، التى خفضت من سرعتها تدريجيًا ، حتى توقفت ، وقفز منها ( ويلكوكس ) ( مارى ) ، فى حين انخفضت الهليوكوبتر ، حتى كادت تلامس الأرض ، واندفع الاثنان نحوها ، فصرخت ( نوفا ) ، وهى تخرج نصفها العلوى من نافذة السيارة ، وتصوّب مسدّسها إليهما :

ــ أسرع يا ( شيلنكو ) .. أسرع عليك اللعنة .

انطلقت رصاصات مسدّسها تشق الهواء ، ولكنها لم تمسّ شعرة واحدة من ( ويلكوكس ) و ( مارى ) ، اللذين استقرا داخل الهليوكوبتر ، التى عادت ترتفع بهما عاليًا ..

وشقت ضحكة ( مارى ) الساخرة المكان ، فى حين راح سير ( ويلكوكس ) يلوّح بيده إلى ( نوفا ) ، بعد أن أوقف ( شيلنكو ) السيارة ، وقفزت منها ( نوفا ) ، وراحت تلاحق الهليوكوبتر المبتعدة برصاصاتها ..



ولكن الهليوكوبتر واصلت ابتعادها ، حتى تلاشى صوت محركها وسط ظلام وسكون الليل ..

وصرخت ( نوفا ) فى مزيج من الغضب والغيظ ، والمرارة ، واليأس ..

ــ أيها الأوغاد !!

ولكن صرختها لم تلبث أن تلاشت بدورها ، وسط السكون والظلام ..

لقد انتهت الحرب ..

وأعلن القدر اسم الفائز فى المعركة ..

لقد ربح سير ( ويلكوكس ) اللعبة كلها ..

والصندوق ..

الصندوق الأسود .

★ ★ ★

# ٩ ــ الهزيمة ..

فجأة استيقظ ( أدهم ) ..

فجأة استعاد وعية ، وشعوره بما حوله ..

لم يدر كم بقى فاقد الوعى ، ولكنه شعر باسترخاء شديد ، جعله يبقى عينيه مغلقتين ، وهو يسمع صوتًا ، بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، يقول باليونانية :

ــ أظنه قد استعاد وعيه ، فلقد ارتفع نشاط رسام الموجات الكهربى دفعة واحدة .

ثم أعقبه صوت أنثوى مألوف ، يقول :

ــ حمدًا لله .

فتح عينيه فى بطء ، ووقع بصره على ( فدوى ) ، التى أغرورقت عيناها بالدموع ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة فرحة حنون ، وهى تمسك كفه ، قائلة ..

ــ حمدًا لله يا ( أدهم ) .. لقد نجوت .

بدت الأمور فى ذهنه مهتزة مشوّهة ، فغمغم باليونانية :

ــ نجوت ؟!

اندفع إلى أذنيه صوت خشن غليظ ، يقول :

ــ ربما كانت نجاتك من سوء حظك .

أدار عينيه إلى مصدر الصوت ، ورأى عند نهاية السرير رجلًا ضخم الجثة ، أصلع الرأس تمامًا ، ينطلق تحت أنفه شارب كث ضخم ، تعارض



بصورة مضحكة مع رأسه اللامع ، وهو يعقد حاجبيه الغزيرى الشعر ، قائلًا فى صرامة :

ــ ألديك تفسير لما حدث ؟

بدأ ( أدهم ) يستعيد ذاكرته تدريجيًا ، وهو يتطلّع إلى الرجل ، فى حين همست ( فدوى ) فى توتر :

ــ إنه مفتش شرطة يونانى ، وهو ينتظر استعادتك وعيك لاستجوابك ، منذ خمس ساعات .

سألها فى هدوء ، دون أن يرفع عينيه عن المفتش اليونانى :

ــ ماذا حدث بالضبط ؟

أجابته فى توتر :

ــ لقد فقدت الكثير من دمك ، ونجح ذلك الوسيم ، الأشيب الفودين ، فى الفرار ، مع زميلته الشرسة ، ذات الشعر الأحمر ، و ..

قاطعها فى توتر :

ــ هل أخذا الصندوق معهما ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ــ نعم .

ثم سألته فى فضول :

ــ ما الذى يحويه ذلك الصندوق الأسود ؟

ارتفع صوت المفتش اليونانى ، يقول فى غلظة غاضبة :

ــ كفى .. لن أسمح لكما بالتحدّث معًا ، إلا لو تحدثتما باليونانية .

قال ( أدهم ) فى صوت هادىء :

ـــ زميلتى لا تجيد اليونانية .

زمجر المفتش ، وقال فى صرامة :

ـــ وأنا لا أجيد لغتكما ، ولن أبقى هنا طوال اليوم .

قال ( أدهم ) فى برود :

ـــ لا داعى لبقائك .. يمكنك أن تنصرف .

قال المفتش فى حدة :

ـــ ليس قبل أن أحصل على أجوبة شافية .

ثم لوّح بذراعه ، مستطردًا فى عصبية :

ـــ لقد كانت الليلة الماضية حافلة للغاية يا رجل .. انفجر شىء ما تحت الماء ، وسمع الصيادون صوت طلقات نارية ، ثم اقتحمت مجالنا الجوى هليوكوبتر مجهولة ، ونجحت فى الفرار ..وبعد كل هذا عثر عليك رجالنا فاقد الوعى ، داخل كابينة صغيرة ، مرتديًا ثياب الغوص ، وإلى جوارك ثلاثة رجال ، يرتدون ثياب الغوص أيضًا ، أحدهم قتلته رصاصة فى جمجمته .. وكانت تقف خارج الكابينة سيارة أخرى ، تحوّلت إلى مصفاة ، من كثرة ما أصاب جسمها من رصاصات ، فما الذى يعنيه كل هذا ؟

هزّ كتفيه ، وقال فى برود :

ـــ كنت أتوقّع أن تخبرنى أنت بتفسير كل هذا ، فأنا أهوى الغوص فى الليل ، ولهذا أستأجرت مع رفيقتى تلك الكابينة على الشاطىء ، ولم أكد أسبح قليلًا تحت الماء ، حتى حدث هذا الانفجار ، وفوجئت بهؤلاء المجرمين يهاجموننى ، ويجبروننى على الخروج إلى الشاطىء ، ثم حاولوا قتل



مع رفيقتى ، ولست أدرى ماذا حدث بعدها .

تطلّع إليه المفتش فى شك واضح ، قبل أن يقول :

ـــ ولماذا يفعلون هذا ؟

قال ( أدهم ) فى خشونة :

ـــ ومن أدرانى ؟ .. إنها مهمة الشرطة .

هتف به المفتش بغتة :

ـــ والشرطة تتهمك بالتورّط فيما حدث .

ثم أشار إلى الباب ، مستطردًا فى غضب :

ـــ وهذا يعنى أنه من المحظور عليك مغادرة هذا المكان ، الذى سأترك أمامه اثنين من رجالى لحراستك ، حتى يسمح لك الأطباء بالمغادرة ، ويتم استجوابك بشأن ما حدث أمس .. هل تفهم ؟

لم يجب ( أدهم ) بحرف واحد ، وإن امتلأت عيناه بنظرة صارمة متحدية ، فاندفع المفتش يغادر الحجرة فى عنف ، ويصفق بابها خلفه فى قوة ، فهزّ الطبيب كتفيه فى حرج ، وتبعه فى خطوات سريعة ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى نهض ( أدهم ) من فراشه ، وسأل ( فدوى ) :

ـــ أين وضعوا ثيابى ؟

قالت فى دهشة :

ـــ فى ذلك الدولاب هناك .. ولكن ماذا تفعل ؟ .. لقد أكّد الأطباء ضرورة بقائك هنا ، حتى تستعيد قواك .

التقط ثيابه فى حزم ، وهو يقول :

ـــ فليذهب الأطباء إلى الجحيم .. لقد فقدنا وقتًا ثمينًا ، ولست

مستعدًا للتخلّى عن الصندوق بهذه البساطة .

ثم توقّف ، وأضاف بلهجة آمرة :

ــ أديرى وجهك .. سأرتدى ثيابى .

أشاحت بوجهها فى خجل ، وهى تقول :

ــ ما الذى يحويه هذا الصندوق ، مما يستحق من الجميع التقاتل بهذه الشراسة ؟

أجابها وهو يرتدى ثيابه فى سرعة :

ــ لا يمكننى إخبارك ، ولكن يكفى أن تعلمى أن ضياع ذلك الصندوق يهدّد أمن ( مصر ) كله .

هتفت مشدوهة :

ــ ياإلهى !

ثم سألت فى توتر :

ــ ولكن ماذا يمكنك أن تفعل الآن ؟ .. لقد سرقوا الصندوق بالفعل ، وغادروا ( اليونان ) كلها .

ارتدى حذاءه ، وهو يقول :

ــ من حسن حظنا أن سير ( ويلكوكس ) هو الذى فاز به ، فهو لا ينتمى إلى مخابرات دولة بالذات ، بل يتزعّم منظمة خاصة للتجسس ، وكل ماسيفعله بالصندوق هو أن يحاول بيعه ، لمن يدفع أعلى ثمن .

هتفت :

ــ لماذا القتال إذن ؟ .. لا ريب أن المسئولين فى ( مصر ) لن يعترضوا على شرائه بأى ثمن ، مادام خطيرًا إلى هذا الحد .



أجابها وهو يتجه إليها :

ــ لأن الآخرين لن يكتفوا بالمساومة ، وسيقاتلون للحصول عليه بدورهم .

ثم أمسك كتفيها ، وأدار وجهها إليه ، وقال فى حزم صارم :

ــ اسمعينى جيدًا .. بعد أن نخرج من هنا بإذن الله ، أريد أن تتجهى مباشرة إلى المطار ، ثم تستقلّى أوّل طائرة إلى ( القاهرة ) .

سألته فى اهتمام :

ــ وماذا عنك ؟

قال فى غضب :

ــ لا شأن لك بى ، ستطيعين ماآمرك به فحسب .

هتفت فى عناد :

ــ لا يارجل المخابرات ، لست تملك حق توجيه الأوامر لى .

تراجع ملوّحًا بيده ، قائلًا :

ــ إذهبى إلى الجحيم إذن .

قالت فى حدة :

ــ لا شأن لك بهذا أيضًا .

أشاح بوجهه عنها فى غضب ، وقال وهو يتجه إلى الدولاب :

ــ هل أحضروا حقيبتى الصغيرة ؟

أجابته فى سرعة :

ــ نعم .. لقد أقنعت ذلك المفتش الأصلع ، أنها حقيبة أدوات الزينة الخاصة بى ، فسمح لى بالاحتفاظ بها .

توقّف ، والتفت إليها فى حدة ، قائلًا :
ــ وما أدراك أنها تحوى مساحيق تجميل ؟
ارتبكت وهى تجيب :
ــ لقد فتحها أمامى .
كان من الواضح أنها تكذب ، ولكنه لم يصارحها بهذا ، وإنما قال :
ــ وأين هى ؟
مدّت يدها أسفل الفراش ، والتقطت الحقيبة ، وناولته إياها قائلة :
ــ هاهى ذى .
تناول الحقيبة منها ، وفتحها ليفحص محتوياتها فى اهتمام ، ثم تنهّد قائلًا :
ــ حمدًا لله .. إنها سليمة .
سألته فى فضول :
ــ ما هذه المساحيق ؟
أغلق الحقيبة ، وهو يقول فى صرامة :
ــ ليس هذا من شأنك .
ثم أشار إلى الباب ، قائلًا :
ــ أخبرى الحارسين أننى أمرّ بنوبة عصبية حادة .
تطلّعت إليه فى قلق ، وسألته :
ــ ماذا تنوى أن تفعل ؟
قال فى لهجة آمرة :
ــ نفذى ما آمرك به فحسب .
ظلت تنظر إليه لحظات فى صمت ، ثم نهضت من مقعدها ، واتجهت إلى الباب ، ففتحته وقالت للحارسين فى الخارج بالانجليزية :
ــ لست أدرى ماذا أصاب رفيقى .. يبدو أنها نوبة عصبية .



مطّ أحد الحارسين شفتيه ، وقال :
ــ وماذا يمكننا أن نفعل له ؟ .. الأفضل أن تخبرى الطبيب .
ارتبكت وهى تقول :
ــ الطبيب ؟! .. وأين أجده ؟
قال الحارس الآخر فى سخرية :
ــ فى حجرته بالطبع .
لم تدر ماذا تفعل ، إزاء رفضهما ، فارتبكت ، وهى تغمغم :
ــ آه .. بالطبع .
ثم تراجعت ، وأغلقت الباب خلفها ، والتفتت إلى الداخل تقول :
ــ لم يتحرّك أحدهما ، ولم ..
بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدّق فى الحجرة الخالية ، ثم انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تندفع نحو النافذة المفتوحة ، وأطلّت منها إلى الافريز الضيق ، الذى يمتدّ بطول المستشفى ، وهتفت فى حنق :
ــ يا للوغد !! .. لقد خدعنى .
وعلى بعد أمتار منها ، كان ( أدهم ) قد بلغ حديقة المستشفى الخلفية ، ووقف يهندم ثيابه فى هدوء ، ثم حمل حقيبته ، واتجه فى خطوات رصينة إلى بوّابة المستشفى ، وكأنه زائر منصرف ، أو أحد أطباء المستشفى ، وقد انتهت نوبة عمله ..
وفجأة ، وعندما أصبح على قيد خطوات من البوّابة ، ارتفع من خلفه صوت المفتش اليونانى ، وهو يصرخ :
ــ أوقفوا هذا الرجل .. ألقوا القبض عليه .
وتفجرّ الموقف كله دفعة واحدة .
★ ★ ★

وفجأة ، وعندما أصبح على قيد خطوات من البوابة ، ارتفع من خلفه صوت المفتش اليونانى ..

## ١٠ ـ الفـــرار ..

بداسير ( جون ويلكوكس ) شديد التأنق هذا الصباح ، وهو يقف فى ملعب الجولف بوسامته الواضحة ، وفوديه اللذين وخطهما الشيب ، ممسكًا مضرب الجولف فى أناقة ، محاولًا ضرب الكرة الصغيرة بمقبضه ، ودفعها نحو حفرة بعيدة ، يرتفع منها علم صغير ..

أما ( مارى ) ، التى تجلس فى سيارة الجولف الصغيرة ، على مقربة من الملعب ، فقد بدت أشبه بشعلة من اللهب ، بشعرها الأحمر ، وثوبها القرمزى القصير ، وطلاء شفتيها الأحمر المتألق ، وحذاء طويل ، يلتمع بضوء أحمر ، تحت أشعة الشمس ..

وفى ثقة وهدوء ، ضرب سير ( ويلكوكس ) الكرة بمضربه ، فقفزت فى الهواء ، وابتعدت عدة أمتار ، ثم سقطت على الحشائش القصيرة ، وانزلقت نصف المتر ، قبل أن تسقط مستقرة فى الحفرة ، فصفق المشاهدون فى استحسان ، ورفع هو رأسه فى زهو ، قائلًا :

ـ إصابة ناجحة .

ابتسمت ( مارى ) ، وهى تنفث سيجارتها ، قائلة :

ـ كالمعتاد .

التفت إليها مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا عزيزتى .

ثم ضاقت حدقتاه ، وهو يتطلّع إلى نقطة ماخلف ظهرها ، مستطردًا :

ـ يبدو أن لدينا زائرين .

التفتت إلى حيث ينظر ، ورأت سير ( مايكل ) و ( آرثر ) يقطعان الملعب الواسع فى خطوات سريعة ، متجهين نحوهما ، فابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـــ زائران سخيفان .

بلغهما ( مايكل ) و ( آرثر ) ، وقال الأوّل لسير ( ويلكوكس ) فى صرامة :

ـــ سير ( جون ويلكوكس ) ..إننى ألقى القبض عليك .

رفع ( ويلكوكس ) مضرب الجولف فوق كتفه ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ حقًا ؟! .. وبأية تهمة ياترى ؟

أجابه ( آرثر ) فى حدة :

ـــ بتهمة مهاجمتنا وإطلاق النار علينا فى ( ألينا ) ، وسرقة أشياء لا تخصّك .

قال سير ( ويلكوكس ) فى سخرية :

ـــ ياإلٰهى ! .. يبدو أننى أكثر خطورة من ( جيمس بوند ) نفسه .

ثم أضاف فى هدوء عجيب :

ـــ ولكن لسوء حظكما أننا فى بلد ديموقراطى يا صديقىّ ، وللقانون هنا قوة لايستهان بها ، حتى أن الملكة نفسها لا يمكنها انتزاع شعرة واحدة ، من رأس أحقر خادم فى قصرها ، لو أن القانون لا يمنحها هذا الحق .

قال ( آرثر ) فى حدة :

ـــ وما الذى يعنيه هذا ؟



استعاد سير ( ويلكوكس ) ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـــ يعنى ببساطة أنه من الضرورى أن تثبت كل كلمة نطقت بها ، وكل اتهام وجهته إلىّ يا فتى ، وإلا فلن يمكنك احتجازى للحظة واحدة ، فى حين يمكننى أنا مقاضاتك بتهمة التشهير .

كاد ( آرثر ) ينفجر فيه غاضبًا ثائرًا ، ولكن سير ( مايكل ) استوقفه بإشارة من يده ، وهو يسأل ( ويلكوكس ) فى هدوء :

ـــ ما الأدلة التى لفقتها ، لتنفى الاتهام عنك يا سير ( ويلكوكس ) ؟

أجابه ( ويلكوكس ) فى بساطة :

ـــ وما حاجتى إلى تلفيق الأدلّة ؟ .. إنك لن تجد شركة طيران واحدة ، منحتنى تذكرة سفر إلى ( ألينا ) ، ثم أن نصف أصدقائى سيؤكدون أننى أقمت لهم حفلًا فى قصرى مساء أمس ، وشاركتهم كل دقيقة فيه ، أنا وصديقتى ( مارى ) ، من العاشرة مساءً ، وحتى الثالثة بعد منتصف الليل .

قال ( مايكل ) فى برود :

ـــ تقصد نصف رجالك .

هزّ ( ويلكوكس ) كتفيه ، وقال :

ـــ وما الفارق ؟

هتف ( آرثر ) فى غضب :

ـــ أيها الحقير .

ولكن ( مايكل ) منعه من الاستطراد مرة أخرى ، وقال :

ـــ حسنًا يا سير ( ويلكوكس ) .. لقد أجدت اللعبة هذه المرة

أيضًا ، ولكن ما رأيك لو حوّلنا الأمر إلى التفاوض ؟

قال ( ويلكوكس ) فى استهتار :

ـــ التفاوض بشأن ماذا ؟

قال ( مايكل ) :

ـــ بشأن الوثائق ، التى يحتويها الصندوق .

مضت لحظة من الصمت ، وكلاهما يتطلّع إلى الآخر بنظرة فاحصة ، قبل أن يبتسم ( ويلكوكس ) ، ويقول فى هدوء :

ـــ لست أدرى عمّ تتحدّث يا عزيزى ( مايكل ) ، ولكن لو أننى أمتلك صندوقًا ، يحوى داخله وثائق ، لها كل هذه الأهمية ، فلن أفكّر فى التفاوض بشأن هذه الوثائق ، قبل أن أفتح الصندوق ، وأطالع الوثائق .

قال سير ( مايكل ) فى حزم :

ـــ سندفع مليون جنيه ، مقابل الصندوق بمحتوياته ، دون فتحه .

رفع ( ويلكوكس ) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وقال :

ـــ مليون جنيه ؟! .. هل محتوياته تافهة إلى هذا الحد ؟

قال ( مايكل ) فى صرامة :

ـــ مارأيك فى مليونين ؟

ارتسمت على شفتى ( ويلكوكس ) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ وداعًا يا سير ( مايكل ) .

ثم استدار تأهبًا للابتعاد ، فقال ( مايكل ) :

ـــ ثلاثة ملايين .

التفت إليه ( ويلكوكس ) ، وتطلّع إليه لحظة فى صمت ، ثم قال فجأة :



ـــ سأقيم فى قصرى حفلًا صغيرًا مساء بعد الغد يا عزيزى ( مايكل ) .. ما رأيك فى مشاركتنا إياه ؟

تطلّع إليه ( مايكل ) بنظرة عميقة ، وكأنما يحاول سبر غوره ، ثم قال :

ـــ لا بأس .. إننى أقبل دعوتك .. متى أحضر إليك ؟

أجابه ( ويلكوكس ) فى هدوء :

ـــ فى تمام السابعة .

ثم استدار منصرفًا ، وهو يضيف :

ـــ سأنتظرك .

عقد ( آرثر ) حاجبيه فى غضب ، وهو يتابع سير ( ويلكوكس ) ـــ الذى اتجه فى هدوء نحو السيارة ، التى تجلس داخلها ( مارى ) ، وقال ( آرثر ) فى حدة :

ـــ يا للوغد ! .. كم تمنيت أن أطلق النار عليه ، وأرى جمجمته تنفجر أمامى .

قال سير ( مايكل ) ، وهو يشعل غليونه :

ـــ لن أعترض على هذا ، لو فعلته بعد السابعة مساء بعد الغد .

سأله ( آرثر ) فى حدة :

ـــ وما الذى سيحدث فى ذلك الموعد ؟

التفت إليه سير ( مايكل ) ، وقال :

ـــ ألم تفهم ؟ .. إنه موعد حصولنا على الوثائق .

وفى نفس اللحظة ، كان ( ويلكوكس ) قد بلغ ( مارى ) ، وقال لها فى حسم :

ـ يبدو أن ذلك الصندوق يحوى وثائق بالغة الخطورة بالفعل يا عزيزتى ( مارى ) .. لقد عرض صديقنا ( مايكل ) ثلاثة ملايين من أجله ، وتطلع لحظة إلى ( مايكل ) و ( آرثر ) ، اللذين يتعدان فى خطوات سريعة ، ثم أضاف :

ـ لابد من فتح ذلك الصندوق اللعين يا ( مارى ) .. لابد .

أجابته فى هدوء :

ـ سنفعل .

ثم ابتسمت مستطردة فى زهو :

ـ وسنربح كالمعتاد ..

★ ★ ★

لم تكد صرخة المفتش اليونانى تنطلق ، فى ساحة المستشفى ، حتى تحوّل ( أدهم صبرى ) بغتة إلى كتلة من اللهب ، تموج بالنشاط والحيوية ، حتى بات من المستحيل أن يصدّق مخلوق واحد ، أنه كان يعانى أعراض نقص شديد ، فى حجم الدم ، فى الساعات القليلة الماضية ..

لقد اندفع فجأة كالصاروخ ، نحو بوّابة المستشفى ، وحاول حارساها منعه ، ولكن أسنان أحدهما تهشّمت بلكمة كالقنبلة ، فى حين خيّل للآخر أن هذه القنبلة قد تركت فك زميله ، وانفجرت فى معدته ، فانثنى يطلق صرخه ألم ، فى الوقت الذى انتزع فيه المفتش اليونانى مسدّسه ، وانطلق يعدو خلف ( أدهم ) ، صارخًا :

ـ أوقفوه .

ولكن ( أدهم ) قفز داخل سيارة إسعاف صغيرة ، وألقى حقيبته إلى جواره ، ثم أدار المحرّك ، وأطلق للسيارة العنان ، والمفتش يطلق النار خلفه ، صارخًا :



ـ لا تدعوه يفلت .. لا تدعوه يفلت .

ثم تفجرّ الغيظ من كل خلية من خلاياه ، عندما انحرف ( أدهم ) بالسيارة فى منحنى قريب ، واختفى من أمام عينيه ، وصرخ فى غضب :

ـ أبلغوا سياراتنا .. كل سياراتنا .. اطلبوا منهم اعتراض سيارة الإسعاف هذه ، واعتقال ذلك الشيطان .

أسرع أحد رجاله يبلغ الأمر لاسلكيًا ، لكل سيارات الشرطة حول المنطقة ، فى حين أعاد المفتش مسدّسه إلى جرابه ، وهو يغمغم فى سخط :

ـ ماذا يحدث هنا ؟ .. هل أصبحت ( أثينا ) حيًا من أحياء ( شيكاغو ) ؟

كان الهرج قد ساد المستشفى ، بعد إطلاق النيران ، وانهمك الأطباء والمسئولون ، وعدد من رجال الشرطة ، فى محاولة إعادة النظام ، ولكن المفتش اليونانى بقى إلى جوار اللاسلكى ، فى انتظار تقارير رجاله ، حتى أتى صوت أحدهم ، عبر اللاسلكى ، يقول :

ـ لقد عثرنا على السيارة .

انقضّ المفتش على مسماع جهاز اللاسلكى ، وقال فى لهفة :

ـ وهل ألقيم القبض على الرجل ؟

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يهيب الرجل :

ـ لقد وجدنا السيارة خالية ، ولا يوجد أدنى أثر للرجل .

صرخ المفتش فى ثورة :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟ .. هل فقدنا أثره بهذه البساطة ؟

أجابه الرجل :

ـ سنمشط المنطقة بحثًا عنه يا سيِّدى .. أعدك أن نفعل .. لن نترك له ثقب إبرة يختبىء فيه .

صاح المفتش غاضبًا :

ـ من الأفضل أن تعثروا عليه ، وإلا فستكون العاقبة وخيمة .. هل تفهم ؟

أجابه الرجل فى لهجة رسمية :

ـ أفهم يا سيِّدى .

أنهى المفتش الاتصال فى حدة ، ثم التفت إلى أحد رجاله ، وصاح به فى عصبية :

ـ ما الذى تفعله هنا ؟

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

ـ أتابع الموقف يا سيِّدى .

صاح به فى ثورة :

ـ وما شأنك أنت بالموقف ؟ .. مهمتك تنحصر فى حراسة الحجرة .

ارتبك الرجل أكثر ، وهو يغمغم :

ـ ولكن الرجل هرب يا سيِّدى ، و ...

قاطعه المفتش فى حدة :

ـ وماذا عن الفتاة ؟

اتسعت عينا الرجل فى ذعر ، وهو يهتف :

ـ الفتاة ؟! .. هل كان المفروض أن ..

صرخ المفتش :



ـ المفروض ماذا ؟! .. هل تركت الفتاة تتصرف ؟

قلب الرجل كفيه فى حيرة ، وقال :

ـ ولكنك لم تأمرنا بحراستها يا سيِّدى .

بلغت ثورة المفتش ذروتها ، وهو يصرخ :

ـ ماذا أنتم بحق السماء ؟! .. مجموعة من الشرطة المدرسية .. اغرب عن وجهى .. ابتعد قبل أن أطلق النار عليك .

أسرع الرجل يبتعد ، فى حين واصل المفتش صراخه :

ـ أريد الرجل والفتاة .. أريدهما بأى ثمن .

ولكن صرخته ضاعت وسط المرج ..

وتلاشت فى سرعة ..

★ ★ ★

عندما بلغ ( أدهم صبرى ) مطار ( أثينا ) ، بعد ساعة واحدة من هذه الأحداث ، كانت هيئته قد تبدّلت تبدّلًا كبيرًا ، على الرغم من بساطة تنكره ، فكل مافعله هو أن ابتاع حلة جديدة ، وصبغ شعره بلون كستنائى فاتح ، وأضاف إلى وجهه لحية من اللون نفسه ، وإلى عينيه عدستين ملوّنتين ، لهما لون أخضر داكن ..

والعجيب أنه كان يحمل جواز سفر ، يحوى صورته فى هذه الهيئة ، وتأشيرة دخول إلى الأراضى اليونانية .. بل خاتم المرور من المنطقة الجمركية ..

ولقد ألقى ضابط الجوازات فى المطار نظرة سريعة على جواز سفر

( أدهم ) ، الذى يحمل اسم ( هنرى لويد ) ، وقال فى بساطة :

ـــ هل استمتعت بإقامتك هنا يا مستر ( لويد ) ؟

أجابه ( أدهم ) بانجليزية سليمة ، لايرقى إليها الشك :

ـــ جدًا أيها الضابط .. فبلادكم جميلة ، تحوى عشرات الآثار والأماكن المبهجة .

ابتسم الضابط ابتسامة روتينية ، وهو يقول :

ـــ هذا من دواعى فخرنا يا مستر ( لويد ) .

ثم ختم جواز السفر ، وناوله إياه ، قائلًا :

ـــ نشكر لك زيارتك لدولتنا يا مستر ( لويد ) ، ونرجو أن تحوى قوائم القادمين ، فى الموسم القادم ، اسم ( هنرى لويد ) .

ارتفع من خلف ( أدهم ) صوت يقول :

ـــ من قال إنه يدعى ( هنرى لويد ) ؟

استدار ( أدهم ) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، الذى استطرد :

ـــ إنه يدعى ( أدهم ) .. ( أدهم صبرى ) .

ولم يعد هناك مايُقال .

★ ★ ★



## ١١ ـــ إلى الضبـــاب ..

لم يرفع ( شيلنكو ) المنظار المقرّب عن عينيه ، طوال ربع ساعة كاملة ، وهو يراقب قصر سير ( ويلكوكس ) ، من داخل سيارته ، حتى سألته ( نوفا ) فى قلق :

ـــ ألم يظهر بعد ؟

هزَّ ( شيلنكو ) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لا .. لقد هبط مع ذات الشعر الأحمر إلى القبو ، منذ مايقرب من الساعة ، ولم يظهر أحدهما بعد .

تنهدت ، قائلة :

ـــ هذا يحسم كل شىء .

التفت إليها ، يسألها فى اهتمام :

ـــ ماذا تعنين ؟

ضربت جبهته بأصابعها ، قائلة :

ـــ سل رأسك الغبى يا ( شيلنكو ) .. ما الذى يدعو رجلًا مثل سير ( ويلكوكس ) ، بكل أناقته واعتداده ، إلى الهبوط إلى قبو قصره الرطب ، وقضاء ساعة كاملة فيه ، مالم يكن هذا القبو مكانًا مثاليًا ، لإخفاء سر ثمين ؟

هتف فى انفعال :

ـــ أتقصدين الوثائق ؟

صاحت به فى حدة :

ـــ وما الذى يمكننى أن أقصده غيرها أيها الغبى ؟ .. ما الذى أجبرنا على المجىء ( انجلترا ) ؟ .. أليس هذه الوثائق اللعينة .

حاول اسكاتها ، ملوّحًا بكفيه ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. حسنًا يا ( نوفا ) .. ماذا تقترحين إذن ؟

عقدت حاجبيها الجميلين ، وهى تقول فى حزم :

ـــ لم يعد الأمر يحتمل الاقتراحات يا ( شيلنكو ) ، بل يحتاج إلى عمل سريع وحاسم .

وازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تضيف فى حزم :

ـــ يحتاج إلى التسلّل إلى قصر سير ( ويلكوكس ) ، وإلى قبوه الرطب بالذات .

ثم أدارت عينيها إلى عينيه ، مردفة فى صرامة :

ـــ الليلة .

★ ★ ★

عقد ( أدهم ) حاجبيه فى غضب ، وهو يتطلّع إلى ( فدوى ) ، التى تقف أمامه فى تحد ، عاقدة ساعديها أمام صدرها ، بعد أن نطقت جملتها الأخيرة ، ثم أمسك يدها فى قوة ، قائلًا فى حزم :

ـــ تعالى .

تبعته فى هدوء إلى ممر المسافرين ، وهو يقول غاضبًا :

ـــ ما الذى يعنيه أسلوبك هذا ؟ .. أتحاولين كشف شخصيتى ؟

ابتسمت فى خبث ، وهى تقول :



ـــ اطمئن .. ضابط الجوازات هذا لايفهم حرفًا واحدًا من اللغة العربية .. لقد اختبرت هذا بنفسى ، وهو يختم جواز سفرى .

قال فى حدة :

ـــ ولكنك نطقت عبارتك بصوت مرتفع ، وكان من المحتمل أن يسمعك أى شخص يفهم العربية ، وأن تعلنى أننى لست ( هنرى لويد ) .

قالت فى اهتمام :

ـــ ألم يدهشك أوّلًا أننى قد تعرّفتك ، على الرغم من تنكّرك ؟

أجابها فى صرامة :

ـــ لا .. فتنكّرى لم يكن متقنًا .

ثم توقّف فجأة ، وقال :

ـــ أكنت تعلمين أننى سأستقلّ هذه الطائرة ؟

هتفت فى زهو :

ـــ بالطبع .

ثم أشارت إلى رأسها ، مستطردة :

ـــ لقد أنبأنى ذكائى أنه مادمت تقاتل بكل هذه الحمية ، لتلحق بالصندوق ، فلا ريب أنك ستذهب خلفه ، ولقد قلت ـــ فى الكابينة ـــ أن سير ( جون ويلكوكس ) هو الذى سرق الصندوق ، وهذا اللقب بريطانى ، مما يعنى أن السارق قد حمل الصندوق إلى ( انجلترا ) ، ومادمت رجل مخابرات ، فستكون لديك حتمًا الوسيلة لتغيير هيئتك وصفتك ، والسفر خلفه إلى هناك ، ثم أنك قد أشرت إلى ضياع الوقت ، مما يؤكّد

ضرورة سفرك على أوّل طائرة ، متجهة إلى ( لندن ) ، فأسرعت أحجز مقعدًا عليها .

لم يملك سوى الإعجاب بذكائها ، واصرارها ، فابتسم ابتسامة هادئة ، وهو يقول فى إعجاب :

ــ أهنئك .

تضرَّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تتمتم :

ــ أشكرك .

استعاد صوته صرامته فجأة ، وهو يقول :

ــ ولكن ما الذى تسعين إليه ؟

أجابت بسرعة :

ــ أن أصحبك فى مغامرتك .

أمسك كتفيها فى رفق ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ــ اسمعينى جيدًا يا ( فدوى ) .. ما يحدث ليس فيلمًا سينمائيًا ، من أفلام الإثارة والمغامرات ، بل حربًا طاحنة ، لا مجال فيها للعواطف أو العبث ، وهو ليس أمرًا صالحًا للنشر ، فالسرية فيه هى أقوى أسلحة النصر ، وهذا يعنى أنك لا تستطيعين مصاحبتى ، أو حتى نشر كلمة واحدة مما سيحدث ، وفى المقابل ستعرضين حياتك لخطر داهم ، لا قبل لك به .

قالت فى لهفة :

ــ المهم أن أبقى إلى جوارك .

لم تكد تنطقها ، حتى أدركت ذلك المعنى الذى تحويه ، فتضرَّج



وجهها بحمرة خجل شديدة ، وخفضت عينيها فى حياء ..

وران عليهما صمت تام ..

لم يدر لماذا شعر بالسعادة والارتياح ، عندما نطقت عبارتها هذه ؟ ..

أو هو يدرى ، ولكنه يخشى الاعتراف بما يملأ نفسه ..

هو أيضًا يتمنى ، لو بقيت إلى جواره ..

شىء ما فى أعماقه يرغب فى وجودها معه ..

ولكن هذا يتعارض مع واجبه ..

مع سرية عمله ..

وبكل ما يملك من قوة ، قاوم تلك العاطفة ، التى تشتعل فى أعماقه ، وقال :

ــ لا يا ( فدوى ) .. لا يمكننى أن أعرِّضك لكل هذه المخاطر .. لن أسامح نفسى أبدًا ، لو أصابك أدنى مكروه .

رفعت عينيها إليه فى لهفة ، وهى تهتف :

ــ حقًا ؟!

ثم عادت تخفضهما فى خجل ، فابتسم فى حنان ، وهو يهمس :

ــ حقًا يا ( فدوى ) .

ران عليهما الصمت لحظة أخرى ، ولكنها كانت مفعمة بالعواطف هذه المرة ، قبل أن تقطعها ( فدوى ) ، قائلة فى عناد :

ــ سأصحبك إلى ( لندن ) .

أدهشها أن قال فى هدوء :

ــ فليكن .

ثم أضاف فى حزم :

ــ ولكنك ستبقين فى حجرتك بالفندق ، حتى أنتهى من مهمتى ، وأعود إليك .

.. هذا شرطى الوحيد .

أجابت فى سرعة :

ــ أوافق .

ثم منحته ابتسامة من أعماق قلبها ..

ابتسامة حب ..

★ ★ ★

« حب ؟! »

هتفت ( منى ) بالكلمة ، فى سخط واستنكار ، عندما بلغ ( قدرى ) هذا الجزء من روايته ، وهبّت من مقعدها ، ملوّحه بيدها فى حدة ، ومستطردة :

ــ مستحيل يا ( قدرى ) .. مستحيل أن يكون هذا حبًا .

ابتسم لغضبها وغيرتها الواضحين ، وقال :

ــ ولِمَ لا ؟ .. أليس من الطبيعى أن يقع شاب وسيم وفتاة جميلة ، فى حب بعضهما البعض .

قالت فى توتر :

ــ من المؤكّد أنه لم يحبها .

ثم التفتت إليه فى حدة ، مستطردة :



ــ وإلا فلماذا لم يتزوّجها ؟

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

ــ هل تظنين أن الزواج شرط أساسى لصحة الحب ؟

هتفت :

ــ بالطبع .

قال فى خبث :

ــ عجبًا ! .. لماذا لا ينطبق ذلك على علاقتك بـ ( أدهم ) إذن ؟

تجمّدت فى مكانها ، وقفزت إلى ذهنها صورة لـ ( فدوى ) ، وهى ترفض الزواج من ( أدهم ) ، بعد كل مارأته بصحبته من أهوال ، فالتفتت إلى ( قدرى ) ، تسأله فى عصبية :

ــ حسنًا .. لماذا لم يتزوّج ( أدهم ) ( فدوى ) ؟

صمت ( قدرى ) لحظة ، ثم هزّ كتفيه ، قائلًا :

ــ لم يكن ذلك ممكنًا .

سألته فى حدة :

ــ لماذا ؟

شرد ببصره لحظات فى صمت ، ثم اعتدل ، قائلًا :

ــ الأفضل أن تتابعى الأحداث يا ( منى ) .

جلست على مقعدها فى عصبية ، وهى تقول :

ــ حسنًا .. كلى آذان صاغية .

ابتسم مشفقًا ، ومال نحوها ، و ..

واصل القصة ..

★ ★ ★

على عكس الطقس الحار فى الجزر اليونانية ، كان المناخ فى ( لندن ) معتدلًا لطيفًا ، جعل ( فدوى ) تهتف فى ارتياح :

ـــ ياله من طقس جميل ! .. يبدو أنهم يظلمون ( لندن ) كثيرًا ، عندما يصفونها بعاصمة الضباب .

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول :

ـــ لا تتعجّل الأمور ، إنك لم ترى الضباب بعد .

سألته فى فضول :

ـــ هل سبق لك مشاهدته ؟

رفع سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـــ لا تنسى أن مستر ( هنرى لويد ) انجليزى ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه .

ضحكت وهى تتطلّع إلى وجهه ذى اللحية ، ثم مالت نحوه ، هامسة :

ـــ أتعلم أنك تبدو بالفعل أكثر وسامة بوجه حليق .. لقد رأيتك بوجه حليق ، عند نجاتك من انفجار الباخرة .. كان شعرك مبتلًا ، وسقط عنك الشارب المستعار فى الماء ، و ...

قاطعها فى هدوء :

ـــ يالك من فتاة !

بترت عبارتها ، وعقدت حاجبيها ، وهى تقول :

ـــ ما الذى تقصده بهذه العبارة ؟

ضحك قائلًا :

ـــ لست أقصد شيئًا .

ثم تطلّع إلى حجرتها الأنيقة ، وهو يضيف :



ـــ من حسن حظنا أن وجدنا حجرتين مناسبتين هنا .. أليس كذلك ؟

قالت فى حدة :

ـــ إنك لم تجب سؤالى بعد .

تطلّع إليها بنظرة ضاحكة ، ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وقال لموظف الهاتف فى الفندق :

ـــ صلنى بهذا الرقم .

أملاه الرقم فى بطء ، فسألته ( فدوى ) فى اهتمام :

ـــ أهو رقم مكتب المخابرات فى ( لندن ) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وأجاب فى هدوء :

ـــ بل الرقم الشخصى لسير ( ويلكوكس ) .

هتفت فى دهشة عارمة :

ـــ سير ( ويلكوكس ) ؟!

قبل أن ينطق بكلمة واحدة ، تعقيبًا على دهشتها ، جاءه صوت ( ويلكوكس ) ، عبر أسلاك الهاتف ، وهو يقول :

ـــ من المتحدّث ؟

أجابه ( أدهم ) فى صوت واثق قوى ، وبانجليزية سليمة للغاية :

ـــ الرائد ( أحمد صدقى ) ، من المخابرات المصرية يا سير ( ويلكوكس ) .

عقدت ( فدوى ) حاجبيها فى شك ، وهى تغمغم :

ـــ ( أحمد صدقى ) ؟!

فى حين صمت ( ويلكوكس ) تمامًا بعض الوقت ، على الطرف الأخر للهاتف ، قبل أن يقول فى بطء .

ـ من أين حصلت على هذا الرقم يا مستر ( صدق ) ؟ .. إنه رقم سرى خاص .

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية ، وهو يجيبه :

ـ أنت رجل شهير يا سير ( ويلكوكس ) ، ومن الطبيعى أن نحتفظ بملف ضخم عنك ، وعن منظمتك الخاصة .

صمت ( ويلكوكس ) فترة أخرى ، ثم قال :

ـ وما الأسرار الأخرى ، التى يحتويها ملفى لديكم يا مستر ( صدق ) ؟

أجابه ( أدهم ) : -

ـ الكثير يا سير ( ويلكوكس ) .

ثم أضاف فى سرعة :

ـ ولكننا على أتم استعداد لتسليمك الملف كله .

قال ( ويلكوكس ) فى حذر :

ـ مقابل ماذا ؟

أجابه ( أدهم ) :

ـ مقابل صندوق أسود صغير .

طال صمت ( ويلكوكس ) هذه المرة ، حتى خيّل لـ ( أدهم ) أنه يسمع صوت أفكاره ، عبر أسلاك الهاتف ، قبل أن يقول البريطانى فى بطء حذر :

ـ لا تصلح مناقشة مثل هذه الأمور ، عبر أسلاك الهاتف يا مستر ( صدق ) .



قال ( أدهم ) فى هدوء :

ـ وماذا تقترح ؟

أجابه فى سرعة هذه المرة :

ـ سأنتظرك صباح الغد ، فى نادى الجولف .. إنك تعرفه بالطبع .. أليس كذلك ؟

قال ( أدهم ) فى برود :

ـ بلى .. فى أية ساعة ؟

أجابه فى سرعة أيضًا :

ـ العاشرة .. هل يناسبك هذا ؟

قال ( أدهم ) فى اقتضاب :

ـ بالتأكيد .

ثم أنهى المحادثة على الفور ، فهتفت به ( فدوى ) :

ـ هل ستلتقى به ؟

تطلّع إليها بنظرة طويلة صامتة ، ثم قال فى هدوء :

ـ لم يكن من المفروض أن تكونى هنا ، أو تسمعى حرفًا مما سمعته الآن ، فلا تلقى المزيد من الأسئلة .

أدهشه أن قالت فى استسلام :

ـ سمعًا وطاعة .

بدت له فى هذه اللحظة أكثر جاذبية وجمالًا ، من أية لحظة أخرى ، ولكنه قاوم مشاعره كعادته ، ونهض قائلًا :

ـ حاولى ألا تغادرى الفندق إلا للضرورة القصوى .

سألته فى رجاء :

ــ ألا تبقى قليلًا ؟ .. إن موعدك معه غدًا ، فلماذا لاتخلد إلى الراحة اليوم ؟

ابتسم فى هدوء ، وقال :

ــ عملنا لا يتوقف أبدًا .

قالت فى ضيق :

ــ وما الذى يمكنك فعله الليلة ؟

أجابها فى اقتضاب :

ــ استطلاع أرض العدو .

ثم أغلق الباب خلفه ، دون كلمة إضافية ، فارتجف قلبها بين ضلوعها .. لقد بدأت جولة جديدة .. واستعد ملك الموت مرة ثانية .

★ ★ ★



# ١٢ ــ فى ظلام الليل ..

تعلّقت ( نوفا ) بالسور المرتفع ، المحيط بقصر سير ( ويلكوكس ) ، واعتلته فى خفة ومهارة ، ثم ألقت حبلًا سميكًا إلى ( شيلنكو ) ، بعد أن ثبتت طرفه فى حافة السور ، فتسلّق ( شيلنكو ) السور بدوره ، وجلس على حافته يراقب القصر ، مغمغمًا :

ــ أتظنين وسائل الأمن هنا تسمح باقتحامنا المكان ؟

أجابته فى حدة :

ــ كلّا بالطبع ، ولكن علينا أن نبذل أقصى طاقتنا ؛ لتجاوز الاستحكامات ، وخداع وسائل الأمن ، حتى نبلغ القبو .

ثم أخرجت من جيبها ورقة مطوية ، فردتها بينها وبين ( شيلنكو ) ، مستطردة :

ــ دعنا نراجع وسائل الأمن هنا .. هناك خمسة كلاب شرسة ، تتجوّل فى الحديقة ، إلى جانب عشرة رجال مسلحين بالمدافع الآلية ، ثم أربع آلات تصوير تليفزيونية ، تحيط بالقصر ، وتنقل إلى طاقم الحراسة داخله كل ما يحدث خارجه ، وهناك ذلك السور المكهرب ، الذى نجلس فوقه .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ لقد أثبتت الثياب المطاطية العازلة نجاحها ، فلم يؤذنا التيار الذى يسرى فى السور ، كما أن الرائحة الكيميائية الصناعية ، التى ابتكرها علماؤنا ، قد أفسدت حاسة الشمّ عند الكلاب ، فلم تنتبه إلى وجودنا .

ثم ألقت حبلًا سميكًا إلى ( شيلكو ) ، بعد أن ثبت طرفه فى حافة السور ، فسلّق ( شيلكـــو ) السور بدوره ..

أضافت :

ــ وكذلك ستحجبنا عن أنظار رجال الأمن ، ونحن نعبر الحديقة ، ولكن يبقى أمامنا إزاحتهم عن الطريق ، والتشويش على آلات التصوير ، وهما عملان غاية فى الصعوبة .

أومأ برأسه موافقًا ، وقال فى حزم :

ــ هيا بنا .

ألقى سلمًا من الحبال ، إلى حديقة القصر ، ثم هبط عليه معها فى سرعة ، وراحا يزحفان وسط الأعشاب ، فى اتجاه القصر ، وغمغمت ( نوفا ) فى قلق :

ــ عجبًا ! .. كيف لم نلتق بأى رجل من رجال الحراسة حتى الآن ؟

أجابها فى قلق مماثل :

ــ ربما يجتمع بهم ( ويلكوكس ) لأمر ما .

ثم أضاف فى حزم :

ــ والمفروض أن نستغل هذه الفرصة النادرة .

أخرجت من جيبها جهازًا صغيرًا ، وهى تقول :

ــ سنفعل .

ووضعت الجهاز على الأرض ، مستطردة :

ــ عندما يبدأ هذا الجهاز عمله ، ستصاب أجهزة التصوير بخلل مؤقت ، لمدة دقيقتين فحسب ، ثم يتوقّف الجهاز عن عمله لنصف الساعة ، ويعود للعمل بعدها تلقائيًا لدقيقتين أخريين ، وهذا يعنى أن أمامنا دقيقتين فحسب ، لبلوغ قبو القصر ، وبعدها سنحصل على نصف

ساعة كاملة ، للبحث عن الصندوق ، ثم دقيقتين للعودة إلى هنا .. هل فهمت ؟

أجابها فى اقتضاب :

ــ فهمت .

ضغطت زر الجهاز ، وهتفت :

ــ هيا .

نهضا فى حركة واحدة ، واندفعا يعدوان نحو مدخل القبو ..

والعجيب أن أحدًا لم يعترضهما ، حتى بلغا المدخل ، فأخرج ( شيلنكو )من جيبه أداة صغيرة ، دسّها فى ثقب المفتاح ، وأدارها فى قوة ، فسقط لسان الرتاج ، وانفتح الباب على الفور ، فدلفا إلى القبو فى سرعة ، وأغلقا الباب خلفهما ..

ولثوان ، لم يتحرّك أحدهما حركة واحدة ، داخل القبو المظلم الرطب ، ثم لم تلبث ( نوفا ) أن أشعلت مصباحها اليدوى ، وهى تقول فى حزم :

ــ هيا .

أضاء المصباح أمامهما ممرًا طويلًا ، ينتهى بباب مغلق ، فقطعا الممر فى حذر ، حتى بلغا الباب ، فدفعه ( شيلنكو ) بيده ، وغمغم :

ــ إنه مفتوح .

ترددّت ( نوفا ) فى قلق ، وهى تقول :

ــ عجبًا ! .

ثم حسمت أمرها ، ودلفت إلى الحجرة الخالية فى حذر ، وتبعها



( شيلنكو ) ، الذى أدار مصباحه فى الحجرة الخالية ، وقال فى توتر :

ــ مامعنى هذا ؟

وفجأة ارتفع من خلفهما صوت حاد ، أشبه بارتطام زجاج بجسم معدنى ، واشتعلت الأضواء كلها دفعة واحدة ، حتى بهرت عيونهما ، فأغلقاها فى ألم ، ورفعت ( نوفا ) مسدّسها ، وهى تهتف فى عصبية :

ــ سأطلق النار .

جاوبتها ضحكة ساخرة عالية ، ميّزت فيها صوت ( مارى ) ، قبل أن يرتفع صوت سير ( ويلكوكس ) ، وهو يقول فى هدوء ساخر :

ــ معذرة ياعزيزتى ( نوفا ) .. إننى أكره الضيوف ، الذين لا يحملون دعوات خاصة ، ممهورة بتوقيعى .

فتحت ( نوفا ) عينيها ، ورأت ( ويلكوكس ) و ( مارى ) أمامها ، دون سلاح ، فرفعت مسدسها نحوهما ، وقالت : ــ لاتتبجّح هكذا يا سير ( ويلكوكس ) ، عندما تقف أعزل هكذا .

وأطلقت رصاصاتها فى غضب ..

ولكن المفاجأة كانت مذهلة بحق ..

لقد ظلّ ( ويلكوكس ) و ( مارى ) محتفظين بابتسامتهما الساخرة ، فى حين ارتطمت الرصاصات بحاجز خفى ، وارتدت فى عنف ، جعل ( نوفا ) تطلق صرخة ذعر ، وتترك مسدّسها يسقط أرضًا ، واتسعت عينا ( شيلنكو ) فى ذهول ، و ( ويلكوكس ) يقول :

ــ ادخرى رصاصاتك أيتها الرفيق ( نوفا ) ؛ فبيننا الآن حاجز زجاجى بالغ الشفافية ، مضاد للرصاص ، عازل للصوت والحرارة ، وصوتى هذا الذى تسمعينه ، ينتقل إليك عبر أجهزة صوتية خاصة .. لقد

وقعت فى الفخ يا عزيزتى ، مع زميلك الغر الساذج .. لقد كشفنا وجودكما منذ اللحظة الأولى ، فلدينا هنا رادار خاص ، يكشف أية حركة غير مألوفة ، فى حديقة القصر ، ولقد أسعدتنى محاولتكما للغاية ، فقد بدت الليلة مملة سخيفة ، ولكن رؤيتكما أثناء عبوركما الأسوار ، أعادت إلى الليلة حيويتها ، فأمرت رجالى بإخلاء حديقة القصر ، وإعادة الكلاب إلى أقفاصها ، وجلست مع عزيزتى ( مارى ) ننتظر وقوعكما فى هذا الفخ المبتكر .

ضرب ( شيلنكو ) الحائط بقبضته ، وهو يقول فى حنق :

ــ اللعنة !

تألقت عينا ( ويلكوكس ) فى ظفر ، وقال فى جذل :

ــ لا تبتئس كثيرًا يا عزيزى ( شيلنكو ) ، فأنتما أوّل صيد هنا ، ولن يلبث عمالقة المخابرات الآخرون أن يلحقوا بكم ، حتى يكتمل العدد ، ونبدأ المزاد .

ثم اتجه إلى الجدار المجاور فى هدوء ، وضغط زرًا أحمر ، فسألته ( نوفا ) فى توتر :

ــ ما هذا ؟

أجابها مبتسمًا :

ــ آلة طريفة أيتها الرفيق الضابط ، تمتصّ الهواء من سجنكما .

اتسعت عينا ( شيلنكو ) فى رعب ، واندفع نحو الجدار الزجاجى الشفاف ، وراح يضربه بقبضتيه فى عنف ، صارخًا :

ــ أخرجونى من هنا .. لا أريد أن أموت هكذا .. ليس هكذا .



صاحت به ( نوفا ) فى غضب :

ــ تماسك أيها الوغد .

ولكنه جثا على ركبتيه منهارًا ، هاتفًا فى ضراعة :

ــ أخرجونى من هنا .

أما ( نوفا ) ، فقد قلبت شفتيها فى ازدراء ، وتطلّعت مباشرة إلى عينى ( مارى ) الساخرتين الشامتتين ، قائلة فى صرامة :

ــ سنلتقى مرة أخرى أيتها القذرة .

أجابتها ( مارى ) فى سخرية :

ــ عند شاهد قبرك أيتها الرفيق .

أرادت ( نوفا ) أن تلقى عبارة أخرى ، ولكنها شعرت بأنفاسها تتثاقل ، وبوجهها يحتقن ، فصرخت بالروسية :

ــ أيها الأوغاد .

ثم سقطت على وجهها ، ولحق بها ( شيلنكو ) ، وهو يبكى فى انهيار ، حتى فقد الوعى بدوره ..

وفى هدوء ، ضغط ( ويلكوكس ) الزر الأحمر مرة أخرى ، وهو يقول فى سخرية :

ــ نومًا هنيئًا يا عزيزتى ( نوفا ) .

مطّت ( مارى ) شفتيها ، وقالت :

ــ لست أميل إلى هذا الأسلوب .

أجابها ( ويلكوكس ) فى سخرية :

ــ أعلم هذا ، فهو لا يهدر أنهارًا من الدماء .

سألته فى ازدراء :

ــ لماذا لم تقتلهما مباشرة ؟

لوّح بيده فى الهواء ، وهو يقول فى لهجة مسرحية :

ــ لأننى مازلت أحتفظ لهما بدور جيّد ، فى مسرحيتى الخاصة يا عزيزتى .

مطّت شفتيها مرة أخرى ، وقالت :

ــ يا للعبث !

أطلق ضحكة طويلة ، وضمّها إلى صدره ، وهو يقول :

ــ ألا تستحق حياتنا الجافة شيئًا من العبث والمرح يا عزيزتى ؟

ثم لوّح بذراعه مرة أخرى ، وتألّقت عيناه فى ظفر ، وهو يستطرد :

ــ إنك ستشاهدين مساء الغد أروع مشهد عرفته منظمة الجاسوسية الحرة يا عزيزتى ( مارى ) .. ستشاهدين متحف سير ( ويلكوكس ) للمخابرات .

وردّدت جدران المكان صدى ضحكته الظافرة ..

★ ★ ★

راقب ( أدهم ) ذلك الموقف منذ البداية ، بمنظاره الخاص بالرؤية الليلية ، حتى نجحت ( نوفا ) ورفيقها فى دخول القبو ، فغمغم فى سخرية :

ــ خطأ يا عزيزتى ( نوفا ) .. الفخ أوضح من أن تسقطى فيه هكذا .

رأى بعدها ( ويلكوكس ) ورجاله ، يتسلّلون إلى القبو ، فهزّ رأسه ، قائلًا :



ــ يا للخسارة !!

ثم أنزل مصباحه عن عينيه ، وتابع :

ــ لم أتصوّرك أبدًا بكل هذه السذاجة يا ( نوفا ) .

ألقى نظرة صامتة طويلة ، بعينيه المجرّدتين على حديقة القصر ، ثم لم يلبث أن أعاد المنظار إلى عينيه ، عندما لمح نشاطًا ملحوظًا فيها ، ورأى رجال الحراسة ينتشرون فى الحديقة ، ويطلقون الكلاب الشرسة ، وأحدهم يختبر السور المكهرب ، وآلات التصوير ، فتمتم محدّثًا نفسه :

ــ سور مكهرب ، وكلاب متوحشة ، وطاقم حراسة ، وآلات تصوير من الواضح أنك تحيط نفسك بحزام أمنى قوى يا سير ( ويلكوكس ) .

وخفض المنظار مرة أخرى ، وهو يتابع :

ــ ولكن والدى ــ رحمه الله ــ كان يؤكد دائمًا أنه مامن جهاز أمنى ، مهما بلغ إحكامه ، يخلو من الثغرات .. أين ثغرتك إذن يا سير ( ويلكوكس ) ؟

راح يفكّر لحظات فى عمق ، ثم لم يلبث ثغره أن حمل ابتسامة واثقة ، وهو يقول فى جذل :

ــ بالتأكيد .. هذه هى ثغرتك الأمنية .

أعاد المنظار إلى عينيه ، وراح يفحص المكان مرة أخرى فى اهتمام أكبر ، ثم لم يلبث أن غمغم فى ثقة شديدة :

ــ نعم .. هذه هى ثغرتك .

وعاد إلى سيارته فى هدوء ، وانطلق بها مبتعدًا ..

لقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع ..

مرحلة شرسة ..

★ ★ ★

# ١٣ ــ المساومة ..

جاء الصباح التالى صحوًا ، مشرقًا ، منعشًا ، مما أغرى معظم أعضاء نادى الجولف بالحضور ، فازدحمت بهم الملاعب ، على الرغم من اتساعها ، وبدأت بينهم مجموعة من المنافسات ، أشاعت جوًا حماسيًا مرحًا فى المكان ..

ووسط الجميع ، برز سير ( ويلكوكس ) بأناقته المعهودة ، ووسامته الواضحة ، ورفيقته ( مارى ) ، التى تتبعه فى كل خطواته ، مخالفة طبيعة النادى ، الذى لا تدخله النساء عادة ..

وكالمعتاد ، ربح سير ( ويلكوكس ) كل مبارياته ، وراح يوزع ابتسامته ومجاملاته على الجميع ، شأن أى ثرى انجليزى ، لا يشغل باله شىء ..

ثم ظهر ( أدهم ) ..

كانت الساعة تدق تمام العاشرة ، عندما أبصره سير ( ويلكوكس ) يعبر الملعب متجهًا إليه ، بشعره الكستنائى المصبوغ ، ولحيته الأنيقة ..

وفى هدوء ، وبابتسامة واثقة ، مد ( ويلكوكس ) يده يصافح ( أدهم ) ، قائلًا :

ــ مرحبًا بك يا مستر ( صدق ) .. يدهشنى أن أراك هنا فى الملاعب ، فقوانين النادى تقضى ألا يلتقى الأعضاء بضيوفهم هنا ، بل فى قاعات الاستقبال المخصصة لهذا .

أجابه ( أدهم ) فى هدوء :



ــ لقد أبرزت بطاقة عضوية ، فسمحوا لى بالدخول .

أطلق ( ويلكوكس ) ضحكة قصيرة ، وقال :

ــ رائع يا مستر ( صدق ) .. أسلوب مخابراتكم يروق لى كثيرًا .

لم يعلّق ( أدهم ) بحرف واحد ، وهو يتطلّع إليه فى برود ، فأضاف ( ويلكوكس ) :

ــ حسنًا يا مستر ( صدق ) ، ما العرض الذى تقدّمه لى ؟

أجابه ( أدهم ) فى هدوء :

ــ لقد أخبرتك به أمس يا سير ( ويلكوكس ) .. الصندوق مقابل ملفك لدينا .

ابتسم ( ويلكوكس ) فى سخرية ، وقال :

ــ ومن قال إن ملفى لديكم يزعجنى ؟ على العكس يا مستر ( صدق ) .. إنه يملأ نفسى فخرًا .. يمكنكم الاحتفاظ به ، مع خالص تحياتى .

سأله ( أدهم ) :

ــ ما الذى تطلبه إذن ؟

هزّ ( ويلكوكس ) كتفيه ، قائلًا :

ــ لقد عرض سير ( مايكل ) ثلاثة ملايين جنيه استرلينى .. أى مايعادل خمسة ملايين دولار ، فما عرضكم أيها المصريون ؟

قال ( أدهم ) فى هدوء :

ــ خمسة ملايين ونصف المليون .قهقه ( ويلكوكس ) ضاحكًا ، وقال :

ـــ يالك من شحيح يا مستر ( صدق ) ؟ .. أتضيف نصف مليون فقط .

مال ( أدهم ) نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ اسمع يا سير ( ويلكوكس ) .. دعنا نكشف أوراقنا بكل صراحة .. أنت تعلم مثلى أن صندوقنا الأسود مغلق برتاج خاص ، له قفل أليكترونى من تسعة أرقام ، ولو تم فتحه بوسيلة عنيفة ، فسينطلق داخله حامض قوى ، يتلف الوثائق كلها فى لحظة واحدة ، وأنتم لا تعرفون الرقم السرى الخاص بفتحه ، وستحتاجون إلى وقت طويل للغاية ، قبل كشفه .. هل تعلم كم عملية ينبغى لك أن تجريها ، لتبلغ الرقم الصحيح ؟

قال ( ويلكوكس ) فى هدوء :

ـــ أكثر من مليونى عملية .

أجابه ( أدهم ) :

ـــ هذا صحيح تقريبًا ، ويعنى أننا الجهة الوحيدة ، التى يمكنها الإفادة من الوثائق .

ابتسم ( ويلكوكس ) فى مكر ، وقال :

ـــ وماذا عن ( الموساد ) ؟ .. انهم مستعدون لدفع ضعف المبلغ الذى تعرضه ، مقابل فتح الصندوق عنوة ، وإتلاف الوثائق .

عقد ( أدهم ) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـــ اذكر المبلغ الذى تطلبه .

تأمّله ( ويلكوكس ) لحظة ، ثم قال :

ـــ ليس المال وحده هو الذى يهمنى يا مستر ( صدق ) ، فأنا كما تعلم ،



رجل ثرى للغاية ، ولكننى أعشق الإثارة والمغامرة ، وأحب أن يحصل الأفضل دائمًا على مالدى .

سأله ( أدهم ) فى برود :

ـــ ما عرضك بالتحديد يا سير ( ويلكوكس ) ؟

مال ( ويلكوكس ) نحوه ، وقال فى جذل :

ـــ اسرق الصندوق .

سأله ( أدهم ) فى حذر :

ـــ ماذا تعنى ؟

اعتدل ولوّح بكفه ، قائلًا :

ـــ ما سمعته تمامًا يا مستر ( صدق ) .. اعثر على الصندوق الأسود فى قصرى ، واسرقه ، وسيكون لك .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

ـــ ومجانًا .

وانصرف لا يلوى على شىء ..

★ ★ ★

لم تكد ( فدوى ) تلمح ( أدهم ) ، وهو يدخل إلى الفندق ، حتى تهلّلت أساريرها ، واندفعت نحوه ، هاتفة فى حرارة :

ـــ ( أدهم ) .. حمدًا لله على عودتك سالمًا .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !! .. ألا يبدو صوتك منخفضًا بعض الشىء ، بالنسبة

محاولة إبلاغ دول حلف الأطلنطى بحقيقة شخصيتى ؟

ـــ تضرَّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول فى ارتباك :

ـــ معذرة ..لقد اسعدتنى عودتك سالمًا ، حتى أننى لم أنتبه إلى ..

قاطعها بنفس اللهجة الساخرة :

ـــ ماذا تعنين بعودتى سالمًا يا عزيزتى ؟! .. هل يعتبر الصحفيون الذهاب إلى نادى الجولف مغامرة جنونية ، غير مأمونة العواقب ؟

أدركت سخريته منها ، فعقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ـــ نعم ..إذا ما كان رئيسه هو سير ( جون ويلكوكس ) .

هزَّ كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ـــ إنه مجرَّد رجل مأفون ، يتصوَّر نفسه نجمًا سينمائيًا ، فى فيلم مغامرات رخيص .

سألته فى فضول :

ـــ هل ساومك بشأن الصندوق ؟

أجابها فى سخرية ، لم تجد لها سببًا :

ـــ بل قدَّم لى عرضًا محدودًا ، فى هذا الشأن .

هتفت والفضول ينهش عقلها نهشًا :

ـــ ماهو ؟

رمقها بنظرة استهتار ، وهو يقول :

ـــ أنسيت أنه عمل مخابرات ؟

قالت فى توتر :

ـــ لا ..لم أنس هذا ، ولكننى تصوَّرت أن ثقتك بى تسمح لك



بإخبارى ما يتعلَّق بهذا .

أجابها فى حزم :

ـــ لا شأن للثقة الشخصية بعمل المخابرات .

قالت فى غضب :

ـــ حسنًا .. هذا شأنك .

وانصرفت محنقة ، وتابعها هو ببصره فى حنان ، قبل أن يتمتم فى خفوت :

ـــ هذا ما تعلَّمته من أبى ـــ رحمه الله ـــ يا عزيزتى ..كلما كانت معرفة المرء أقلّ ، تعرَّض لمخاطر أقلّ ، وأنت لا تدركين خطورة هذه اللعبة .. إنها حرب يا عزيزتى ( فدوى ) .. حرب طاحنة .

وكان على حق ..

إنه على شفا حرب ..

حرب شعواء ..

★ ★ ★

عقد ( آرثر ) حاجبيه فى توتر ، وهو يتجه بالسيارة إلى بوَّابة السور الضخم ، المحيط بقصر سير ( ويلكوكس ) ، وقال لسير ( مايكل ) ، الجالس إلى جواره :

ـــ مازلت أشعر بالحنق ؛ لتلبيتنا دعوة ذلك الحقير ، بدلًا من أن نطلق عليه النار بلا رحمة .

ابتسم سير ( مايكل ) فى رصانة ، وقال وهو ينفث دخان غليونه كعادته :

ـــ هذا لأن خبرتك ما زالت محدودة ، فى عالم المخابرات يا ( آرثر ) .

قال ( آرثر ) فى ضيق :

ـــ لا تنس أننى أفضل تلاميذك يا سير ( مايكل ) .

أجابه فى برود :

ـــ ليس فى الحياة العملية يا ( آرثر ) .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ـــ استعد لمواجهة طاقم الأمن .

لم يكن بحاجة إلى هذه النصيحة ؛ فلقد أبطأ ( آرثر ) من سرعة السيارة بالفعل ، مع مرآى ذلك العملاق ، الذى يقف أمام البوَّابة ، ممسكًا مدفعًا آليًا ضخمًا ، ومشيرًا للسيارة بالتوقف فى صرامة ..

وأوقف ( آرثر ) السيارة إلى جوار العملاق ، الذى دفع رأسه عبر نافذتها فى وقاحة ، وتأمَّل وجهى ( آرثر ) وسير ( مايكل ) بنظرة شك متحفزة ، ثم قال فى خشونة :

ـــ هل تسمحان بالهبوط ؟

غادرا السيارة فى ضيق ، فتقدَّم منهما رجل آخر ، وفحص جسديهما بجهاز خاص ، ثم قال فى غلظة :

ـــ لا أسلحة أيها السادة .

قال ( آرثر ) فى حدة :

ـــ لن أدخل مغارة ( على بابا ) هذه ، دون سلاح .

رفع العملاق فوهة مدفعه الآلى فى وجهه بحركة حادة ، وقال فى صرامة :

ـــ هل تصرّ ؟



تنهَّد سير ( مايكل ) فى ضيق ، وقال :

ـــ أعطه مسدّسك يا ( آرثر ) .

أخرج ( آرثر ) مسدّسه من جرابه فى عصبية ، وناوله إلى حامل الجهاز ، وقال :

ـــ هل يمكننا الدخول الآن ؟

أجابه العملاق :

ـــ ليس بعد .

ثم أشار إلى رجل آخر ، يحمل مدفعًا آليًا مماثلًا ، فأسرع يجلس على الأريكة الخلفية لسيارة ( آرثر ) ، وهنا قال العملاق :

ـــ الآن يمكنكما الدخول .

استقلّ ( آرثر ) و ( سير مايكل ) سيارتهما ، وفتح العملاق البوَّابة ، فأدار ( آرثر ) محرِّك السيارة فى حدة ، وعبر البوَّابة ، وهو يقول للرجل الجالس فى المقعد الخلفى فى عصبية :

ـــ هل يمكننى ضغط دوَّاسة الوقود ، أم أن هذا يحتاج إلى إذن خاص ؟

والعجيب أن الرجل أجابه فى برود :

ـــ بل يمكنك هذا .

انطلقت السيارة عبر ممرات الحديقة الواسعة ، ونبحت كلاب الحراسة الشرسة خلفها ، وتطلَّع إليها حرَّاس القصر فى تحفُّز ، والتقطت آلات التصوير صورتها ، وهى تقترب من القصر نفسه ، حتى توقَّفت أمام بابه الكبير ، وهناك استقبل سير ( ويلكوكس ) ضيفيه بابتسامة عريضة ، قائلًا :

ـــ مرحبًا بكما فى قصرى المتواضع ، يا أفضل رجال المكتب الخامس .
صافحه سير ( مايكل ) فى هدوء ، فى حين قال ( آرثر ) فى حدة :
ـــ من الواضح أنك تحيط نفسك بسوار أمنى صارم يا سير ( ويلكوكس ) .
ابتسم ( ويلكوكس ) ، وهو يقول :
ـــ هذا يمنحنى شعورًا بالأمان يا صديقى .
ثم غمز بعينه مستطردًا :
ـــ ويمنع الفضوليين ، فى الوقت ذاته .
قال ( آرثر ) فى أسلوب استفزازى :
ـــ هل تؤمن بذلك حقًا ؟
ولكن سير ( ويلكوكس ) ظلّ محتفظًا بابتسامته العريضة ، وهو يقول :
ـــ بالتأكيد يا صديقى .
وأشار إلى داخل القصر ، مستطردًا :
ـــ هيا .. تفضّلا إلى الحفل .
تبعه الاثنان إلى ردهة القصر الفاخرة ، المكتظة بالتحف الثمينة ، واللوحات الفنية النادرة ، إلى حد جعل ( آرثر ) يقول :
ـــ أراهن أن محتويات هذه الردهة تربو على المليون جنيه .
قهقه ( ويلكوكس ) ضاحكًا ، وقال :
ـــ يالك من متواضع ياصديقى ! .. إن لوحة ( سيزان ) تلك ، التى تراها فى ركن الردهة ، تساوى مليونًا ونصف مليون جنية .
هتف ( آرثر ) :



ـــ يا إلهى ! .. كم تساوى محتويات الردهة كلها إذن ؟
أجابه سير ( مايكل ) فى هدوء :
ـــ ما يقرب من المليار .
هتف ( آرثر ) فى ذهول :
ـــ ماذا ؟
ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد محنقًا :
ـــ لماذا تفعل كل هذا إذن يا ( ويلكوكس ) ؟
هزّ ( ويلكوكس ) كتفيه فى استهتار ، وقال :
ـــ من المؤكد أن لدى أسبابى .
ثم التفت إلى الردهة ، مستطردًا فى جذل :
ـــ ولكن لماذا نضيع وقتنا فى مناقشة هذه الأمور البغيضة ؟ .. دعونا نستمتع بالحفل .
قال ( آرثر ) :
ـــ أى حفل يا سير ( ويلكوكس ) ؟ .. إننا المدعوون الوحيدون هنا .. حتى صديقتك الدموية لا أثر لها .
ابتسم ( ويلكوكس ) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :
ـــ إنها تؤدى مهمة خاصة .
قال ( آرثر ) فى حدة :
ـــ مهمة قاتلة .. أليس كذلك ؟
عاد ( ويلكوكس ) يهزّ كتفيه فى استهتار ، قائلًا :
ـــ ربّما .
كان ( آرثر ) مستعدًا لمواصلة الحديث إلى مالا نهاية ، لولا أن أشار إليه سير ( مايكل ) بالصمت ، وسأل ( ويلكوكس ) مباشرة .
ـــ مادمت لاتحب إضاعة الوقت يا سير ( ويلكوكس ) ، فلماذا

لا نتحدّث مباشرة عن صفقتنا ؟

ابتسم سير ( ويلكوكس ) فى خبث ، وقال :

ــ ولِمَ لا ؟ .. هات مالديك يا رجل .

سأله ( مايكل ) على نحو مباشر :

ــ ماذا تطلب مقابل الصندوق ؟

تأمّله ( ويلكوكس ) لحظة فى صمت ، ثم قال فى هدوء :

ــ ماذا يمكنك أن تعرض ؟

أجابه ( مايكل ) فى حسم :

ــ خمسة ملايين ، وهذا آخر مبلغ يمكننا دفعه ، دون طلب موافقة مجلس الوزراء .

بدت معالم التفكير لحظات ، على وجه ( ويلكوكس ) ، ثم قال فى برود :

ــ وماذا لو رفضت هذا العرض ؟

أجابه ( آرثر ) هذه المرة :

ــ فى هذه الحالة سأقدّم لك أنا عرضًا لا يمكنك رفضه .

سأله فى سخرية :

ــ ماهو ؟

تحرّك ( آرثر ) بغتة ، قبل أن يدرك أى شخص من الحاضرين مايقصده ، فانقضّ على ( ويلكوكس ) ، وأحاط عنقه بذراعه ، وانتزع من جيبه محقنًا صغيرًا ، وضع إبرته على عنقه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ حياتك يا سير ( ويلكوكس ) .. حياتك مقابل الصندوق .

وكانت خطوة ناجحة .

★ ★ ★

فانقض على ( ويلكوكس ) ، وأحاط عنقه بذراعه ، وانتزع من جيبه محقنًا صغيرًا ، وضع إبرته على عنقه ..

# ١٤ ــ عرض خاص ..

كانت مبادرة ( آرثر ) مفاجئة بحق ، حتى أنها ألجمت ألسنة الجميع لحظات ، قبل أن يتحرّك رجال ( ويلكوكس ) فى عصبية ، ويحاولوا انتزاع مسدساتهم من مستراتهم ، ولكن ( آرثر ) قال فى حدة :

ــ حذار أن يخطو أحدكم خطوة واحدة ، فهذا المخفن يحوى سمًا زعافًا ، هو ( السيانور ) ، ولو انغرزت إبرة المخفن فى عنق سير ( ويلكوكس ) ، فسيقضى نحبه فى خمس ثوان ، قبل أن تنطلق رصاصة واحدة من مسدساتكم .

توتر الرجال فى شدة ، وتعلّقت أبصارهم بوجه زعيمهم ، فى انتظار أوامره ، فى حين بدا هو هادئًا للغاية ، وهو يسأل ( آرثر ) :

ــ هل تعتقد أنك تستطيع ربح المعركة بهذا ؟

أجابه ( آرثر ) فى صرامة :

ــ نعم .. أعتقد هذا ، فما من مخلوق حىّ ، على وجه البسيطة ، لا يملك غريزة حُب البقاء ، التى تدفعه للتضحية بكل شىء فى الوجود ، فى سبيل حياته ، وأنت لا تقاتل فى سبيل مبدأ ، يستحق أن تضحى بحياتك من أجله ، وهذا يعنى أنك ستقبل عرضى .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول ( ويلكوكس ) فى هدوء :

ــ فليكن .. لقد انتصرت يا فتى .

ابتسم سير ( مايكل ) فى ظفر ، وهو يقول :

ــ إنه تلميذى .



أجابه ( ويلكوكس ) ، فى سخرية عجيبة :

ــ ونعم التلميذ .

ضغط ( آرثر ) بساعده على عنق ( ويلكوكس ) ، وهو يقول :

ــ هيا .. مر رجالك باصطحابنا ، إلى حيث تخفى الصندوق .

قال ( ويلكوكس ) فى هدوء :

ــ فليكن .. هيا بنا .

وأطاعه فى استكانة عجيبة ، وهم يتجهون نحو القبو ، كما لو أن هزيمته لاتعنى له شيئًا ، وتبعه رجاله فى توتر وتحفّز ، وخلفهم سير ( مايكل ) ، يصوّب إليهم أحد مسدساتهم ، وهو ينفث دخان غليونه ، مزهوًا بتلميذه النجيب ، حتى بلغ الجميع القبو الرطب المظلم ، فقال ( ويلكوكس ) فى هدوء مدهش :

ــ هل يمكننى إضاءة المكان ؟

أجابه ( آرثر ) فى صرامة :

ــ لا ..لا تمسّ شيئًا .. فقط أخبرنى أين زر الإضاءة ؟

أشار ( ويلكوكس ) بيده إشارة خفيفة ، وهو يقول :

ــ إلى يمينك ، بمستوى كتفك .

مدّ ( آرثر ) يده فى حذر ، يتحسّس الجدار بظهر كفه ، بحثًا عن زر الإضاءه ، وهو يمسك المخفن فى تحفّز ، وساعده مازال يحيط بعنق ( ويلكوكس ) ..

وفجأة أطلق ( آرثر ) صرخة ألم ، وجسده يرتجف فى عنف ..

واشتعل الموقف كله دفعة واحدة .

لقد دفع ( ويلكوكس ) ( آرثر ) بمرفقه فى صدره بقوة ، وألقى نفسه إلى الأمام ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة من مكان ما ، أطاحت بمسدس ( مايكل ) ، وبعدها اشتعلت الأضواء كلها ، وغمرت المكان كضوء الشمس ..

ومن خلف جدار قريب ، برزت ( مارى ) الدموية ، وهى تبتسم فى سخرية ، وتصوّب مسدسها إلى ( آرثر ) ، قائلة :

ــ ألق تلك اللعبة أيها الذكى ، وإلا أجبرتك على حقن نفسك بها .

حدّق ( آرثر ) فى وجهها فى سخط ، وتصاعدت دماء الغضب إلى رأسه ، مع ابتسامة ( ويلكوكس ) الساخرة ، وصوته البارد ، وهو يقول :

ــ هل تصوّرت أنك أكثر ذكاءً من سير ( جون ويلكوكس ) ، يافتى المخابرات البريطانى ؟ .. هراء أيها الصبى .. لقد ألف سير ( ويلكوكس ) هذه المعارك المثيرة ، قبل أن تبدل أنت سروالك القصير ، فى المدرسة الابتدائية .

قال ( آرثر ) فى حدة :

ــ ولكن كيف لم ينتقل التيار الكهربى إليك ؟

أطلق سير ( ويلكوكس ) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ــ إنه ليس تيارًا كهربيًا يافتى ، بل مجرّد ذبذبة قوية مرتفعة .

أطلّت المرارة من عينى ( آرثر ) ، فى حين اتجه ( ويلكوكس ) بحديثه إلى ( مايكل ) ، قائلًا :

ــ أخطأت بتصوّرك أن القوة يمكنها أن تحسم الصراع بيننا يا سير ( مايكل ) .



أجابه ( مايكل ) فى برود ، دون أن يتوقّف عن تدخين غليونه :

ــ لماذا ؟ .. القوة مازالت إحدى أقوى الأساليب ، لحسم كل الصراعات .

أشار ( ويلكوكس ) إلى صدره ، قائلًا :

ــ ليس مع جون ( ويلكوكس ) .

ثم ضغط زرًا خفيًا بالجدار ، وهو يستطرد :

ــ انظر .

انزاح جزء من الجدار ، كاشفًا عن قفص صغير ، أشبه بأقفاص الحيوانات ، تحيط بـ ( نوفا ) و ( شيلكو ) ، اللذين هبا واقفين فى غضب ، عندما انزاح الجدار ، فى حين تابع ( ويلكوكس ) فى سخرية :

ــ ها هو ذا دليل حى ، على أن استخدام القوة مع سير ( ويلكوكس ) ، لا يؤدى إلا للخسارة .

أمسكت ( نوفا ) قضبان القفص فى غضب ، وهى تقول فى حدة :

ــ اقتلنا يا ( ويلكوكس ) .. اقتلنا قبل أن تفوتك الفرصة .

ارتسمت على شفتى ( مارى ) ابتسامة ساخرة ، وهى ترفع مسدّسها نحوها ، قائلة :

ــ حسنًا يا عزيزتى ، مادمت تتوسّلين من أجل هذا .

أطلّ الغضب من عينى ( نوفا ) ، كبركان ثائر ، وهى ترمقها بنظرة كالحمم ، قائلة :

ــ نعم أيتها الحمراء .. اقتلينى الآن ، وإلا فسأجعلك تندمين على كل لحظة مرّت بك ، منذ مولدك ، لو خرجت من هنا على قيد الحياة .

انعقد حاجبا ( مارى ) ، وهى تقول فى برود شرس :

ــ فليكن .

وجذبت إبرة مسدسها فى حسم ، ولكن سير ( ويلكوكس ) قال فى صرامة :

ــ ليس الآن .

بدا الغضب على وجهها ، ولكنها خفضت مسدسها ، متمتمة فى حدة :

ــ فليكن .

أما ( آرثر ) ، فقد أشار إلى القفص فى عصبية ، قائلًا :

ــ والآن ما الخطوة التالية يا سير ( ويلكوكس ) ؟ هل تنوى وضعنا فى قفص ثان ؟

ضحك سير ( ويلكوكس ) ، وهو يقول :

ــ بل قل ثالث يا رجل .

وبضغطة زر أخرى ، انزاح جانب آخر من الحائط ، كاشفًا عن قفص ثان ، يجلس داخله ( جولدمان ) فى انبهار ، ولم يكد يرى الواقفين أمامه ، حتى قفز يتعلّق بقضبان القفص ، هاتفًا :

ــ سير ( ويلكوكس ) .. أخرجنى من هنا .. أرجوك .. سأصاب بالجنون يا سير ( ويلكوكس ) .. إننى أكره الأماكن المغلقة .

أشار إليه ( ويلكوكس ) فى استهتار ، قائلًا :

ــ اهدأ يا رجل .. لقد حاولت رشوة حارسى الخاص ، وسرقة الصندوق ، وهذا جزاء عادل لما فعلت .

هتف ( جولدمان ) فى ضراعة :



ــ لقد كانت مجرّد مزحة يا رجل .. أخرجنى من هنا .. أرجوك .

لوّح ( ويلكوكس ) بيده ، قائلًا :

ــ ليس الآن يا مستر ( جولدمان ) .. لم يحن الوقت بعد .. لقد قررّت إجراء مزاد علنى لبيع الصندوق ، وسيتمّ هذا المزاد هنا .. بشروطى .

وضغط زرًا ثالثًا ، ليكشف عن قفصين خاليين ، وهو يستطرد :

ــ بعد أن يتفضّل صديقى سير ( مايكل ) بدخول هذا القفص ، مع مساعده الأشقر العصبى ، الذى يتصوّر نفسه ( جيمس بوند ) الجديد .

هتف ( آرثر ) فى حدة :

ــ إننى أفضّل الموت .

تجاهله ( ويلكوكس ) تمامًا ، وهو يستطرد :

ــ ويبقى القفص الآخر للمخابرات المصرية ، عندما يسقط مندوبها ( أحمد صدقى ) فى يدى ، و ..

قاطعه صوت ساخر ، يقول :

ــ ياله من عرض طريف !

التفت الجميع فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، واتسعت العيون كلها فى ذهول ..

فهناك ، عند مدخل القبو ، كان يقف رجل هادىء ، يصوّب مسدسه إلى الجميع ..

وكان هذا الرجل هو ( أدهم ) ..

( أدهم صبرى ) ..

★ ★ ★

تجمّد الموقف كله لنصف دقيقة كاملة ، والجميع يحدقون فى وجه ( أدهم ) ، الذى يرتكن إلى الحائط فى استخفاف ، ويصوّب مسدسه وابتسامته الساخرة إليهم ، قبل أن يهتف ( ويلكوكس ) فى ذهول :

ــ كيف .. كيف وصلت إلى هنا ؟

ولكن ( مارى ) أزاحته عن الطريق فى حركة حادة ، وهى ترفع مسدّسها نحو ( أدهم ) ، صارخة :

ــ دع السؤال لما بعد .

خُيّل إليهم أن ( أدهم ) قد أطلق رصاصته بأكبر قدر رأوه فى حياتهم ــ كمحترفين ــ من الاستهتار واللامبالاة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أصابت رصاصته مسدس ( مارى ) ، وألقت به إلى ركن الحجرة ، قبل أن يقول هو فى سخرية :

ــ معذرة يا عزيزتى ( مارى ) .. إننى أكره النساء المسلحات .

ثم اكتسى صوته بصرامة مباغتة ، وهو يستطرد :

ــ والآن يا ( ويلكوكس ) ، مر رجالك بإلقاء أسلحتهم ، ودخول ذلك القفص الكبير هناك .

قال ( ويلكوكس ) فى حدة :

ــ إننى أكره من يخاطبنى دون ألقاب .

أجابه ( أدهم ) فى سخرية :

ــ لا بأس .. مرهم بإلقاء أسلحتهم أيها الوغد ( ويلكوكس ) .. هل يروق لك هذا اللقب ؟

تفجّر الغضب فى وجه ( ويلكوكس ) ، وقال فى عصبية :



ــ وماذا لو لم أفعل ؟

أجابه ( أدهم ) فى صرامة :

ــ ستجد بصحبتك خمسة من رجالك ، فى أثناء رحلتك إلى الجحيم .

مرّت لحظة صمت قصيرة متوترة ، قطعتها ( مارى ) هاتفة :

ــ مرهم بقتله يا ( ويلكوكس ) .

ولكن ( ويلكوكس ) رمقها بنظرة متوترة ، وقال لرجاله :

ــ أطيعوا أمر هذا الرجل .

ألقى الرجال مدافعهم الآلية فى سخط ، وانحشروا داخل القفص ، وأغلقه أحدهم ، ثم ألقى المفتاح عند قدمى ( أدهم ) ، الذى ابتسم فى سخرية ، وقال :

ــ أحسنت .

وهنا قال ( آرثر ) فى عصبية :

ــ إذن فقد ربح المصريون المعركة :

هتفت ( نوفا ) فى حدة :

ــ ليس بعد .

والتفت ( ويلكوكس ) إلى ( أدهم ) ، يسأله :

ــ إنك لم تجب عن سؤالى بعد .. كيف نجحت فى الوصول إلى هنا ؟ .. كيف اخترقت جهازى الأمنى ؟

أجابه ( أدهم ) فى استهتار :

ــ مامن جهاز أمنى بلا ثغرات يا ( ويلكوكس ) .. لقد أحطت نفسك بجدار أمنى قوى ، ولكنك تركت ثغرة كبيرة .

سأله ( ويلكوكس ) فى اهتمام بالغ :

ـــ أين هى ؟

أشار ( أدهم ) إلى أعلى ، مجيبًا :

ـــ السقف .

عقد ( ويلكوكس ) حاجبيه ، وهو يقول فى حيرة :

ـــ السقف ؟! .. أى سقف ؟

أجابه ( أدهم ) :

ـــ السماء يا ( ويلكوكس ) .. لقد نسيت أن تؤمّن سماءك ، فأتيتك أنا منها .

اتسعت عيون الجميع ـــ بلا استثناء ـــ فى دهشة ، وهتف ( ويلكوكس ) :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابه بابتسامة ساخرة :

ـــ بوسيلة أبسط مما تتصوّر .. لقد استأجرت طائرة ، لعبر سماء قصرك ، وقفزت منها بمظلة هبوط إلى السطح ، ثم هبطت عبر المدخنة إلى حجرة الضيوف ، وكانت خالية لحسن حظى ، وبعدها التقيت برجلين من رجالك فى الممر الخارجى ، وأجريت معهما حوارًا قصيرًا ، سقطا بعده فاقدى الوعى ، من شدة جاذبيتى ، فاستعرت مسدس أحدهما ، وأتيت إلى هنا .

ساد الصمت تمامًا داخل القبو ، والجميع يحدقون فى وجهه غير مصدقين ..



وفجأة انفجر ( ويلكوكس ) ضاحكًا ..

انفجر كمن شاهد فيلمًا هزليًا رائعًا ..

ولثوان ، ظلّ الجميع يحدقون فى وجهه بدهشة ، وهو يضحك كالمجنون ، فيما عدا ( أدهم ) ، الذى قال فى سخرية :

ـــ عجبًا ! .. هل رأيت وجهك فى مرآة خفية يارجل ؟

توقّف ( ويلكوكس ) عن الضحك ، وقال فى جذل عجيب :

ـــ لا يا مستر ( صدق ) .. لقد تعرّفتك دون لحيتك وشاربك ، ولكننى رجل رياضى ، تبهرنى دائمًا الأساليب الجديدة المبتكرة ، وتخلب لبى العقول الذكية الجريئة .

ثم أشار إلى ( أدهم ) ، مستطردًا فى مرح :

ـــ وأعدك أننى سأنتبه جيّدًا إلى السماء ، فى المرة القادمة يا مستر ( صدق ) .

قالت ( نوفا ) فى غضب :

ـــ هذا لو أنه هناك مرة قادمة .

تجاهلها ( ويلكوكس ) تمامًا ، وهو يسأل ( أدهم ) :

ـــ والآن ماشروط المنتصر يا مستر ( صدق ) ؟

أجابه ( أدهم ) فى سخرية :

ـــ صحيح أننى أكره الأغبياء ، ولكن لا بأس .. سأحتمل هذه المرة يا ( ويلكوكس ) .. إننى أريد الصندوق .. صندوقنا الأسود .

سأله ( ويلكوكس ) فى لهفة عجيبة :

ـــ مقابل ماذا ؟

رفع ( أدهم ) فوهة مسدسه نحوه ، وهو يقول ساخرًا :

ـ ما المقابل الذى تقترحه يا ( ويلكوكس ) ؟ .. رصاصة أم رصاصتين ؟

قهقه ( ويلكوكس ) ضاحكًا ، وقال :

ـ من الطريف أنك تتحدّث كما لو كنت تملك كل الأوراق الرابحة يا مستر ( صدقى ) .

قال ( أدهم ) فى برود :

ـ ألديك اقتراح أخر ؟

قال ( ويلكوكس ) فى حماس :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار إلى ( مارى ) ، قائلًا :

ـ عزيزتى .. هلا كشفت ورقتنا لصديقنا المصرى .

رمقت ( مارى ) ( أدهم ) بنظرة نارية ، وقالت :

ـ بكل سرور .

والتفتت إلى الحائط المجاور ، فقال ( أدهم ) فى صرامة :

ـ مهلًا أيتها الدموية الحمراء .

توقّفت والتفتت إليه فى حدة ، فأضاف ساخرًا :

ـ من المؤسف أننى لا أثق فى الأجنبيات ، وبالذات ذوات الشعر الأحمر .

ضحك ( ويلكوكس ) ، قائلًا :

ـ اطمئن يا مستر ( أدهم ) .. إنها لن تخدعك ، ويمكنك أن تطلق



النار على رأسى مباشرة ، لو فعلت .

نقل ( أدهم ) بصره فى حذر ، بين ( ويلكوكس ) و ( مارى ) ، ثم قال :

ـ فليكن .

ابتسمت ( مارى ) فى استهتار ، ثم رفعت يدها تضغط زرًا أزرق .. وانزاح جانب أخير من الحائط ، ليكشف عن قفص زجاجى اسطوانى ، داخله مقعد ضخم ، استقرّ فوقه جسد معروف ، أشار إليه ( ويلكوكس ) ، قائلًا :

ـ ها هى ذى ورقتنا الرابحة يا مستر ( صدقى ) .

وانعقد حاجبا ( أدهم ) فى قوة ، فقد كان الجسد الجالس على المقعد هو جسد أقرب الناس إليه ، فى ذلك الوقت ..

جسد ( فدوى ) .

★ ★ ★

## ١٥ ــ النيـران ..

كانت مفاجأة حقيقية لـ ( أدهم ) ، الذى تطلّع فى توتر حقيقى إلى ( فدوى ) ، التى امتلأ وجهها بالرعب ، وهى مقيّدة إلى ذلك المقعد الضخم ، فى حين أشار إليها ( ويلكوكس ) ، وقال فى زهو شامت :

ــ جهازك الأمنى أيضًا لم يخل من الثغرات يا مستر ( صدق ) .. لقد تحدثت إلىّ لأوّل مرة من حجرة زميلتك هذه ، وكان هذا خطأ فادحًا ؛ إذ أننى أمتلك جهازًا إليكترونيًا حديثًا ، يتيح لى معرفة الرقم الذى يخاطبنى ، وبعدها يكفى اتصال هاتفى صغير ، مع أحد رجالى فى إدارة الهاتف ، لأعرف عنوان ذلك الرقم .. ولقد كشفنا أمر زميلتك من اليوم الأوّل ، وألقت صديقتنا ( مارى ) القبض عليها ، وأحضرتها إلى هنا ، منذ نصف الساعة فقط .

صوّب ( أدهم ) مسدّسه إليه ، وهو يقول فى غضب :

ــ أطلق سراحها يا ( ويلكوكس ) .. أو ..

قاطعه ( ويلكوكس ) مبتسمًا :

ــ مهلًا يا مستر ( صدق ) .. دعنى أتمّ حديثى أوّلًا .

ثم عاد يشير إلى القفص ، مستطردًا :

ــ لو تطلّعت إلى القفص جيدًا ، فسترى وعاءً صغيرًا عند قدمى زميلتك ، يمتلىء بحامض الهيدروكلوريك ، وفوقه كيس صغير ، يحوى سيانيد البوتاسيم .. هل تدرك ما يمكن أن يحدث ، إذا ما أسقطنا سيانيد البوتاسيم ، فى حمض الهيدروكلويك ؟



كان ( أدهم ) يدرك ماسيحدث بالضبط ، ولكنه لم ينبس ببنت شفه ، فتابع ( ويلكوكس ) ، وكأنه لم يكن ينتظر جوابًا :

ــ سيحدث تفاعل أنيق ، ينتج منه حمض هيدرات السيانيد ، وكلورات البوتاسيوم ، ويتصاعد غاز دخانى قاتل .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة ، وهو يستطرد :

ــ باختصار يا عزيزى ( صدق ) .. هذا القفص الزجاجى عبارة عن حجرة إعدام بالغاز .

كرّر ( أدهم ) فى غضب :

ــ اطلق سراحها يا ( ويلكوكس ) .

قال ( ويلكوكس ) فى برود :

ــ بل استسلم أنت يا مستر ( صدق ) ، وإلا اسقطت صديقتنا ( مارى ) الكرات داخل الحمض .

هتف ( أدهم ) فى غضب ، وهو يدير فوهة مسدّسه إلى ( مارى ) :

ــ ومن سيسمح لها بذلك ؟

رفعت ( مارى ) كعب حذائها الرفيع عن الأرض ، وقالت فى حدة :

ــ حاول أن تمنعنى أيها المصرى ، ولكن ينبغى أن تعلم جيّدًا أن زر إطلاق الغاز القاتل يختفى فى كعب حذائى ، ويكفى أن أضربه فى الأرض بقوة ، لتلقى زميلتك حتفها خنقًا .

شعر ( أدهم ) أنه قد سقط فى فخ حقيقى ..

وأنه يواجه اختيارًا مريرًا ..

كان عليه أن يحسم أمره ، فى تلك اللحظة ..

وبسرعة ..

هل ينقذ حياة ( فدوى ) ، ويتخلى عن الصندوق الأسود ، بعد أن بلغ هذه النقطة الحاسمة من الصراع ؟

أم يواصل تنفيذ خطته ، ويستعيد الصندوق ، مضحيًا بحياة ( فدوى ) ، من أجل وطنه ؟ ..

وخفق قلبه بين ضلوعه فى مرارة ..

إنه يدرك حتمية الاختيار ..

وحتمية الخسارة ..

وفجأة حدث تدخل لم يحسبه أحد ..

لقد انقضّ ( آرثر ) بغتة على ( مارى ) ، صائحًا :

ــ لا تستلم يا رجل .. أنت أملنا الأخير .

جذبها فى سقطته أرضًا ، وأمسك قدمها فى قوة ، يمنعها من ضرب كعبها بالأرض ، وهى تصرخ :

ــ اتركنى أيها الغبى .. اتركنى .

ولم يضع ( أدهم ) لحظة واحدة ..

كانت فرصة نادرة ، لم يعتد إضاعة مثلها قط ..

وفى حركة سريعة ، أدار فوهة مسدسه نحو القفص الزجاجى ، وأطلق ثلاث رصاصات مرتفعه ، حطمت جانب القفص ، وصنعت فيه فجوة كبيرة ، مع صرخة ( ويلكوكس ) :

ــ لا .. لن تربح أبدًا .

اندفع ( أدهم ) نحو القفص ، واعترض ( ويلكوكس ) طريقه ، هاتفًا :



ــ سأمنعك بالقوة .

ولكن ( أدهم ) كال له لكمة كالقنبلة ، انتزعته من مكانه ، وألقت به مترين إلى الخلف ، ثم قفز عبر فجوة القفص الزجاجى ، وهتف به ( فدوى ) :

ــ ( أدهم ) .. كنت أعلم أنك ستنقذنى فى اللحظة المناسبة ، كما يحدث فى أفلام المغامرات .

أدار رأسها جانبًا ، وهو يقول :

ــ اصمتى .

وأطلق رصاصة مزّقت قيد معصمها الأيمن ، وأخرى أزاحت قيد المعصم الأيسر ، فانحنت هى تحلّ وثاق قدميها ، فى حين نهض ( ويلكوكس ) ينتزع مسدسه الصغير ، هاتفًا :

ــ قلت لك لن تنتصر .

استدار ( أدهم ) إليه فى سرعة ، وأطلق رصاصة من مسدسه ، أطاحت بمسدس ( ويلكوكس ) ، ثم حمل ( فدوى ) بذراعه ، وقفز بها خارج القفص الزجاجى ، فى اللحظة التى ارتفع فيها صوت ( مايكل ) ، قائلًا فى صرامة :

ــ كفى .. انتهت اللعبة أيها السادة .

التفت الجميع إليه ، حتى ( مارى ) ، التى نجح ( آرثر ) فى تقييد معصمها خلف ظهرها ، بعد أن خمشت وجهه بأظفارها ، ومزّقت لحم عنقه بأسنانها ، ورأوه يصوّب إليهم مدفعًا آليًا ، التقطه من بين الأسلحة ، التى ألقاها رجال ( ويلكوكس ) أرضًا ، عند قدوم ( أدهم ) ..

وفى حركة سريعة ، رفع ( أدهم ) مسدسه نحو ( مايكل ) ، وهو يقول فى حزم :

ثم حمل (فدوى) بذراعه، وقفز بها خارج القفص الزجاجى، فى اللحظة التى ارتفع فيها صوت (مايكل)..

ـ أوافقك أنها قد انتهت يا سير ( مايكل ) ، ولكن لصالح من ؟

أجابه سير ( مايكل ) بابتسامة واثقة :

ـ لصالحنا نحن بالطبع أيها المصرى .

جذب ( أدهم ) إبرة مسدسه ، قائلًا :

ـ هل تراهن ؟

اتسعت ابتسامة سير ( مايكل ) ، وهو يقول :

ـ ستخسر الرهان حتمًا أيها المصرى ، فالمسدس الذى تحمله من طراز قديم ، تحوى خزانته ست رصاصات فحسب ، وأظنك تذكر كم رصاصة أطلقت منه .

تهلّلت أسارير ( ويلكوكس ) ، وهو يهتف :

ـ ست رصاصات .. نعم .. إننى أذكر هذا جيدًا .. لقد أطلق ست رصاصات .. رائع يا سير ( مايكل ) .. لقد انتصرت أنت .. كم يسعدنى أن يكون الفائز انجليزيًا .

قال سير ( مايكل ) فى صرامة :

ـ الصندوق يا سير ( ويلكوكس ) .

تعلّقت الأنظار كلها بـ ( ويلكوكس ) فى انتظار جوابه ، فأطلق هذا الأخير ضحكة متوترة ، وقال :

ـ بالطبع يا سير ( مايكل ) .. بالطبع .. إنك تستحق عن جدارة .. وستحصل عليه .. قد أكون مغامرًا يا سير ( مايكل ) ، ولكننى انجليزى مخلص ، لا يمكننى خيانة وطنى أبدًا .

ثم تقدّم نحو الحائط ، وضغط زرًّا خفيا آخر ، فانكشفت فجوة صغيرة ،

يرقد داخلها الصندوق الأسود ، وتألقت عينا سير ( مايكل ) لرؤيته ، وانعقد حاجبا ( آرثر ) ، وهو يغمغم :

ــ ماهذا المكان ؟ .. مغارة ( على بابا ) ؟!

أما ( جولدمان ) ، فقد أمسك قضبان قفصه فى انفعال ، وكذلك فعلت ( نوفا ) ، وهما يتطلعان إلى الصندوق ، فى حين هتف ( شيلنكو ) :

ــ هل ستتركه للبريطانيين ؟

هتفت به ( نوفا ) فى صرامة :

ــ اصمت .

وغمغمت ( فدوى ) فى أسف :

ــ يا للخسارة !

فى حين لم ينبس ( أدهم ) ببنت شفه ، وهو يتابع الصندوق ببصره ، و ( ويلكوكس ) يحمله بيده إلى ( مايكل ) ، ويسلمه إياه ، قائلًا بابتسامة عصبية مضطربة :

ــ ها هو ذا يا سير ( مايكل ) .. سأقدّمه لك مجانًا .

ولم يكد ( مايكل ) يمسك الصندوق بيده ، حتى هتفت ( نوفا ) فى انفعال جارف :

ــ اقتله يا ( مايكل ) .. اقتله .

تراجع ( ويلكوكس ) بحركة غريزية عنيفة ، ثم استعاد ابتسامته العصبية ، وهو يقول :

ــ هل جننت أيتها السوفيتية ؟ .. يبدو أنك تجهلين طبيعة النبلاء ، فى جزيرتنا العريقة .. من المستحيل أن يقتل انجليزى بنى جنسه هكذا .



صاحت وكأنها لم تسمع عبارته :

ــ اقتله أيها الرفيق ( مايكل ) .. هذا أمر .

تفجّرت جملتها كالقنبلة فى المكان ..

اتسعت عيون ( ويلكوكس ) و ( آرثر ) ، و ( جولدمان ) ، و ( فدوى ) فى ذهول ..

وانعقد حاجبا ( أدهم ) و ( مارى ) ، و ( مايكل ) نفسه فى شدة ..

كانت الجملة واضحة ..

واضحة إلى حد جعل سؤال ( ويلكوكس ) يبدو غبيًا ، وهو يقول :

ــ ما معنى هذا يا سير ( مايكل ) ؟ .. ما معنى إضافتها كلمة ( الرفيق ) هذه ؟ وما معنى قولها : ( هذا أمر ) ؟

أجابه ( أدهم ) فى هدوء ، وهو يرمق سير ( مايكل ) بنظرة صارمة :

ــ الأمر واضح للغاية يا ( ويلكوكس ) .. إن سير ( مايكل أوليفر ) ، نائب رئيس المخابرات البريطانية ، جاسوس سوفيتى .

صرخ ( آرثر ) :

ــ هذا مستحيل !

وصرخت ( نوفا ) :

ــ قلت لك اقتله .

وهنا هتف ( مايكل ) :

ــ كفى .. فليصمت الجميع .

هتف ( آرثر ) :

ــ قل لهم : إنهم مخطئون يا سير ( مايكل ) .. أخبرهم أنهم أغبياء ، وأنه

من المستحيل أن تكون أنت بالذات ..

قاطعه ( مايكل ) فى عصبية :

ــ لا يوجد مستحيل يا ( آرثر ) .

اتسعت عينا ( آرثر ) فى ذهول وهلع واستكار ، فى حين تابع سير ( مايكل ) فى توتر :

ــ لا يوجد مستحيل فى عالمنا .. إننى أعمل لحساب السوفيت منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا .. أعمل معهم لأننى أومن بالمبادىء الشيوعية .

قال ( أدهم ) فى سخرية :

ــ بالتأكيد .. كل الأغبياء يفعلون هذا .

هتف ( مايكل ) :

ــ هذا شأنى .. لقد ساعدتهم طيلة عمرى ، وسأظلّ أساعدهم حتى النهاية .

اتسعت عينا ( ويلكوكس ) فى ذهول ، وهو يهتف :

ــ مستحيل !!

أما ( آرثر ) ، فقال كالمصعوق :

ــ أنت ؟! .. أنت يا سير ( مايكل ) ؟

صاح به ( مايكل ) :

ــ نعم .. أنا .. لا تحدّق فى وجهى هكذا كالأبلة .. هيا .. اترك تلك الحمراء ، وافتح ذلك القفص ، واطلق سراح ( نوفا ) وزميلها .

دفع ( آرثر ) ( مارى ) جانبًا ، وقال فى صرامة :

ــ لن أفعل يا سير ( مايكل ) .. لن أفعل مهما كان الثمن .



بدا لحظة أن ( مايكل ) سيكرّر مطلبه فى صرامة ، ولكنه لم يلبث أن أشاح بوجهه عن ( آرثر ) ، وقال لـ ( ويلكوكس ) :

ــ أطلق أنت سراحهما .

شحب وجه ( ويلكوكس ) ، وقال :

ــ ولكن تلك الشقراء ستقتلنى لو فعلت يا سير ( مايكل ) .

صرخ ( مايكل ) :

ــ أيها الجبناء .

ثم استدار فى حركة حادة ، وأطلق رصاصات مدفعه على رتاج القفص ، فحطمه تمامًا ، وأطلق سراح ( نوفا ) و ( شيلنكو ) ..

ولكنه أبعد وجهه عن ساحة المعركة لحظة ..

وفى هذه اللحظة حدث الكثير ..

الكثير جدًا ..

لقد دفع ( أدهم ) ( فدوى ) جانبًا ، وانقضّ على ( مايكل ) ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها ( آرثر ) نحو أحد المدافع الآلية ، الملقاة أرضًا ..

وكال ( أدهم ) لـ ( مايكل ) لكمة كالقنبلة ، أطاحت به أرضًا ، وأسقطت مدفعه الآلى ، ثم انتزع منه الصندوق ، ودار على عقبيه فى رشاقة وسرعة ، وهوى بالصندوق على وجه ( ويلكوكس ) ..

واندفع ( شيلنكو ) و ( نوفا ) خارج قفصهما ، وانقضّ الأوّل على ( أدهم ) ، يحاول انتزاع الصندوق منه ، فى حين انقضت ( مارى ) على ( آرثر ) ، تحاول منعه من التقاط المدفع الآلى ، والتقطت ( نوفا ) مدفعًا آليًا ، رفعته فى وجه ( ويلكوكس ) ، صارخة :

ـ ستموت أيها الحقير .

صرخ ( ويلكوكس ) :

ـ لا ..لا ..

ولكن رصاصات مدفعها انهالت عليه كالمطر ..

واخترقت جسده بلا رحمة ..

وسقط سير ( ويلكوكس ) جثة هامدة ..

وصرخت ( مارى ) ، وقد نسيت صراعها مع ( آرثر ) :

ـ ( ويلكى ) ..

استدارت إليها ( نوفا ) ، وصرخت فى غضب هادر :

ـ الحقى به ، مادمت تحبينه إلى هذا الحد .

ولكن ( أدهم ) لكم ( شيلكو ) فى اللحظة نفسها ، فارتطم بها ، وانطلقت رصاصات مدفعها نحو السقف ، فتراجعت ( مارى ) فى سرعة ، واندفعت نحو ممر القبو الطويل ، وخرجت من القبو صارخة :

ـ لقد قتلت ( ويلكى ) .. قتلت ( ويلكى ) .

وهبَّ ( آرثر ) فى الوقت نفسه ، ورفع المدفع الآلى فى صرامة ، صائحًا :

ـ كفى .

وأعقب هذا بإطلاق رصاصات مدفعه الآلى فى الهواء ، فتراجعت ( فدوى ) فى ذعر ، والتصقت بالحائط فى رعب ، فى حين توقفت ( نوفا ) عن الصراخ ، والتفتت إليه فى غضب ، ورفع ( شيلكو ) ذراعيه ، وقال ( أدهم ) فى صرامة :

ـ هل ستقتلنا ؟



أجابه ( آرثر ) فى حدة :

ـ نعم .. ودون تردّد .. لو اقتضى الأمر هذا .

قالت ( نوفا ) فى حدة :

ـ وماذا لو أطلقت أنا النار عليك أوّلًا ؟

نهض ( مايكل ) ، وأمسك مدفعها الآلى ، وهو يقول فى حدة :

ـ لا يا ( نوفا ) .

وانتزع المدفع من يدها ، والتفت به إلى ( آرثر ) قائلًا فى حزم :

ـ لن أسمح لك بقتله .

ثم ضغط زناد مدفعه بغتة ، مستطردًا فى شراسة :

ـ سأقتله أنا .

وانطلقت رصاصات مدفعه تخترق جسد تلميذه ..

تلميذه الوحيد ..

★ ★ ★

لم يكن ( آرثر ) يتوقّع هذا .

حتى بعد كشفه لخيانة سير ( مايكل ) ، لم يتصوّر هذا أبدًا ..

لهذا حدَّق فى وجه سير ( مايكل ) فى ذهول ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وران الصمت لحظة قصيرة للغاية ، قبل أن يصفق ( أدهم ) بكفيه فى برود ، ويقول فى صوت قاس كالفولاذ :

ـ أهنئك يا سير ( مايكل ) .. هأنذا تثبت أن الجواسيس والخونة

يكونون عادة رجالًا بلا قلب ، وأنت تقتل أقرب تلاميذك إليك بلا رحمة أو تردد .

أجابه سير ( مايكل ) فى حدة :

ــ هذا قانون عالمنا .

قال ( أدهم ) فى صرامة :

ــ أى عالم ؟ .. عالم المخابرات ، أم عالم الأوغاد ؟

هتفت ( نوفا ) :

ــ ماذا تنتظر ؟ .. اقتله .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ــ اتركى لى هذا الأمر يا ( نوفا ) .

ثم أشار إلى قفص قريب ، وقال :

ــ هيا أيها المصرى .. ادخل مع زميلتك هذا القفص .

صاحت ( نوفا ) :

ــ لن نتركهما خلفنا يا ( مايكل ) .. سنقتلهما حتمًا .

ولكنه تجاهلها هذه المرة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هيا أيها المصرى .. لن أنتظر طويلًا .

جذب ( أدهم ) ( فدوى ) من يدها ، وهو يقول :

ــ لا يا ( مايكل ) .. لن ندخل إلى القفص .. سننصرف من هنا الآن ، و ..

وفجأة هوى ( شيلنكو ) على رأس ( أدهم ) بقبضته ، فى لكمة قوية عنيفة غادرة ، ارتجّ لها رأس ( أدهم ) فى قوة ، وسقط فاقد الوعى ..



وأطلقت ( فدوى ) صرخة هلع ، عندما سقط ( أدهم ) ، فرفعت ( نوفا ) عينيها إليها فى حدة ، وهتفت :

ــ اصمتى يا امرأة .

ثم أشارت إلى ( شيلنكو ) ، مستطردة :

ــ هيا .. ضعها مع زميلها داخل القفص .

والتفتت إلى ( مايكل ) ، تسأله :

ــ ماذا تنوى أن تفعل بهما ؟ إن تلك اللعينة ، ذات الشعر الأحمر ستعود بعد قليل حتمًا ، مع رجال الحراسة ، الذين يحيطون بالقصر ، ولابد لنا من الفرار بسرعة .

أجابها فى حزم ، وهو يتابع ( شيلنكو ) ببصره ، وهو يحمل ( أدهم ) الفاقد الوعى إلى القفص :

ــ خطأ .. إن بقاءنا هنا هو أفضل الحلول ، فلن يمكنهم اقتحام القبو ، ونحن ندافع عنه ، ثم إن رجال الشرطة سيقتحمون المكان بعد دقائق ، بحسب الخطة الموضوعة ، وسيتمّ إلقاء القبض على الجميع ، وعند حدوث ذلك ، سيكون كل من علم بأمر عملى لحسابكم قد لقى مصرعه .

أشارت إلى رجال ( ويلكوكس ) ، الذين انكمشوا فى رعب داخل قفص صغير ، وإلى ( جولدمان ) ، قائلة :

ــ فيما عدا هؤلاء .

ألقى نظرة لامبالية على الرجال الخمسة و ( جولدمان ) ، ثم رفع فوهة مدفعه الآلى نحوهم ، وحصدهم بسيل من رصاصات المدفع بلا رحمة ، ثم قال فى برود :

ـ ها نحن أولاء قد أزحناهم عن الطريق .

أشارت إلى ( أدهم ) و ( فدوى ) ، اللذين وضعهما ( شيلنكو ) داخل القفص ، وقالت :

ـ وهؤلاء .

ابتسم ( مايكل ) ، قائلًا :

ـ سيلقيان المصير نفسه ، ولكن بوسيلة مبتكرة .

واتجه إلى الصندوق الزجاجى ، وحمل وعاء الحامض ، وكيس سيانيد البوتاسيوم ، ووضع الوعاء داخل القفص ، فتراجعت ( فدوى ) فى رعب ، وهى تقول :

ـ ماذا ستفعل بنا ؟

ارتفع صوت أبواق سيارات الشرطة ، مختلطًا بدوى رصاصات ، وهو يقول فى سخرية :

ـ مجرَّد تحية صغيرة .

ثم أشار إلى ( نوفا ) و ( شيلنكو ) ، قائلًا :

ـ احبسا أنفاسكما ، فستنصرف على الفور .

وألقى الكيس داخل الحامض ، وأسرع ينصرف معهما ، تاركًا ( أدهم ) فاقد الوعى ، و ( فدوى ) ترتجف من الرعب ، وإلى جوارهما وعاء صغير ، تتصاعد منه أبخرة الغاز ..

الغاز القاتل .

★ ★ ★



# ١٦ ـ العودة ..

تطلَّعت ( منى ) فى لهفة إلى ( قدرى ) ، الذى توقَّف عن السرد ، وراح يتلفَّت حوله ، ويتململ فى مجلسه ، وهتفت به :

ـ ماذا أصابك ؟ .. لِمَ لا تواصل روايتك ؟

أجابها فى عناد طفولى :

ـ أنا جائع .

قالت فى لهفة :

ـ أكمل الرواية ، وسأبتاع لك وجبة لم تحلم بها .

هزَّ كتفيه ، وقال :

ـ لا .. لن أحتمل الانتظار .

ونهض مستطردًا :

ـ سأذهب لإحضار بعض الشطائر ، و ..

صاحت فى حزم :

ـ مستحيل !

هتف معترضًا :

ـ لن يمكننى الاستمرار دون طعام .. لقد أرهقنى التحدّث طويلًا ، وجفّ حلقى من كثرة الكلام .

هبّت صائحة :

ـ ولكننى لن أسمح لك بترك الحجرة لحظة واحدة .

وقفزت إلى الهاتف الداخلى ، فأدارت رقمًا قصيرًا ، وقالت :

ـ صباح الخير يا ( صالح ) .. أنا ( منى ) .. ( منى توفيق ) .. كيف حالك أنت .. اسمع يا ( صالح ) .. أريد ست شطائر من اللحم المشوى .

زمجر ( قدرى ) ، قائلًا :

ـ لن تكفى .

قالت ضاحكة :

ـ فليكن .. إجعلها عشرا يا ( صالح ) .

هزَّ ( قدرى ) كتفيه المكتظين ، وغمغم :

ـ هذا لو أنك ترفضين مشاركتى الطعام .

ضحكت مرة أخرى ، وقالت :

ـ لاتنس إضافة أربعة زجاجات من المياة الغازية على الأقل ..وبسرعة .

ثم أعادت السمّاعة إلى موضعها ، وعادت إلى مقعدها ، وقالت لـ ( قدرى ) ، فى لهجة يقطر منها الفضول :

ـ والأن أخبرنى .. كيف نجا ( أدهم ) من قفص الغاز هذا ؟

تململ لحظة ، ثم تنهَّد فى استسلام ، قائلًا :

ـ لا بأس .. سأخبرك .

وأخبرها ..

★ ★ ★

لم تشعر ( فدوى ) فى عمرها كله بالرعب ، مثلما شعرت به فى هذه



اللحظة ، عندما بدأت أبخرة الغاز القاتل تتصاعد من وعاء الحامض ، و ( أدهم ) يرقد على قيد خطوات منها فاقد الوعى ..

وبدا لها أنها النهاية ..

نهايتها ..

ونهاية ( أدهم ) ..

ولم تكد تذكر فى ذهنها اسم ( أدهم ) ، حتى انبعث فى أعماقها أمل جديد ، فانحنت تهزّ ( أدهم ) فى قوة ، وهى تقول :

ـ ( أدهم ) .. استيقظ .. حاول أن تستعيد وعيك يا ( أدهم ) .. هيا .. استيقظ .. أرجوك .

فتح ( أدهم ) عينيه فى بطء ، ثم اعتدل فى حركة حادة ، هاتفًا :

ـ هل سرقوا الصندوق ؟

أدهشتها استعادته المباغتة لوعيه وحيويته ، فحدَّقت فى وجهه لحظة ، ثم هتفت فى ذعر :

ـ إنهم يقتلوننا بالغاز .

فهم الموقف كله من نظرة واحدة ، فأمسك يد ( فدوى ) فى قوة ، وهو يقول فى لهجة حازمة آمرة :

ـ ارقدى على وجهك .

أطاعته بلا مناقشة ، وهى تسأله :

ـ هل سينقذنا هذا ؟

أخرج من جيبه منديلًا ، أحاط به أنفها وفمها ، وهو يقول :

ـ ربما .. هذا الغاز خفيف الوزن ، يتصاعد إلى أعلى ، وستبقى

أرضية القفص محتفظة بالهواء النقى لفترة طويلة ، وهذا أملنا الوحيد .. والآن اصمتى تمامًا ، فالحديث يضطرك إلى استهلاك هواء أكثر ، وغاز أكثر .

سألته فى قلق :

ــ وماذا عنك ؟

ضغط رأسها إلى أسفل فى حزم ، حتى ارتطم أنفها بأرضية القفص ، ثم كتم أنفاسه ، ونهض يفحص رتاج القفص فى اهتمام بالغ ..

كان رتاجًا تقليديًا ، يحتاج إلى مجرَّد أداة رفيعة لفتحه ..

ولكن ( أدهم ) لم يكن يملك مثل هذه الأداة ..

وفى سرعة ، انحنى نحو ( فدوى ) ، وفحص شعرها بأصابع مرنة ، قبل أن يلتقط منه مشبك شعر رفيع ، دسّه فى ثقب الرتاج ، وراح يعالجه فى اهتمام وعناية ..

ومضت لحظات قصيرة ، بدت لـ ( فدوى ) أشبه بدهر كامل ، قبل أن يرتفع صوت سقوط اللسان ، ثم تحيط ذراع ( أدهم ) القوية بوسطها ، وتنتزعها من مكانها ، ووجدت نفسها تطير فى الهواء ، فى ذراع ( أدهم ) ، ثم تهبط على قدميها وسط القبو ، و ( أدهم ) يهتف :

ــ هيا .. أسرعى .

انطلقا يعدوان عبر ممر القبو ، حتى بلغا بابه ، وتناهت إلى مسامعهم أصوات الطلقات النارية ، التى يتبادلها رجال الشرطة مع رجال ( ويلكوكس ) ، فهتفت ( فدوى ) :

ــ لن ننجح أبدًا .



قال فى صرامة :

ــ لا تكرّرى هذا القول قط .

أدار عينيه فى المكان بسرعة ، ثم دفع بابًا جانبيًا صغيرًا ، وهو يقول :

ــ ترى ما الذى يمكن أن نجده هنا ؟

تألّقت عيناه ، عندما وقع بصره على دراجة بخارية جديدة ، تستقر لامعة أنيقة ، داخل حجرة خاصة صغيرة ، وقال فى سخرية :

ــ لو أن خزان وقود تلك الدراجة الآلية ممتلئ بالوقود ، فسأشكّ فى أن ملاكى الحارس يشاركنى هذه المهمة .

فحص خزان الوقود فى سرعة ، وهتف :

ــ رائع .

سألته فى لهفة :

ــ أهو ممتلئ ؟

هتف :

ــ بالطبع .

ثم قفز فوق الدراجة البخارية ، واستطرد :

ــ هيا أيتها الصحفية الجريئة .. اركبى خلفى ، وسأصحبك فى رحلة فريدة ، يندر أن تتاح لصحفى فرصة القيام بها .

أسرعت تركب خلفه ، وهى تقول :

ــ اسرع .. إنهم يقتربون من هنا فى سرعة .

قال مبتسمًا :

ــ على الرحب والسعه .

ثم انطلق بالدرّاجة البخارية ، هاتفًا :

ـــ تشبّثى جيّدًا .

تجاوز باب القبو فى مهارة مدهشة ، وانطلق بالدرّاجة البخارية وسط الحديقة ، متجهًا نحو رجال الشرطة مباشرة ، ولُخيّل لـ ( فدوى ) أنها تشاهد آخر لحظات حياتها ، عندما رفع رجال الشرطة أسلحتهم نحو الدرّاجة البخارية ، وهتف قائدهم فى قوة :

ـــ توقّف .

تجاهل ( أدهم ) النداء تمامًا ، وانحرف بالدرّاجة فى حركة حادة ، فانزلقت فوق الحشائش الرطبة ، وكادت تنقلب ، لولا مهارته الفريدة ، التى جعلته يسيطر عليها تمامًا ، ثم ينطلق بها بمحاذاة رجال الشرطة ، الذين راحوا يطلقون النار خلفه فى استماتة ، وهو يناور بدراجته فى مهارة مدهشة ، محاولًا بلوغ بوّابة القصر ..

ولكن قائد الشرطة أدرك هدفه ، فصاح فى رجاله :

ـــ اغلقوا البوّابة .. أطلقوا النار على أى شخص يحاول تجاوزها .

أطاع رجاله الأمر فى سرعة ، ورأتهم ( فدوى ) يغلقون البوّابة ، فصرخت :

ـــ لقد أغلقوها فى وجهنا .

درس ( أدهم ) الموقف بنظرة سريعة ، توقّفت عند واحدة من سيارات الشرطة ، تقف على بعد ثلاثة أمتار من السور ، وقال فى حسم :

ـــ دعيهم يفعلون .

دار بالدرّاجة البخارية ، وانطلق بها مبتعدًا عن السور ، فهتفت به :



ـــ أين سنذهب ؟

لم يجب ، وإنما واصل انطلاقه بالدرّاجة ، حتى صار على بعد مائتى متر من السور ، ثم استدار يواجهه مرة أخرى ، ويقول لـ ( فدوى ) فى حزم :

ـــ تشبثى بكل ما يمكنك من قوة .

تشبثت به بكل قواها ، وهى تسأله فى ذعر :

ـــ ماذا ستفعل ؟

لم يجب هذه المرة أيضًا ، وإنما أطلق العنان للدرّاجة البخارية ، التى شقت طريقها نحو السور كالصاروخ ، فاتسعت عينا ( فدوى ) فى رعب ، وتوقّف الجميع عن إطلاق النار ، وقائد الشرطة يقول فى توتر حائر :

ـــ ماذا ينوى هذا الأحمق أن يفعل .

كان ( أدهم ) يتجه فى سرعة مخيفة نحو السور ، وكأنه ينوى الارتطام به ، فاحتبست أنفاس الجميع ، وأطلقت ( فدوى ) شهقة رعب ، وأغلقت عينيها فى قوة ..

ثم جذب ( أدهم ) مقود السيارة إلى أعلى ، وقفز بها فوق سيارة الشرطة ، و ..

وكان مشهدًا مذهلًا ..

مشهدًا لن ينساه شخص واحد ممن رأوه ، مهما بقى له من العمر ..

لقد قفزت الدرّاجة البخارية من فوق سيارة الشرطة كالصاروخ ، وقطعت الأمتار الثلاثة التى تفصلها عن السور ، كطائرة صغيرة ، قبل أن

لقد قفزت الدرّاجة البخارية من فوق سيارة الشرطة كالصاروخ، وقطعت الأمتار الثلاثة التى تفصلها عن السور، كطائرة صغيرة ..

تتجاوز السور المرتفع ، ثم تبدأ فى الهبوط خلفه ..

واتسعت العيون فى ذهول ..

وفى انبهار ، غمغم قائد الشرطة :

ــ يا للمجنون ! .. سيتحطمّ حتمًا ..

ولكن الدرّاجة هبطت فى سرعة ، وارتفع إطارها الأمامى بجذبة من يد ( أدهم ) ، قبل أن يلمس إطارها الخلفى الأرضى ، فى مشهد مبهر ..

( فدوى ) وحدها ، دون الحاضرين جميعًا ، لم تر ذلك المشهد ..

لقد تشبّثت بـ ( أدهم ) ، بكل ماتملك من قوة ، وهوى قلبها بين ضلوعها ، عندما شعرت بالدرّاجة تقفز فى الهواء ، وهى مغمضة العينين ، ثم كادت معدتها تقفز عبر فمها ، مع هبوط الدرّاجة ..

وعندما استقرّ الإطار الخلفى للدرّاجة على الأرض ، أطلقت صرخة ذعر ، خُيّل إليها أن الدرّاجة ستقلب رأسًا على عقب ، ولكن مهارة ( أدهم ) المذهلة سيطرت على الموقف تمامًا ، على نحو مبهر ، حتى أنه لم يكد الإطار الأمامى يلمس الأرض بدوره ، حتى انطلق ( أدهم ) بالدرّاجة مبتعدًا كالصاروخ ..

وعم الذهول ثوان ، تجمّدت خلالها الحركة تمامًا ، قبل أن ينتزع قائد الشرطة نفسه من ذهوله ، ويصرخ :

ــ الحقوا به .. أوقفوا هذا الشيطان ..

ولكن هيهات ..

لقد فرّ الصيد ..

وبدأت جولة جديدة ..

★ ★ ★

## ١٧ ــ لعبة انتحارية ..

تطلّعت ( فدوى ) إلى وجه ( أدهم ) الحليق ، فى إعجاب وانبهار كاملين ، وتأبّطت ذراعه فى حب واضح ، وهى تقول فى هيام :

ــ يا إلهى ! .. لم أحلم يومًا بكل هذه السعادة .

تطلّع ( أدهم ) إليها فى دهشة ، وهما يسيران جنبًا إلى جنب ، بعد أن تخلّص من الدرّاجة البخارية ، وقال فى سُخرية :

ــ السعادة ؟! .. هل تجدين سعادتك فى الفرار من القتلة واللصوص ؟

أجابته فى همس :

ــ بل فى أن تحيط بى المخاطر من كل صوب ، ويحدق بى الموت فى كل جانب ، ثم يأتى فارس أحلامى الهمام ، وينقذنى من كل هذا ، ويحملنى على صهوة جواده الأبيض ، و ..

قاطعها متهكمًا :

ــ ويلقى بك فى البئر المسحورة .

عقدت حاجبيها ، وهى تهتف فى غضب :

ــ ( أدهم ) .. لا تفسد الصورة .

قال ساخرًا :

ــ أية صورة ؟ .. إننا نواجه موقفًا لا نُحسد عليه ، وأنت تتخيلين عالمًا رومانسيًا .

قالت فى حدة :



ــ ولِمَ لا ؟ .. لن يغير أحلامى ما نواجهه .

أجابها فى حسم :

ــ ولكنها ستلهينا عنه .

هتفت :

ــ وماذا يمكننا أن نفعل الآن ؟

أجاب فى صرامة :

ــ سأكمل مهمتى .

قالت محنقة :

ــ أية مهمة ؟ .. لقد حصل سير ( مايكل ) و ( نوفا ) و ( شيلنكو ) على الصندوق ، ولست تدرى حتى أين هو الآن ، فى ( لندن ) مع نائب مدير المخابرات البريطانية ، أم فى ( موسكو ) ، خلف الستار الحديدى(*)

أجابها فى ثقة :

ــ إنه فى ( موسكو ) حتمًا ، فما دام ( مايكل أوليفر ) عميلًا سوفيتيًا ، فلن يسلّم الصندوق إلى البريطانيين ، بل سيساعد ( نوفا ) و ( شيلنكو ) على الفرار به إلى ( موسكو ) .

---

(*) الستار الحديدى= مصطلح أطلقه الغرب على أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى ، نظرًا للسرية الشديدة ، التى تحيط بها هذه الجبهة كل أمورها ، ولإصرار السوفيت على اعتبار كل أجنبى جاسوسًا ، حتى يثبت العكس ، ولقد انتهى كل هذا فى أواخر الثمانينيات ، على يد الزعيم السوفيتى ( ميخائيل جورباتشوف ) .

قالت فى توتر :

ــ وهذا يجعل اللعبة فى حكم المنتهية .

قال فى صرامة :

ــ من قال هذا ؟ .. إنهم ما زالوا يجهلون الشفرة السرية لفتح الصندوق ، وهذا يعنى أننا نملك بعض الوقت .

هتفت :

ــ بعض الوقت لماذا ؟

أجاب فى حسم :

ــ للسفر إلى ( موسكو ) ، ومحاولة استعادة الصندوق .

تجمدت فى مكانها ، وحدقت فى وجهه فى رعب وذهول ، قبل أن تهتف :

ــ هل جننت يا ( أدهم ) ؟ .. ألا تدرك من هم السوفيت ، وكيف يتعاملون مع الأجانب ، خلف ستارهم الحديدى ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

ــ إننى لم أتعامل معهم من قبل ، ولكننى أعرفهم جيّدًا .

صاحت :

ــ لن أتركك وحدك .

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، ثم ابتسم فى حنان ، وهو يمسك كتفيها ، ويتطلّع إلى عينيها ، قائلًا :

ــ اسمعينى جيّدًا يا ( فدوى ) .

قاطعه هاتفة :



ــ أصبحت أمقت هذه الجملة .

تنهّد قائلًا :

ــ لا بأس .. احتمليها للمرة الأخيرة ، وأرهفى سمعك .. لست أدرى كيف أصبحنا لصيقين إلى هذا الحد ، ومن المؤكد أن أى زميل لى سيصاب بالذهول ، لو سمع ما نتحدّث فيه ، وسيكون لرؤسائى كل الحق فى مجازاتى ؛ لأننى أصطحب صحفية فى مهمة رسمية ، من مهام المخابرات ، المفروض إحاطتها بأكبر قدر ممكن من السرية والكتمان ، ولكن الأمور لم تعد تحتمل التفكير فى مثل هذه العواقب .. المهم أن تستيقظى من الحلم ، قبل فوات الأوان .. إنك لست فتاة مخابرات يا ( فدوى ) .. إنك صحفية ، وأكررّ أنك لا تستطيعين كتابة حرف واحد من كل هذا ، فى أية صحيفة ، فلماذا تخاطرين بنفسك إذن ؟

لم تجب ، ولكن عينيها أفصحتا عن الكثير ، فتابع فى حنان عجيب :

ــ فى هذه المرة سأطالبك بالانتظار ، والرحيل إلى ( القاهرة ) ، فكما قلت بنفسك : ( الاتحاد السوفيتى ) ليس دولة عادية .. وعواقب الخطأ هناك وخيمة ، والتعامل خلف الستار الحديدى يحتاج إلى المحترفين .. والمحترفين فقط .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تتطلّع إليه ، هامسة :

ــ إننى أحبك .

تطلّع إلى عينيها بنظرة عميقة صامتة ، قبل أن يقول فى خفوت :

ــ ارحلى يا ( فدوى ) .. ارحلى قبل فوات الأوان .

ثم أفلت ساعدها من يده ، وكررّ :

ـــ ارحل .

وابتعد عنها فى خطوات سريعة ..

وحاسمة ..

★ ★ ★

على الرغم من الطقس شبه الحار ، الذى ساد القارة الأوربية ، فى هذا الوقت من العام ، كان الطقس فى ( موسكو ) شديد البرودة ، وإن لم يبلغ بعد تلك الدرجة الرهيبة من الانخفاض ، التى تكاد تتجمّد لها الكلمات على الشفاة ، مثلما يحدث فى فصل الشتاء ..

وفى حجرة مكيّفة الهواء ، تطلّ على الميدان الأحمر مباشرة ، وقف ( شيلنكو ) عاقدًا كفيه خلف ظهره ، مرتديًا ثوبًا عسكريًا سوفيتيًا رسميًا ، ومتطلعًا فى توتر بالغ إلى شاب فى مثل سنه تقريبًا ، انهمك فى فحص الرتاج السرى للصندوق الأسود الصغير ، وإلى جواره ( نوفا ) ، التى سألته فى عصبية :

ـــ ألم تعثر على الشفرة السرية بعد ؟

أجابها الشاب فى هدوء :

ـــ رويدك أيتها الرفيق ( نوفا ) .. إنها شفرة من تسعة أرقام ، وتحتاج إلى مليونى محاولة على الأقل لفتحها .

هتفت محنقة :

ـــ وهل سأقضى عمرى كله فى انتظار هذا ؟

عقد ( شيلنكو ) حاجبيه ، وقال متوترًا :



ـــ وما الذى يقلقك إلى هذا الحد ، أيتها الرفيق ( نوفا ) ؟ .. لقد حصلنا على الصندوق ، وأمامنا العمر كله لفتحه .

لوّحت بذراعها ، هاتفة :

ـــ خطأ يا رفيق ( شيلنكو ) .. هذا الصندوق يحوى اسم عميل ( الموساد ) بين صفوفنا ، وكشف أمر هذا العميل مبكّرًا ، يعنى منعه من نقل المزيد منى أسرارنا إلى الاسرائيليين .

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يتمتم :

ـــ بلا شك أيتها الرفيق ( نوفا ) .. بلا شك .

استدارت هى إلى الشاب الأحمر ، وسألته :

ـــ كم من الوقت تحتاج ، لحل تلك الشفرة السرية ؟

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـــ من يدرى ؟ .. ربما أتوصّل إلى الرقم الصحيح بعد دقائق ، أو بعد عدة شهور ؟

صرخت مستنكرة :

ـــ عدة شهور .

ارتفع رنين هاتفها الخاص فى هذه اللحظة ، يمنعها من الاستطراد ، فاختطفت سمّاعته فى حركة حادة ، ووضعتها على أذنها ، قائلة :

ـــ من المتحدّث ؟

زوت مابين حاجبيها فى اهتمام بالغ ، وهى تستمع إلى محدّثها ، وقالت فى اقتضاب غامض :

ـــ متى ؟

استمعت إليه لحظات حرى ، ثم أجابته فى حزم :

ــ سأصل على الفور .

وأعادت سمّاعة الهاتف ، وهى تقول للشاب فى صرامة :

ــ واصل محاولاتك لفتح هذا الصندوق اللعين ، وسأعود بعد قليل .

سألها ( شيلنكو ) ، وهى تسرع نحو باب الحجرة :

ــ ماذا هناك ؟

لوّحت بكفها ، هاتفة :

ــ مشكلة تتعلّق بالأمن .

وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، فانعقد حاجب ( شيلنكو ) أكثر وأكثر ، واتجه إلى الشاب المنهمك فى حل الشفرة ، وقال فى لهجة آمرة صارمة :

ــ أريدك أن تبلغنى ، فور توصلك لسر الشفرة .

أجابه الشاب :

ــ سأخبركما بالطبع أيها الرفيق ( شيلنكو ) ، و ..

قاطعه فى صرامة :

ــ بل تخبرنى أنا أيها الرفيق . أريد أن أعلم بالأمر ، قبل أن تعلم به ( نوفا ) .

ارتبك الشاب ، وقال :

ــ ولكن أيها الرفيق ..

قاطعه ( شيلنكو ) مرة أخرى :

ــ نفذ ما آمرك به أيها الشاب .. إنه عمل أمنى .



شحب وجه الشاب ، وغمغم :

ــ كما تأمر أيها الرفيق .. كما تأمر .

ولكنه لم يفهم سر مطلب ( شيلنكو ) ..

لم يفهمه أبدًا ..

★ ★ ★

انطلقت سيّارة إيطالية صغيرة ، بمحاذاة الحدود ( السوفيتية ــ الفنلندية ) ، وأخذ سائقها يتطلّع إلى خط الحدود فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن توقّف عند لافتة كبيرة ، تحمل ، بالانجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والألمانية ، تحذيرًا واضحًا ، يقول :

ــ الحدود السوفيتية .. عبور اللافتة يعدّ تعديًا غير مشروع على الحدود ، ويستوجب إطلاق النار مباشرة ، دون إنذار .

ابتسم سائق السيارة فى سخرية ، وهو يقول :

ــ كان ينبغى أن توضع اللافتة فى الناحية الأخرى ، فعدد الذين يعبرون الحدود ، فرارًا إلى ( فنلندا ) ، يفوق حتمًا عدد الحمقى ، الذين يلقون أنفسهم فى الجحيم السوفيتى .

وتحسّس مسدّسه ، داخل جيب معطفه ، ثم غادر السيارة ، وعبر اللافتة إلى الناحية الأخرى ، مستطردًا :

ــ وأنا واحد من هؤلاء الحمقى .

لم يكن ذلك السائق سوى ( أدهم ) ..

( أدهم صبرى ) ، الذى قرّر إكمال اللعبة على أرض الخصم ..

أرض الثلوج ..

والخطر ..

والموت ..

وفى سرعة وحذر ، راح يقطع طريقة ، عبر غابة ضخمة ، مترامية الأطراف ، وهو يدرس كل موضع ، يمكن أن تطأه قدمه ..

كان يعلم أن السوفيت لا يمكنهم إحاطة حدودهم بسور شائك متصل ، ولكنهم يعوضون هذا النقص بدوريات حراسة لا حصر لها ، وعدد ضخم من الفخاخ ، المنتشرة فى كل مكان ، والتى لا يملك سوى قادة دوريات الحراسة ، خرائط توزيعها وانتشارها ..

وكان عليه أن يقطع الطريق ، من الحدود إلى ( لينجراد ) ، ثم يستخدم وسيله خاصة تنقله إلى ( موسكو ) ..

هكذا تقضى خطته ..

وفى حزم كامل ، واصرار مدهش ، قطع ( أدهم ) ثلاثة كيلو مترات كاملة ، داخل الأراضى السوفيتية ، قبل أن يتناهى إلى مسامعه من بعيد صوت سيارة ، تابعة لواحدة من دوريات الحدود ، وهى تقترب ، فاستلّ مسدّسه فى سرعة ، واختفى خلف جذع شجرة ضخمة ، وراقب السيارة ، التى اقتربت فى سرعة ، وعلى متنها ضابط سوفيتى ، مع أربعة جنود مسلحين ، وبدا للوهلة الأولى أنها ستمضى فى طريقها دون توقّف ، ولكن الضابط هتف بالسائق فجأة :

ــ قف .

ضغط السائق كابح السيارة ، التى انزلقت قليلًا فوق الأرض الزلجة ،



قبل أن تتوقّف تمامًا ، ويبّ الضابط واقفًا ، وهو يهتف :

ــ هناك شيء يتحرّك .

حبس ( أدهم ) أنفاسه ، وجذب إبرة مسدّسه فى تحفّز ، عندما قفز الجنود خارج السيارة ، وسأل أحدهم ضابطه :

ــ أين أيها الرفيق الضابط ؟

انتزع الضابط مسدّسه بدوره ، وهو يشير إلى شجرة قريبة ، قائلًا :

ــ هناك .. خلف جذع هذه الشجرة ..

وكان يشير إلى الشجرة التى يختفى خلفها ( أدهم ) ..

مباشرة .

★ ★ ★

شعرت ( فدوى ) بتوتر بالغ ، وهى تجلس داخل حجرة الأمن ، فى مطار ( موسكو ) ، وراحت تلعن تلك الفكرة الحمقاء ، التى دفعتها إلى المجيء إلى ( موسكو ) ، خلف ( أدهم ) ..

لقد قاومت الفكرة فى تخاذل شديد ، عندما طرأت بـذهنها فى ( لندن ) ، ولكنها لم تلبث أن استسلمت لها ، وغذتها بحبها له ، فأسرعت ببطاقتها الصحفية ، وجواز سفرها ، إلى السفارة السوفيتية بـ ( لندن ) ، وطلبت الحصول على تأشيرة دخول للأراضى السوفيتية ..

لم تكن العلاقات المصرية السوفيتية على ما يرام ، فى تلك الآونة ، وعلى الرغم من هذا منحتها السفارة تأشيرة الدخول على الفور ، على عكس المتبع فى السفارات السوفيتية عادة ..

وفى فجر اليوم التالى ، استقلت ( فـدوى ) أوّل طائـرة إلى ( موسكو ) ..

وعندما بلغت العاصمة السوفيتية ، راجع ضباط الجوازات جوازها فى دقة فائقة ، تجاوزت حتى إجراءات الأمن المشدّدة ، التى اشتهرت بها إدارة أمن المطارات والموانى ، فى ( الاتحاد السوفيتى ) ..

وبعد ساعة كاملة ، انهارت خلالها أعصابها ، أو كادت ، اتجه إليها ضابط الجوازات الأوّل ، وقال فى لهجة باردة متعجرفة :

ــ ستضطرين إلى الانتظار معنا بعض الوقت .

انهار قلبها بين قدميها ، وهى تقول فى ارتياع :



ــ لماذا ؟ .. أوراقى كلها سليمة ، وتأشيرتى قانونية ، و ..

قاطعها الضابط فى صرامة :

ــ ستنتظرين .

كان من الواضح أنه غير مستعد للنقاش ، أو حتى لتقديم تفسيرات مناسبة ، لذا فقد استسلمت له وهى ترتجف رعبًا ، خشية أن يزيـد اعتراضها الطين بلّة ، وها هى ذى تجلس فى حجرة الأمن ، أقرب إلى الجثة الهامدة ، منها إلى الأحياء ، بعد كل ما تعرّضت له من شد عصبى ، كاد يمزّق أعصابها فى البداية ..

وفجأة انتفض جسدها كله فى عنف ، واتسعت عيناها فى رعب ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وهوى قلبها فى هوة عميقة ، عندما رأت أمامها تلك الابتسامة المخيفة ، التى تجمع مابين السخرية والشماتة والظفر .

ابتسامة ( نوفا ) ..

ورأن الصمت لحظة واحدة ، كاد قلب ( فدوى ) يتوقّف خلالها ، من شدة الرعب ، وهى تحدّق فى وجه ( نوفا ) ، التى قطعت حبل الصمت ، وهى تقول فى نصر :

ــ كنت أعلم أنك ستأتين .

لم تجد ( فدوى ) ماتقوله ، سوى تلك الحشرجة المنهارة ، التى يميّز خلالها المرء عبارة واحدة :

ــ إننى صحفية .

أطلقت ( نوفا ) ضحكة عاليه ساخرة ، وقالت :

ـ حقًا ؟! .. يالها من حجة واهية تافهة .

تفجرَّت الدموع من عينى ( فدوى ) ، وهى تهتف :

ـ أقسم لك إننى مجرَّد صحفية ، و ..

انقضَّت ( نوفا ) عليها بغتة فى عنف ، وجذبتها من شعرها فى قسوة ، وهى تصرخ :

ـ خطأ أيتها الذكية .. لا تحاولى استخدام تلك الخدعة مرة أخرى ؛ فأنا أكره أن تتصوَّر إمرأة أنها أكثر ذكاءً منى .

تأوَّهت ( فدوى ) فى ألم ، واختنقت الكلمات فى حلقها ، و ( نوفا ) تواجهها قائلة :

ـ أين هو ؟

غمغمت ( فدوى ) فى انهيار :

ـ من ؟

صرخت بها ( نوفا ) :

ـ زميلك رجل المخابرات ، الذى ينتحل اسم ( أدهم صبرى ) ، أو ( أحمد صدقى ) ، أو ( هنرى لويد ) .. أى اسم ينتحل هنا .. ( سيرجى ) ، أم ( إيفان ) ، أم ( رابينوفيتشى ) ؟ .. هيا .. اخبرينى ، قبل أن ينفد صبرى .

قالت ( فدوى ) ، ودموعها تغمر وجهها :

ـ لست أعرف شيئًا عنه .. أقسم لك .

صرخت ( نوفا ) :

ـ هكذا ؟! .. فليكن أيتها المصرية .. أنت أردت هذا .. أنت أردت



الوقوع فى قلب الجحيم .

ثم دفعتها إلى أحد رجالها ، مستطردة فى غلظة :

ـ احملها إلى مكتبى ، ومر الرفيق ( يوركوف ) بموافاتى هناك .

لم تكد تذكر اسم ( يوركوف ) ، حتى اتسعت عينا الجندى فى رعب ، كما لو أنها قد ذكرت اسم ملك الموت نفسه ، ثم اسرع يحيط معصمى ( فدوى ) بالأغلال ، ويدفعها أمامه إلى السيارة ، فى حين أشعلت ( نوفا ) واحدة من سجائرها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ سنحترف .. سنفعل حتمًا .. مامن بشر يمكنه أن يتحدَّى أسلوبى الخاص .

وكانت على حق ، فأسلوبها الخاص هذا قطعة من الجحيم .. قطعة كبيرة ..

★ ★ ★

رفع الجنود السوفيت مدافعهم الآلية فى حزم ، وبدأوا يتحركون نحو الشجرة ، التى يختفى خلفها ( أدهم ) ، الذى استعدَّ بمسدسه فى تحفُّز ، وهو يتساءل عن كيفيه كشف أمره ، على الرغم من ثقته فى أنه يجيد الاختفاء خلف جذع الشجرة ، و ..

وفجأة هتف الضابط :

ـ مهلًا يا رجال .. إنه مجرَّد ذئب .. هيا بنا

تنهَّد الرجال فى ارتياح ، وخفضوا أسلحتهم ، واستداروا ليعودوا إلى السيارة ، فى نفس اللحظة ، التى غمغم فيها ( أدهم ) فى قلق :

كان ذئبًا رماديًّا ضخمًا ، برزت أنيابه الحادة فى وحشية ، وراحت مخالبه تخمش الأرض فى حذر ..

ـ ذئب ؟!

لم يكد ينطق الكلمة ، حتى استقبلت أذنه تلك الزمجرة الشرسة ، فالتفت إليها فى حركة حادة سريعة ، ووقع بصره عليه ..

على الذئب ..

كان ذئبًا رماديًّا ضخمًا ، برزت أنيابه الحادة فى وحشية ، وراحت مخالبه تخمش الأرض فى حذر ..

وفى سرعة ، صوَّب ( أدهم ) مسدسه إلى الذئب ، ثم تجمَّدت سبَّابته على الزناد ..

إنه لن يستطيع إطلاق النار ، قبل انصراف سيارة الدورية ، وابتعادها بقدر كاف ..

ولكن هل ينتظر الذئب ؟

كان من الواضح أن الحيوان الشرس يدرس خصمه جيِّدًا ، قبل الانقضاض عليه ، وأنه جائع ، إلى الحد الذى يكفيه لقتال شرس عنيف ، يفوق قدراته التقليدية ..

ولم يكن الجنود قد صعدوا إلى السيارة بعد ..

واحتبست أنفاس ( أدهم ) فى صدره ، وهو يختلس نظرة إلى السيارة ، وأخرى إلى الذئب ..

كان الذئب جامدًا فى مكانه ، يزمجر فى خفوت ، فى حين صعد الجنود كلهم إلى السيارة ، واتخذ الضابط مقعده ، إلى جوار السائق ، وقال :

ـ هيا .. انطلق .

وكأنما كان الأمر موَجهًا إلى الذئب ، فلم يكد يسمعه ، حتى انقضَ

بغتة على ( أدهم ) ، ودفعه ليسقطا معًا ، بعيدًا عن جذع الشجرة ، فى نفس اللحظة التى بدأت فيها السيارة فى التحرّك ..

وصرخ أحد الجنود :

ــ رجل .. هناك .

توقّفت السيارة مرة أخرى فى عنف ، وتطلّع السوفيتى لحظة واحدة إلى ( أدهم ) ، الذى يدفع الذئب بعيدًا عنه ، ويصدّ هجومه فى شراسة ، ثم صاح الضابط :

ــ أحضروا هذا الرجل .

وقفز الجنود من السيارة على الفور ، ورفعوا مدافعهم الآلية ، وهم يندفعون نحو ( أدهم ) ..

وأدرك ( أدهم ) أنهم قد كشفوا أمره ، ولم يعد هناك طائل من محاولة الاختباء ، فرفع فوهة مسدّسه إلى رأس الذئب ، وقال فى ضيق :

ــ معذرة .. أنت أجبرتنى على هذا .

انطلقت رصاصة تخترق جمجمة الذئب ، الذى أطلق عواءً قصيرًا ، والدماء تتفجّر من جمجمته ، وتلوّث وجه ( أدهم ) ، وصدره ، ويده ، ومسدّسه ، ثم سقط جثة هامدة ، فى نفس اللحظة التى تصوّر فيها الجنود السوفيت ، أن الرصاصة هى محاولة مقاومة ، فرفعوا فوهات مدافعهم الآلية ، وأطلقوا النار نحو ( أدهم ) ..

مباشرة ..

★ ★ ★



تطلّع ( شيلنكو ) فى دهشة إلى ( نوفا ) ، التى اقتحمت مكتبها فى حدة ، وهى تدفع أمامها ( فدوى ) ، وتوقّف الشاب الذى يعمل فى محاولة فتح القفل السرى للحقيبة عن عمله ، وتطلّع إلى ( نوفا ) فى قلق ، فصاحت به فى صرامة :

ــ واصل عملك يا ( مينوفيتش ) .

أدار الشاب رأسه فى سرعة إلى عمله ، وتصبّب وجهه عرقًا ، على الرغم من برودة الجو ، و ( شيلنكو ) يسأل ( نوفا ) فى دهشة :

ــ أليست هذه زميلة رجل المخابرات المصرى ؟

أجابته ( نوفا ) ، وهى تدفع ( فدوى ) للجلوس على مقعد كبير فى قسوة :

ــ إنها هى .

سألها فى دهشة :

ــ أهذه هى مكالمة الأمن ، التى تلقيتها منذ ساعة تقريبًا ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقيّد ( فدوى ) المذعورة إلى مقعدها ، ثم أجابت :

ــ نعم .. لقد طلبت من سلطات المطار إبلاغى بحضورها ، فور وصولها ، واحتجازها لديهم ، حتى أبت فى أمرها .

هتف :

ــ أكنت تعلمين أنها ستأتى ؟

اعتدلت ، وقد انتهت من إحكام وثاق ( فدوى ) ، وأجابت :

ــ بالطبع .. لقد أثبت زميلها أنه عنيد للغاية ، ومادام يعلم أنه من

العسير التوصّل إلى الشفرة السرية لفتح الصندوق ، فلن يتردد فى المجىء إلى هنا ، لمحاولة استعادته ، ووجودها دليل على وجوده .

لم تفهم ( فدوى ) حرفًا واحدًا من هذا الحوار ، الذى تمّ باللغة الروسية ، حتى التفتت ( نوفا ) إليها فى حركة حادة ، وسألتها :

ــ والآن أيتها المصرية ، ستجيبين على أسئلتى ، فى محاولة أخيرة لدرء العذاب عنك .. ما الاسم الذى ينتحله زميلك ؟ وما خطته للوصول إلى هنا ؟

أجابتها ( فدوى ) فى انبهار :

ــ لست أدرى .. أقسم لك .

انعقد حاجبا ( نوفا ) فى قسوة ، وهى تقول :

ــ أخطأت أيتها الغبية ، وأضعت فرصتك الأخيرة .

ثم صاحت فى غضب :

ــ ( يوركوف ) .

دلف إلى مكتبها رجل ضخم الجثة ، غليظ الملامح ، قصير الشعر ، قال فى صوت ضخم خشن :

ــ فى خدمتك أيتها الرفيق ( نوفا ) .

ألقت إليه أمرًا باللغة الروسية ، فتألقت عيناه فى شراسة جذلة ، قبل أن تلتفت هى إلى ( فدوى ) ، وترمقها بنظرة شامتة ، مكررّة الأمر بالانجليزية :

ــ انزع أظفارها .

اتسعت عينا ( فدوى ) فى رعب ، وانطلقت من حلقها صرخة قوية .. ويائسة ..

★ ★ ★



لو جرت الأمور على النسق التقليدى ، لكان من الضرورى أن يلقى ( أدهم صبرى ) حتفه ، برصاصات الجنود الأربعة ، ولكن ( أدهم صبرى ) لم يكن أبدًا تقليديًا أو عاديًا ..

ففى اللحظة التى ضغطت فيها سبابات الجنود ، على أزندة مدافعهم الآلية ، كان هو قد دفع جثة الدّب بعيدًا ، وقفز واقفًا على قدميه ، ثم اختفى خلف الجذع الضخم ..

وأطلق الجنود رصاصاتهم على جذع الشجرة ، وهم يواصلون عدوهم إليها ، وصاح بهم الضابط ، وهو ينتزع مسدّسه ، ويلحق بهم بدوره :

ــ لا تدعوه يفلت .. أمسكوا به بأى ثمن .

بلغ الجنود جذع الشجرة ، مع نهاية صيحته ، فتوقفوا فى حذر ، وهتف أحدهم ، وفوهات المدافع الأربعة مصوّبة إلى الجذع :

ــ اخرج يا رجل .. اخرج وإلا أطلقنا النار عليك .

ولما لم يتلقوا جوابًا ، أشار إليهم ضابطهم بالالتفاف حول الشجرة فى صمت ، وإطلاق النار على الهدف مباشرة ، فنفذوا أوامره بسرعة المحترفين ، والتفوا فى دائرة واسعة حول الشجرة ، ثم قفزوا إلى الجانب الأخر منها ، وأطلقوا رصاصات مدافعهم فى غزارة وسخاء ..

وأصابت كل رصاصاتهم الهدف ..

كلها .

★ ★ ★

## ١٩ ــ إلى ( موسكو ) ..

اتسعت عيون الجنود السوفيت وضابطهم فى دهشة بالغة ، وهم يحدّقون فى جذع الشجرة ، الذى استقرّت فيه رصاصاتهم ، قبل أن يهتف أحدهم :

ــ أين ذهب ذلك الرجل ؟

غمغم ثان فى توتر :

ــ ربما كان مجرّد شبح .

وقال ثالث فى حيرة :

ــ ولكننى رأيته بنفسى يختفى هنا .. بل رأيناه جميعًا .

وأشار الرابع إلى جثة الذئب ، قائلًا :

ــ وهذا هو الدليل .

أمّا ضابطهم ، فقد عقد حاجبيه فى شك وحذر ، وهو يقول :

ــ إنه ليس شبحًا بالتأكيد ، فالأشباح وهم سخيف ، ومادمنا رأيناه جميعًا يختفى هنا ، فلقد فعل حتمًا ، وسنجد تفسيرًا منطقيًا لاختفائه حتمًا .

رفع أحدهم وجهه وسبّابته إلى أعلى ، وهو يقول :

ــ المكان الوحيد ، الذى يمكن أن يذهب إليه هو ..

اتسعت عيناه فى دهشة ، وتجمّدت العبارة فى حلقه ، عندما وقع بصره على ( أدهم ) ، المتعلّق بأغصان الشجرة الضخمة ، على ارتفاع ثلاثة أمتار ..

وفى سخرية ، قال ( أدهم ) :



ــ مرحبًا .

ثم انقضّ على الرجال الخمسة كالصاعقة ..

لم تكد قدماه تستقران على الأرض ، حتى ارتفعت إحداهما تطيح بأحد المدافع الآلية ، فى نفس الوقت الذى انتزعت فيه قبضته اليمنى مدفعًا ثانيًا ، وهوت به على وجه أحد الجنود الأربعة ، ثم غاصت قدمه فى معدة جندى آخر ، وحطمّت قبضته اليسرى فك جندى ثالث ، قبل أن تنضمّ القبضتان ، وتهويان معًا بالمدفع الآلى ، على رأس الجندى الرابع ..

كل هذا قبل أن يفيق الضابط من ذهوله ، ويهتف :

ــ يا للشيطان !

لم يكد يتمّ قوله ، حتى كانت فوهة مدفع آلى تلتصق بعنقة ، مع صوت ( أدهم ) الصارم ، وهو يقول :

ــ لو أننى مكانك لألقيت مسدّسى أيها الرفيق .

ألقى الضابط مسدّسه فى سرعة ، وألقى نظرة مرتجفه على رجاله ، الذين تراصوا حوله فاقدى الوعى ، وهو يقول :

ــ هل .. هل ستقتلنى ؟

أجابه ( أدهم ) بلغة روسية سليمة :

ــ ليس إذا أطعتنى .

هتف الضابط :

ــ سأفعل .. أقسم إننى سأفعل .

أشار ( أدهم ) إلى الجنود ، وقال :

ــ حسنًا .. انزع أحزمة جنودك ، وأحكم بها وثاق معاصمهم خلف ظهورهم .

أسرع الضابط يطيع الأوامر ، حتى انتهى من تقييد جنوده ، فقال ( أدهم ) :

ــ والأن استدر ، وضع معصميك خلف ظهرك .

استدار الضابط وهو يرتجف ، واستسلم تمامًا لـ ( أدهم ) ، الذى أحكم وثاقه بدوره ، ثم سأله :

ــ هل تحمل خريطة الأمن ؟

أومأ الضابط برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم ..إنها فى جيب سترتى الأيسر العلوى .

التقط ( أدهم ) الخريطة من جيبه ، وابتسم قائلًا :

ــ عظيم .

ثم دسّها فى جيب معطفه ، وقال للضابط :

ــ إلى اللقاء .

واسرع نحو السيارة ، فقفز إليها ، وأدار محرّكها ، مغمغمًا :

ــ هيا يا ( أدهم ) .. إلى ( موسكو ) .

وانطلق إلى هدفه ..

★ ★ ★

ارتجف ( مينوفيتشى ) فى قوة ، وراح قلبه ينبض فى عنف ، مع صرخة الألم الرهيبة ، التى انطلقت من حلق ( فدوى ) ، و ( يوركوف ) ينتزع إظفر خنصرها ، ولعن اليوم الذى التحق فيه بهذا العمل الرهيب ، وحاول أن يدفن رأسه وأفكاره فى عمله ، ويواصل بحثه عن الرقم السرى ، ولكنه سمع صوت ( يوركوف ) الغليظ من خلفه ، وهو يقول فى لهجة تحمل نبرة ضيق :



ــ لقد فقدت الوعى .

صاحت به ( نوفا ) فى غضب :

ــ أيها الغبى .. كيف سمحت لها بهذا ؟ .. هيا .. ايقظها وواصل عملك .

أمسك ( شيلنكو ) ذراعها فى صرامة ، وهو يقول :

ــ كفى أيتها الرفيق ( نوفا ) .. إنك تتجاوزين الحد المعقول .

انتزعت ذراعها من قبضته ، وهى تصرخ :

ــ لا شأن لك بهذا .

صاح بها محنقًا :

ــ إنك ستقتلينها ، دون أن تحصلى منها على شىء .. لقد انتزعت اظفرين من أظفارها ، وعرضتها للصدمات الكهربية أربع مرات ، وفقدت وعيها لخمس ساعات كاملة ، فى المرة السابقة ، دون أن يتغيّر قولها ، واصرارها على أنها لا تعلم شيئًا عن رجل المخابرات المصرى هذا .

صرخت فى ثورة :

ــ سأقتلها لو استلزم الأمر .

صاح :

ــ المهم أن تحصلى منها على شىء أوّلًا .

ضربت سطح مكتبها بقبضتها فى غضب ، وهتفت :

ــ سأفعل .. سأحصل على كل ما لديها .

ثم استدارت إلى ( مينوفيتشى ) ، واستطردت صارخة :

ــ وأنت .. ألم تتوصّل إلى الرقم بعد ؟

ارتجف المسكين رعبًا ، وقال :

ـ ليس بعد أيتها الرفيق ( نوفا ) .. ليس بعد .. إننى أبذل قصارى جهدى .. أقسم لك .

زمجرت فى غضب ، وهتفت :

ـ لقد سئمت كل هذا .. إننا هنا منذ مايقرب من اثنتى عشرة ساعة ، دون أن نحصل على نتيجة واحدة .

كررً ( مينوفيتشى ) فى رعب :

ـ إننى أبذل قصارى جهدى ، أيتها الرفيق ( نوفا ) .

خرج صوت ( يوركوف ) غليظًا أجش ، وسط كل هذا ، وهو يقول :

ـ هل أواصل انتزاع أظفارها ، أيتها الرفيق ( نوفا ) ؟

التفتت إليه صارخة فى غضب :

ـ ليس وهى فاقدة الوعى أيها الغبى .

لم تكد تنطق أخر حروف صرختها ، حتى فُتِحَ الباب فى عنف ، وظهر على عتبته رجل طويل القامة ، ضخم الجثة ، له كرش هائل ، يرتدى زى جنرال من جنرالات الجيش السوفيتى ، ومنظارًا أحاديًا ، يضغطه بجفنى عينه اليسرى على نحو عجيب ، جعله أشبه بجنرالات الجيش الألمانى ..

ولم يكد بصر ( نوفا ) يقع على الرجل ، حتى حب وجهها ، وهتفت :

ـ جنرال ( نايكوف ) ؟! .. كنت أظن رحلتك إلى ( لينجراد ) لن تنتهى مبكرًا .

بدا الجنرال ( نايكوف ) شديد الغضب والصرامة ، وهو يقول :

ـ مبكرًا ؟! .. إننا فى منتصف الليل أيتها الرفيق ( نوفا ) .



اتخذ ( شيلنكو ) و ( مينوفيتشى ) و ( يوركوف ) وقفة عسكرية صارمة ، عندما دلف الجنرال إلى الحجرة ، مستطردًا فى خشونة :

ـ لماذا بقيت فى مكتبك ، حتى هذه اللحظة من .. ؟

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على ( فدوى ) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وانفرجت شفتاه قليلًا ، وكأنه سينطق بشىء ما ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إلى ( نوفا ) ، وهتف بها :

ـ ما هذا ؟

ازدردت لعابها ، وهى تقول :

ـ إنها جاسوسة مصرية ، تبعتنا إلى هنا مع زميل لها ، فى محاولة لاستعادة الصندوق الأسود .

صاح فى غضب :

ـ أى صندوق أسود ؟

أشارت إلى الصندوق ، مجيبة فى توتر :

ـ هذا أيها الرفيق الجنرال .. أنت نفسك كلفتنى مهمة إحضاره من ( ألينا ) .

هتف محنقًا :

ـ وماذا تفعل هذه الجاسوسة هنا فى مكتبك ؟

فركت كفيها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ كنت أستجوبها .

صرخ :

ـ هنا ؟!

ثم اتجه إلى مقعد ( فدوى ) ، وأمسك كفها ، التى انتزع منها ( يوركوف ) إظفرين ، وازداد انعقاد حاجبيه فى غضب ، وهو يلتفت إلى ( نوفا ) ، هاتفًا :

ــ ومنذ متى يتمّ استجواب الأسرى والجواسيس ، فى مكاتب ضباط الإدارة ؟

أحنقها أن يتحدّث إليها بهذا الأسلوب ، أمام بعض مرءوسيها ، فالتفتت إلى ( مينوفيتشى ) ، وصاحت به فى حدة :

ــ ما الذى تفعله بوقفتك السخيفة هذه ؟ .. عد إلى عملك .

ارتجف وهو يسأل الجنرال ( نابيكوف ) فى ارتباك :

ــ سيّدى الجنرال .. هل ..

قاطعه الجنرال فى صرامة :

ــ لا بأس .. عد إلى عملك .

عاد المسكين يواصل بحثه عن الرقم الشفرى السرى ، فى حين أجابت ( نوفا ) عن سؤال الجنرال فى عصبية ، قائلة :

ــ إنها حالة استثنائية ، فلقد أردت استجواب تلك الجاسوسة ، فى وجود الصندوق ، عسى أن يمكننى انتزاع سر الشفرة منها .

مطّ شفتيه فى ازدراء واضح ، ثم التفت إلى ( يوركوف ) ، يسأله :

ــ أأنت الذى انتزع أظفارها ؟

أجابه ( يوركوف ) بصوته الغليظ :

ــ نعم أيها الرفيق الجنرال .

رمقه الجنرال بنظرة باردة طويلة ، قبل أن يقول :

كان المسكين يواصل بحثه عن الرقم الشفرى السرى ، فى حين أجابت ( نوفا ) سؤال الجنرال فى عصبية ..

ـ وماذا عن الصندوق ؟ .. هل توصّلتم إلى شىء ما بشأنه ؟

أراحها اتجاهه للحديث عن الصندوق ، فقالت فى سرعة :

ـ ليس بعد ، ولكننا سنصل إلى سر الشفرة حتمًا ، وبمجرّد فتح الصندوق نكون قد ربحنا المعركة كلها ، و ..

قاطعتها تكة خافتة ، مع صيحة ارتياح أطلقها ( مينوفيتشى ) ، وهو يقول :

ـ نجحت .. لقد انفتح الصندوق .

برقت عينا ( نوفا ) ، وهى تلتفت إليه ، هاتفة فى لهفة :

ـ انفتح .. لقد نجحنا يا سيّدى الجنرال .. ربحنا المعركة كلها .

وأزاحت غطاء الصندوق فى انفعال ، ثم التقطت من داخله عدة ورقات مطوية ، وهى تقول :

ـ أخيرًا سنعرف اسم عميل ( الموساد ) ، واسم كل الـ ..

قاطعها صوت صارم ، يقول :

ـ خطأ يا ( نوفا ) .. إنك لن تقرئى حرفًا واحدًا من هذه الأوراق .

التفتت بسرعة إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناها فى ذهول ، مع أعين الجميع ، وهم يحدقون فى وجه الشخص ، الذى نطق هذه العبارة ، والذى يصوّب إليهم جميعًا مسدسًا ضخمًا ، وهتفت ( نوفا ) :

ـ أنت ؟! .. مستحيل !!

وكانت مفاجأة كبرى بحق ..

★ ★ ★





« أنا أعرف الحلّ .. »

هتفت ( منى ) بالعبارة فى ثقة ، مقاطعة ( قدرى ) ، الذى توقّف عن سرد الرواية ، وقضم قطعة كبيرة من شطيرته ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ حقًا ؟

أجابته فى حماس :

ـ بالتأكيد .. لقد عملت مع ( أدهم ) طويلا ، إلى الحد الكافى لاستنتاج كل أساليبه ووسائله .

رفع حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يفرغ نصف زجاجة المياة الغازية فى جوفه ، ثم قال :

ـ هكذا ؟

تابعت بنفس الحماس :

ـ بالطبع .. لن يمكنك أن تفهمه مثلى .

واعتدلت فى مقعدها ، ولوّحت بكفها ، مستطردة :

ـ أراهنك أن الجنرال ( نايكوف ) هذا لم يكن سوى ( أدهم ) متنكرًا ، وأنه لم يكد يرى الصندوق وهو يُفتح ، و ( نوفا ) وهى تلتقط الوثائق ، حتى كشف حقيقة شخصيته ؛ ليستعيد الوثائق والصور .

قهقه ( قدرى ) ضاحكًا ، وقال :

ـ يا للذكاء !

عقدت حاجبيها فى شك ، وسألته فى حذر :

ـ أليس هذا ماحدث ؟

قهقه ( قدرى ) ضاحكًا مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ ليس بالضبط .

قالت فى حدة :

ـ ماذا تعنى بهذه العبارة ؟ .. هل حدث ما توقّعته أنا أم لا ؟

التهم الجزء الباق من الشطيرة الأخيرة فى حركة سريعة ، ثم قال :

ـ لا داعى لاستنتاج الأحداث مسبقًا ، استمعى إلى القصة ، وستعرفين كل شىء فى حينه .

مطّت شفتيها ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وهى تقول :

ـ حسنًا .. سأستمع إلى قصتك .

غمغم :

ـ هذا أفضل .

وواصل الأحداث ..

★ ★ ★

كانت المفاجأة مذهلة بحق ، حتى أن ( نوفا ) ظلّت تنقل بصرها ، بين فوهة المسدس ووجه صاحبه ، لنصف دقيقة على الأقل ، قبل أن تهتف مرة أخرى :

ـ أنت ؟!

أجابها ( شيلنكو ) فى صرامة متوترة :

ـ نعم .. أنا أيتها الرفيق ( نوفا ) .. أنا الذى ستجدين اسمه أمامك ،



فى تلك الوثائق .

هتف الجنرال ( نايكوف ) :

ـ أنت يا ( شيلنكو ) ؟! .. أنت الجاسوس الإسرائيلى ؟!

صاح ( شيلنكو ) فى عصبية :

ـ نعم .. أنا هو .. لم يعد هناك مجال للإنكار .

ومدّ يده إلى ( نوفا ) ، مستطردًا فى حدة :

ـ أعطينى الوثائق والصور .

لم تطع أمره ، وهى تقول فى غضب :

ـ هل تتصوّر أنك ستنجح فى الفرار من هنا ؟

أجابها فى حدة :

ـ بالتأكيد .. هذا المسدس الذى أحمله مزوّد بكاتم للصوت .. سأطلق النار منه على رءوسكم جميعًا ، وبعدها أحمل الوثائق والصور ، وأستقلّ الهليوكوبتر الخاصة بالجنرال ( نايكوف ) ، وأعبر بها الحدود الفنلندية إلى ( فنلندا ) ، أو حتى إلى ( السويد ) ، وبعدها أرحل إلى ( إسرائيل ) .

قالت فى عنف :

ـ ولكن لماذا ؟ .. لماذا خنتنا يا ( شيلنكو ) ؟

أجابها فى عصبية :

ـ بل قولى لماذا لم أفعل منذ البداية ؟ .. أى مستقبل ينتظرنا هنا أيتها الغبية ؟ .. أى نجاح يمكن أن نحقّقه ، فى ظل مبادىء سخيفة ، تقتل الطموح فى أعماق البشر ؟ .. ألم تقارنى أبدًا بيننا ، وبين من يتهنون

مهنتنا ، فى الدول الأخرى ؟

إن كلًا منهم يمتلك منزلا أنيقًا ، وسيارة .. يمتلكهما إلى الأبد ، وليس كعهدة شخصية ، ترتبط بسنوات عمله ، كما يحدث معنا .

صاحت به :

ــ أنت اخترت هذه المهنة بمحض إرادتك .

هتف محنقًا :

ــ لأنها أفضل مهنة موجودة ، وليس لأنها أفضل وسيلة للعيش .

قلبت شفتها فى ازدراء ، قائلة :

ــ حقير .

ثم أضافت فى غضب ، يحمل رنة شماتة :

ــ ولكن خطتك كلها فشلت ، لسبب بسيط ، لم تتوقعه أبدًا يا ( شيلنكو ) .

اشتدّ توتره ، وهو يقول :

ــ أى سبب هذا ؟

فردت الأوراق أمامه ، وهى تهتف شامتة :

ــ هذه الأوراق زائفة أيها الغبى .. لقد خدعنا سير ( ويلكوكس ) قبل وفاته .. الصندوق كله زائف .

اتسعت عينا ( شيلنكو ) فى ذهول ، وهو يحدّق فى الأوراق البيضاء ، التى تحمل عبارة واحدة ، تقول بالانجليزية :

ــ مع أسف وتحيات سير ( جون ويلكوكس ) .

وصرخ ( شيلنكو ) :



ــ مستحيل ! .. مستحيل !

وفجأة صاحت ( نوفا ) :

ــ اقتله يا ( يوركوف ) .

انقضّ عليه ( يوركوف ) ، وهو يُطلق صرخة أشبه بصرخة ثور هائج ، فأدار ( شيلنكو ) فوهة مسدسه إليه فى سرعة ، ولكن ( يوركوف ) أطاح بالمسدس فى ضربة كالقنبلة ، ثم أحاط وسط ( شيلنكو ) بذراعيه المفتولتين ، ورفعه إلى أعلى ، وهو يطلق صرخات رهيبة مخيفة ، ويعتصر ضلوع ( شيلنكو ) بساعديه ..

وجحظت عينا ( شيلنكو ) فى ألم هائل ، وأطلق صرخة مختنقة ، وصاحت ( نوفا ) مكررّة :

ــ اقتله .. اقتله يا ( يوركوف ) .

وانكمش ( مينوفيتشى ) فى مكانه رعبًا ، أمام ذلك المشهد الرهيب ، فى حين عقد الجنرال ( نايكوف ) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ــ كفى .. اتركه .

ولكن قوله جاء متأخرًا ، فقد جحظت عينا ( شيلنكو ) جحوظًا رهيبًا ، مع صوت قرقعة مخيفة ، ارتجف لها جسد ( مينوفيتشى ) ، الذى لم يحتمل المشهد ، فهوى فاقد الوعى ، فى نفس اللحظة التى سقط فيها رأس ( شيلنكو ) على صدره ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ..

وتألقت عينا ( نوفا ) فى ظفر ، عندما ألقى ( يوركوف ) جثة ( شيلنكو ) أرضًا ، فى حين قال الجنرال ( نايكوف ) فى غضب :

ــ لماذا أمرته بقتله يا ( نوفا ) ؟

قالت فى انفعال :

ــ كان خائنًا يستحق الموت .

ثم التفتت إلى ( يوركوف ) ، قائلة فى حدة ، وهى تشير إلى ( فدوى ) الفاقدة الوعى :

ــ هذه الجاسوسة أيضًا تستحق الموت .. اقتلها يا ( يوركوف ) .

التفت ( يوركوف ) إلى ( فدوى ) ، وعيناه تتألقان جذلاً ، ولكن الجنرال ( نايكوف ) هتف فى غضب :

ــ كفى .

ثم التفت إلى ( نوفا ) ، مستطردًا :

ــ كيف تجرئين على إصدار الأوامر فى وجودى ؟

ارتبكت ، وهى تقول فى عصبية :

ــ معذرة أيها الرفيق الجنرال ، ولكن ..

قاطعها فى صرامة وغضب :

ــ لن أقبل اعتذارات .. لقد ارتكبت اليوم أخطاء عديدة يا ( نوفا ) ، تستحقين من أجلها محاكمة عنيفة ، وهذا المكان ليس المكان المناسب لاستجواب الجواسيس .. سأحمل هذه الجاسوسة فى طائرتى الخاصة ، إلى المركز الرئيسى ، وهناك سيتمّ استجوابها ، و ..

قاطعه نداء ، انطلق فجأة من أجهزة الاتصال ، المنتشرة فى كل حجرات المبنى ، يقول فى لهجة تشف عن خطورة الأمر :

ــ انذار .. انذار .. هناك مجهول يتحل شخصية الجنرال ( نايكوف ) ، واستولى على طائرته الخاصة من ( لينجراد ) ، ووصل بها



إلى هنا .. فليبحث عنه الجميع فى كل الأقسام .. الجنرال ( نايكوف ) الحقيقى ما يزال فى ( لينجراد ) ..

أكررّ .. إنذار .. إنذار ..

حدّقت ( نوفا ) فى وجه الجنرال الواقف أمامها فى ذهول ، والنداء يتكرّر على نحو متصل ، فى حين أخرج الجنرال الزائف مسدسه فى حركة سريعة ، وصوّبه إليها ، وتغيّر صوته فى مرونة مذهلة ، وهو يقول فى سخرية :

ــ نعم يا عزيزتى ( نوفا ) .. إننى لست الجنرال ( نايكوف ) ..ولكننى أشبهه كثيرًا .. أليس كذلك ؟

حدّقت فى وجهه لحظة أخرى فى ذهول ، ثم صرخت بغتة :

ــ اقتله يا ( يوركوف ) .. اقتله .

وكما حدث مع ( شيلنكو ) تمامًا ، انقضّ ( يوركوف ) بجسده الضخم على الجنرال الزائف ، وهو يطلق صرخة وحشية ، انتزعت ( فدوى ) من غيبوبتها ، ليقع بصرها على ذلك المشهد الرهيب ..

ومن المؤكّد أنها لم تفهم مايحدث ، عندما شاهدت جنديًا سوفيتيًا يهاجم جنرالًا ، ولقد أدهشها كثيرًا أن يقفز الجنرال بكل هذه الرشاقة ، على الرغم من جسده الضخم ، ويستقبل ( يوركوف ) بركلة عنيفة فى وجهه ، جعلت الثور السوفيتى يترنّح لحظة ، قبل أن تهوى لكمة كالصاعقة على فكه ، وتلقى به عند قدمى ( فدوى ) ، التى أطلقت صرخة ذعر ، وارتجف جسدها ارتجافة عنيفة ، عندما هبّ ( يوركوف ) واقفًا ، واندفع مرة أخرى نحو الجنرال ، الذى كان يمسك مسدّسه ،

ويستطيع تفجير جحمة العملاق السوفيتى برصاصة واحدة ، وعلى الرغم من ذلك فقد تفادى انقضاضة ( يوركوف ) ، وهوى على مؤخرة عنقه بضربة كالقنبلة ، خار لها السوفيتى كالثور ، قبل أن يرتطم رأسه بالحائط ..

والتقطت ( نوفا ) مسدسها فى غضب ، ورفعته نحو الجنرال ، صارخة :

ــ لن تنجح .

ولكن الجنرال دار على أطراف أصابعه فى مرونة مدهشة ، ورفع قدمه يضرب بها المسدس ، ثم قفزت قدمه الأخرى تركل وجه ( نوفا ) فى عنف ، جعل مؤخرة رأسها ترتطم بالحائط ، فأطلقت صرخة مكتومة ، وسقطت على وجهها فاقدة الوعى ..

واستدار ( يوركوف ) مرة أخرى يواجه ( أدهم ) ، وهو يزمجر فى غضب وحشى ، وقال له ( أدهم ) بالروسية فى سخرية :

ــ هيا أيها الثور الغبى .. هيا .. اهجم .

صرخ ( يوركوف ) فى غضب ، وانقضّ على ( أدهم ) ، الذى استقبله بلكمة كالقنبلة فى فكه ، وهو يقول :

ــ هذه من أجل إظفر ( فدوى ) الأوّل .

ثم أعقبها بأخرى ساحقة ، اجتمع فيها كل غضبه ومقتة وكراهيته ، وهو يقول :

ــ وهذا من أجل الثانى .

كان من الواضح أن اللكمتين عنيفتان للغاية ، فقد جحظت عينا



( يوركوف ) فى شدة ، ثم سقط على وجهه كجوال من الرمل ، وارتطم بالأرض فى عنف ، فالتقط ( أدهم ) نفسًا عميقًا ، وغمغم :

ــ لولا سيطرتى على نفسى ، لقتلتك بلا رحمة .

ثم التفت يتطلّع إلى ( فدوى ) فى حنان ، وانحنى يلتقط كفها المصابة فى رفق ، فانكمشت على نفسها ، قائلة فى خوف :

ــ من أنت ؟

تطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى الهمس :

ــ أما زلت تجهلين من أنا يا عزيزتى ؟

اتسعت عيناها ، وهى تتطلّع إلى ملامحه فى دهشة قلقة ، حتى مدّ يده ، فانتزع عن وجهه قناعًا مطاطيًا رقيقًا ، يحمل وجه الجنرال ( نايكوف ) ، فتفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تهتف :

ــ ( أدهم ) ؟! .. كنت أعلم أنك ستأتى .. كنت أعلم أنك لن تتركنى أبدًا .

احتوى وجهها بكفيه ، وهمس :

ــ لقد أتيت يا عزيزتى .. أتيت لأنه واجبى .. فلماذا أتيت أنت ؟

أجابته وهى تبكى فى حرارة :

ــ أتيت لأكون إلى جوارك .. أريد أن أبقى إلى جوارك دائمًا .

ربّت على وجهها فى حنان ، ثم راح يحلّ وثاقها فى سرعة ، وهو يقول :

ــ المهم أن نخرج من هنا أوّلًا .

سألته :

ــ كيف دخلت إلى هنا ؟

أجابها فى بساطة مدهشة :

ــ كنت أعلم ، من تحريات مخابراتنا ، أن الجنرال ( نايكوف ) يقوم بجولة تفتيشية فى ( لينجراد ) ، فصنعت قناعًا لوجهه ، وانتحلت شخصيته

هناك ، وأقنعت قائد طائرته بحمل إلى هنا ، بحجة أن زيارتى التفتيشية قد انتهت مبكرًا ، ولقد كشفوا الخدعة الأن .

سألته فى ذعر :

ــ كيف سنخرج من هنا إذن ؟

أجابها فى هدوء :

ــ بالوسيلة نفسها .

رأته ينحنى على جثة ( شيلنكو ) ، ويخرج من جيبه تلك الزجاجة ، التى رأتها فى حقيبته ، فسألته :

ــ ما هذه الزجاجة ؟

أجابها فى اقتضاب :

ــ سلاحنا .

أخرج من جيبه فرشاة صغيرة ، استخدمها لطلاء وجه ( شيلنكو ) بالسائل ، الذى جفّ فى سرعة ، ليصنع طبقة رقيقة على وجه السوفيتى الصريع ، وبعدها أخرج بعض المساحيق ، وراح يطلى ذلك القناع المطاطى الرقيق بألوان خاصة ، تتفق تمامًا مع لون بشرة ( شيلنكو ) ، ثم أخرج لفة كبيرة من الشاش ، وقال مبتسمًا :

ــ من المؤسف أننى لا أحمل شعرًا مستعارًا .

ارتدى قناع وجه ( شيلنكو ) ، وأحاط باقى وجهه بالضمادات ، ثم أمسك كفها السليمة فى رفق ، وهو يقول :

ــ هيا يا عزيزتى .

وفتح الباب ، وخرج منه إلى الممر ، وهو يمسك ذراعها ، وهتف به أحد الضباط :



ــ ( شيلنكو ) .. لماذا الضمادات ؟ .. ماذا أصاب وجهك ؟

كادت تطلق شهقة دهشة ، عندما خرج من بين شفتى ( أدهم ) صوت مدهش ، لايمكن تمييزه عن صوت ( شيلنكو ) ، وهو يقول :

ــ إصابةعمل يا رجل .

قهقه الضابط ضاحكًا ، وابتعد دون أن يضيف شيئًا ، فهمست ( فدوى ) مبهورة :

ــ كيف تفعل هذا ؟

أجابها فى حزم :

ــ اصمتى .. سأخبرك فيما بعد .

لاذت بالصمت ، واستسلمت له تمامًا ، وهو يقودها عبر ممرات وسلالم طويلة ، إلى سطح المبنى ، حيث لاحت أمامها الهليوكوبتر الخاصة بالجنرال ( نابيكوف ) ، وإلى جوراها حارسان ، رفع أحدهما فوهة مدفعه فى وجه ( أدهم ) ، قائلًا :

ــ إلى أين أيها الرفيق الضابط ؟

أجابه ( أدهم ) فى صرامة :

ــ سأخرج هذه الأسيرة من هنا يا رجل ، فما جاء ذلك الجاسوس ، الذى ينتحل شخصية الجنرال ( نابيكوف ) إلا من أجلها .. سأبتعد بها عن هنا ، حتى يتم إلقاء القبض عليه ، أو ..

قاطعته فجأة صرخة ( نوفا ) :

ــ أوقفوه .. إنه الجاسوس ، الذى نبحث عنه .

وارتفعت فوهات البنادق الآلية بسرعة فى وجه ( أدهم ) و ( فدوى ) ..

واشتعل الموقف .

★ ★ ★

## ٢١ ــ الصفقة ..

تفجَّر الموقف كله دفعة واحدة ، فوق سطح مبنى المخابرات السوفيتية ، بعد أن أطلقت ( نوفا ) صرختها ..

ولكن من جانب ( أدهم ) ..

كان أوّل وأسرع من تحرَّك ، فهوى بقبضته على فك الجندى ، الذى يصوِّب إليه مدفعه الآلى ، وانتزع منه المدفع فى حركة سريعة ، ثم استدار يطلق بعضًا من رصاصاته نحو ( نوفا ) ، والبعض الأخر نحو جندى الحراسة الثانى ..

وعندما انحنى الجميع لتفادى رصاصاته ، التى تعمّد ألا يصيب بها أحدًا ، أسرع يحمل ( فدوى ) ، وانطلق نحو الهليوكوبتر ، وهى تهتف به :

ــ ماذا سنفعل ؟

أجابها ، وهو يضعها داخل الهليوكوبتر فى سرعة :

ــ سنستمر فى خطتنا .

ثم قفز نحو الحارس الثانى ، وهوى على فكه بكعب مدفعه ، ثم استدار يطلق النار مرة أخرى نحو ( نوفا ) ورجالها ، فصرخت فى غضب :

ــ أوقفوا ذلك الشيطان .. أوقفوه بأى ثمن .

حاول رجالها رفع رءوسهم ، وإطلاق النار على ( أدهم ) ، ولكن رصاصاته كانت تنهال عليهم كالمطر ، فهتف أحدهم فى حنق :

ــ أخبرينا كيف ، أيتها الرفيق ( نوفا ) .



قفز ( أدهم ) داخل الهليوكوبتر ، وهو يواصل إطلاق النيران ، وضغط أزرار تشغيلها بيده اليسرى ، و ( فدوى ) تهتف به ، محاولة الارتفاع فوق هدير مراوح الطائرة :

ــ أتظننا سننجح فى الفرار ؟

لم يجب ، وإنما جذب ذراع القيادة فى حزم ، وارتفعت الهليوكوبتر فى بطء ، وصرخت ( نوفا ) :

ــ أوقفوه .

ولكن الهليوكوبتر ابتعدت فى سرعة ، وأخفى هدير مراوحها صوت ضحكة ساخرة قوية ، انطلقت من حنجرة ( أدهم ) ، وإن سمعت ( نوفا ) هذه الضحكة فى أعماقها ، ففجَّر غضبها ، وهى تحمل مسدّسها ، وتطلق النار خلف الهليوكوبتر المبتعدة ، صارخة :

ــ أيها الحقير .. أيها الوغد .

اختفت الهليوكوبتر فى سرعة وسط الظلام ، وتلاشى هدير مراوحها تدريجيًا ، واقترب أحد الضباط من ( نوفا ) ، وقال فى حدة :

ــ هل نبلغ السلاح الجوى ؛ ليتعقبوها ؟

أجابته ، والغيظ يتقاطر من كل حرف من حروف كلماتها :

ــ لا .. اطلب من السلاح الجوى أن يرسل أقوى هليوكوبتر مقاتلة لديه .

عقد الضابط حاجبيه مستنكرًا ، وهو يقول :

ــ أليس من الأفضل أن ..

قاطعته صارخة :

ولكن الهليوكوبتر ابتعدت فى سرعة ، وأخفى هدير مراوحها صوت ضحكة ساخرة قوية ، انطلقت من حنجرة ( أدهم ) ..

ـ نفذ ماأمرتك به .

أسرع يستعد لتنفيذ الأمر ، فى حين انعقد حاجباها فى غضب عنيف ، وهى تتطلّع إلى النقطة ، التى اختفت عندها الهليوكوبتر ، وغمغمت فى شراسة :

ـ سأظفر بهذا الشيطان وحدى .. وحدى أنا .

★ ★ ★

لا أحد يمكنه تفسير عواطف المرأة ..

لقد كانت ( فدوى ) تمرّ بأكثر مواقف حياتها خطورة ، وعلى الرغم من ذلك ، فهى لم تشعر بالأمان ، فى عمرها كله ، مثلما شعرت به فى هذه اللحظة ، وهى تجلس إلى جوار ( أدهم ) ، فى الهليوكوبتر ..

كان خنصرها وبنصرها منتفخين ، متورّمين ، بعد أن انتزع ( يوركوف ) ظفريهما ، وجسدها متخم بالكدمات والرضوض ، من أثر التعذيب ، ولكنها تشعر بسعادة غامرة ، وارتياح لاحدّ له ..

ها هوذا الرجل الذى أحبّته ، يجلس إلى جوارها ، على قيد خطوة واحدة منه ..

فارس أحلامها ..

حلم عمرها ..

وتمنّت لحظتها لو احتواها بذراعيه ، وضمّها إلى صدره القوى ، بكل الحنان الذى يملأ كلماته ، وكل الدفء المطلّ من عينيه ..

وعلى ضوء القمر ، تطلّعت إلى وجهه ، الذى خلا من أى انفعال ،

وسألته فى حنان :

ـــ ألديك خطة محدودة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم .. سنتجه مباشرة إلى الحدود الفنلندية ، وبمجرَّد عبورنا لها ، سنصبح فى أمان بإذن الله .

ابتسمت مغمغمة :

ـــ يا للبساطة !

تنهَّد وهو يجيب :

ـــ الأمر ليس بالبساطة التى تتصوّرينها .. إنهم سيطلقون مقاتلاتهم خلفنا حتمًا .

كان المفروض أن يصيبها هذا بالرعب ، إلا أنها لم تشعر ـــ إلى جواره ـــ بأدنى خوف ، وهى تغمغم :

ـــ حقًا ؟!

ثم سألته فى روتينية :

ـــ وماذا ينبغى أن نفعل ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ إننى أحلّق على ارتفاع منخفض ، بحيث تعجز راداراتهم عن التقاط صورتنا ، وتعجز طائراتهم عن كشف أمرنا .

ابتسمت فى هيام ، ورنّت على كفه ، قائلة :

ـــ كيف تجيد كل هذا ؟

صمت لحظات ، وقد أدرك حقيقة مشاعرها ، وبدأ قلبه يخفق من



أجلها ، ثم قال فى اقتضاب :

ـــ إنه عملى .

لاذت بالصمت تمامًا ، وهى تتطلّع إليه ، وصمت هو بدوره ، حتى تذكّرت أمرًا ، فاعتدلت تسأله فى اهتمام :

ـــ وماذا عن الصندوق ؟ .. هل استعدتا ؟

هزَّ رأسه نفيًا فى ضيق ، وقال :

ـــ ليس بعد .

هتفت فى أسف :

ـــ إذن فقد فاز به السوفيت .

هزَّ رأسه نفيًا مرة أخرى ، وقال :

ـــ الصندوق الذى حصل عليه السوفيتى صندوق زائف ، خدعنا به ( ويلكوكس ) جميعًا .

سألته فى حيرة :

ـــ أين الصندوق الحقيقى إذن ؟

انعقد حاجباه فى ضيق ، وهو يجيب :

ـــ مخلوق واحد ، فى العالم كله ، يمكنه أن يجيب عن سؤالك هذا يا عزيزتى .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

ـــ ( مارى ) .. ( مارى الدموية ) ..

★ ★ ★

التقى حاجبا سير ( مايكل أوليفر ) فى توتر ، وهو يتطلّع إلى وجه ( مارى ) ، بشعرها الأحمر النارى ، وثوبها القصير للغاية ، وهى تدخل إلى مكتبه الخاص ، فى إدارة المخابرات البريطانية ، وقال بلهجة جافة :

ــ ماذا تريدين يا ( مارى ) ؟ .. لماذا أردت مقابلتى ؟

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

ــ ياله من استقبال سخيف ، يفتقر إلى اللياقة يا سير ( مايكل ) !! ألم تتعلّم أبدًا ، كيف تستقبل سيّدة فى مكتبك ؟

قال فى صرامة :

ــ لكل سلعة ميزان يا ( مارى ) .

ضحكت فى سخرية ، قائلة :

ــ وأنا سلعة ثمينة .. ثمينة للغاية .

جلست دون أن يدعوها إلى الجلوس ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، واشعلت سيجارتها فى بطء ، ثم نفثت دخانها فى وجهه ، وهى تقول :

ــ ولدى سلعة أخرى ، تهمك فى شدة .

أشعل غليونه بدوره ، وكأنما ينافسها فى تلك العادة القبيحة ، قبل أن يقول فى برود :

ــ لم تعد لديك سلع يهمنى أمرها يا ( مارى ) .

أطلقت ضحكة ساخرة ، هى تقول :

ــ هل تظن هذا ؟

أجابها فى برود شديد :



ــ بكل تأكيد .

اعتدلت تلتقط شيئًا من حقيبتها ، ناولته إياه ، قائلة :

ــ هناك جهاز عرض لشرائط الفيديو حتمًا .. أليس كذلك ؟

التقط شريط الفيديو ، الذى قدمته إليه ، وهو يقول فى حذر :

ــ بلى .. هناك واحد يابانى الطراز .

أدرك أنها تريد منه مشاهدة الشريط ، فنهض يضعه فى جهاز العرض ، وأشعل التلفاز الذى يعلوه ..

ثم اتسعت عيناه فى ذعر وذهول ..

كان الشريط ينقل ، بكل وضوح ، تفاصيل ماحدث فى الليلة الأخيرة ، فى قبو قصر ( ويلكوكس ) ..

الصراع الذى دار بين الجميع ..

كشف أمر ( مايكل ) ، واعترافه بالعمل لصالح السوفيت ..

قتله لـ ( آرثر ) ..

كل شىء ..

وفى خدة مبالغة ، أغلق ( مايكل ) الجهاز ، والتفت إلى ( مارى ) فى شراسة ، وهو يصوّب إليها مسدسه ، قائلًا :

ــ أهناك نسخة أخرى ؟

لم يرمش لها جفن ، أمام تهديده ، وإنما قالت بابتسامة ساخرة :

ــ نسخة واحدة ؟! .. بل قل عدة نسخ ، كل نسخة منها فى مكتب محام مختلف ، وهناك نسخة فى خزانة خاصة ، فى البنك الملكى المركزى ، وأخرى فى بنك ( انجلترا ) ، وثالثة فى مكان سرى بـ ( الولايات المتحدة الأمريكية ) ، ورابعة فى ..

قاطعها فى عصبية :

ــ ما الذى تريدينه يا ( مارى ) ؟

أجابته فى استهتار :

ــ لا شىء

قال فى حدة :

ــ ماذا تطلبين ، مقابل كل هذه النسخ ؟

رمقته بنظرة واثقة مزهوة ، ثم مالت نحوه ، وقالت فى همس :

ــ صداقتك .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

ــ ماذا ؟

أجابته مبتسمة :

ــ صداقتك يا سير ( مايكل ) .. هذا هو الثمن الذى أطلبه .

تطلّع إليها لحظات فى حيرة عصبية ، ثم أعاد مسدسه إلى جيبه ، وألقى جسده على المقعد المقابل لها ، مغمغمًا :

ــ لست أفهم شيئًا .

التقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، وألقت رأسها إلى الخلف ، وهى تنفث الدخان فى بطء وعمق ، قبل أن تتطلّع إليه بنظرة خبيثة ، قائلة :

ــ إنها صفقة مناسبة لكلينا يا سير ( مايكل ) .. أنا أملك الدليل ، الذى يدينك بتهمة التجسس ، وأنت تملك السلطة والقوة .. فليحصل كل منا على مالدى الآخر إذن .

تطلّع إليها فى تساؤل ، فتابعت :



ــ سأحتفظ بالشريط ، ولن يحصل عليه أى مخلوق ، مادمت حية ، وسأخفى تمامًا أمر خيانتك ، وفى المقابل ستبسط علىَّ حمايتك ، وتمدنى بالمعلومات ، وتستغل سلطتك وقوتك ، لإحاطتى بحصانة خاصة ، تتيح لى حرية العمل .

سألها فى استسلام :

ــ أى عمل ؟

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وأجابت :

ــ لقد أورثنى سير ( ويلكوكس ) قصره ، وكل ثروته ، بناء على اتفاق مسبق بيننا ، وأنا أنوى أن أرث زعامة المنظمة أيضًا ، ولكن بشكل جديد ، يحيطها بإطار قوى منيع .

ومالت نحوه ، مستطردة :

ــ وأنت هذا الإطار المنيع ياسير ( مايكل ) .

مضت لحظات طويلة من الصمت ، وكلاهما يتطلّع إلى عينى الآخر ، قبل أن يخفض سير ( مايكل ) عينيه ، ويتمتم :

ــ كما تشائين يا ( مارى ) .

تألّقت عيناها فى ظفر ، ونهضت قائلة :

ــ رائع ياسير ( مايكل ) .

ثم أضافت فى خفوت :

ــ واحتفالًا بتوقيع اتفاقنا الشفهى هذا ، سأمنحك هدية لم تحلم بها .

سألها فى مرارة :

ــ أية هدية ؟

أجابته بابتسامة جذّابة :

ــ الصندوق الأسود .. الحقيقى .

تطلّع إليها فى دهشة ، وقال :

ــ أى صندوق .. لقد حصلت ( نوفا ) على الصندوق ، و ..

قاطعته ضاحكة :

ــ إذن فهى لم تخبرك بعد .. صدقنى يا عزيزى ( مايكل ) .. لن تلبث ( نوفا ) أن تخبرك بأمر الخدعة الرهيبة ، التى أوقعكم فيها سير ( ويلكوكس ) ، قبل أن يلقى مصرعه .. إن ذلك الصندوق ، الذى حصلتم عليه من القبو ، ليس سوى صندوق زائف ، يحمل أيضًا رتاجًا سريًا ، ذا تسعة أرقام ، ولكنه لا يحوى سوى ورقة بيضاء ، عليها عبارة ساخرة ، كتبها سير ( ويلكوكس ) بنفسه .

اتسعت عيناه ، وهو يهتف :

ــ يا للشيطان !!

أطلقت ضحكة جذلة ، وقالت :

ــ لا تجعل هذا يقلقك يا عزيزى ( مايكل ) .. قلت لك إننى سأمنحك الصندوق كهدية صداقة ، فى حفل خاص ، لن يحضره سوانا ــ أنا وأنت ــ فى قصر سير ( ويلكوكس ) ، مساء الغد .

قال فى اهتمام :

ــ ولِمَ لا يكون الحفل مساء اليوم ؟

أطلقت ضحكة أخرى ، وقالت :

ــ لن يستعد القصر ، قبل مساء الغد .



ثم لوّحت بكفها ، مستطردة :

ــ إلى اللقاء مساء الغد .

وغادرت مكتبه فى جذل ..

وظفر ..

★ ★ ★

مضى الوقت فى بطء مثير ، والهليوكوبتر تنطلق وسط الظلام ، على ارتفاع منخفض ، فى اتجاه الحدود الفنلندية ، وسألت ( فدوى ) ( أدهم ) فى قلق :

ــ ألم نبلغ الحدود بعد ؟

أجابها فى هدوء :

ــ سنبلغها بعد نصف الساعة على الأكثر .

ثم هزّ رأسه فى حيرة ، مستطردًا :

ــ والواقع أن هذا يدهشنى كثيرًا .

سألته فى حيرة :

ــ ما الذى يدهشك ؟

أجابها بعد لحظة من الصمت :

ــ يدهشنى أنهم لم يرسلوا مقاتلاتهم خلفنا بعد ، و ..

وفجأة أتاه الجواب من أعلى ..

أتاه على هيئة صاروخ صغير ، انطلق من هليوكوبتر حربية حديثة ، تقودها ( نوفا ) ..

انطلق نحو الهليوكوبتر التى يقودها هو ..

★ ★ ★

# ٢٢ ــ مطاردة جوية ..

لو أن الرفيق ( نوفا ) تجيد استخدام تلك الأسلحة الحديثة ، التى تحيط بها ، داخل الهليوكوبتر الحربية ، لأنتهت قصتنا عند هذا الحد ، بانفجار هليوكوبتر ( أدهم ) ، ومصرعه مع ( فدوى ) ..

ولكن لحسن الحظ أنها لا تجيد استخدامها ..

لقد مرق الصاروخ على قيد متر واحد من الهليوكوبتر ، ورآه ( أدهم ) يعبر أمامه كلسان من نار ، وأطلقت ( فدوى ) صرخة هلع ، وهى تقول :

ــ ما هذا ؟

مال ( أدهم ) بالهليوكوبتر جانبًا ، وهو يقول فى حزم واقتضاب :

ــ هجوم .

اندفع بالهليوكوبتر بين تلال قصيرة ، فى خط متعرِّج ، وانخفضت خلفه ( نوفا ) بالهليوكوبتر الحربية ، هاتفة :

ــ لن تنجح أيها المصرى .. لن تفلت من ( نوفا ) هذه المرة .

أصبحت خلفه تمامًا ، واقتربت منه فى سرعة شديدة ، بسبب الفارق الكبير بين سرعتى الطائرتين ، ثم ضغطت زر الإطلاق فى عصا القيادة ..

وانهالت الرصاصات على هليوكوبتر ( أدهم ) ، ولكن هذا الأخير جذب عصا القيادة فى حسم ، وهو يميل إلى اليسار ، فارتفعت الهليوكوبتر فى سرعة ، وتجاوزت الطلقات النارية ، فصاحت ( نوفا ) :

ــ يا للشيطان !!



وارتفعت بدورها خلف الهليوكوبتر ، ولكن ( أدهم ) عاد ينخفض فى مهارة مدهشة ، جعلتها تفقد سيطرتها على الهليوكوبتر لحظة ، ثم لم تلبث أن استعادتها بسرعة ، وقالت فى غضب :

ــ أتظن نفسك ملك المهارة أيها المصرى ؟

ضغطت زر الإطلاق فى عصا القيادة ، على نحو متصل ، وهى تنطلق خلف الهليوكوبتر ، وسمعت ( فدوى ) صوت ارتطام الرصاصات بجسم الهليوكوبتر ، فقالت فى توتر :

ــ لقد أصابتنا .

أجابها وهو ينحرف فى مناورة حادة :

ــ لا تجعلى الأمر يقلقك .. الرصاصات لم تبلغ منطقة حسّاسة ، من جسم الهليوكوبتر بعد .

سألته فى قلق :

ــ ألا تملك أية أسلحة ؟

رفع مسدّسه بيده ، وقال :

ــ بلى .. أملك مسدّسى .

سألته متوترة :

ــ أقصد الهليوكوبتر .. من المؤكّد أنها تحوى مدفعًا آليًا ، أو ..

قاطعها فى حسم :

ــ فقط مسدّسى .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تهتف :

ـــ مسدّسك ؟! .. فقط مسدّسك ؟! .. يا إلهى ! .. هل ستواجه هليوكوبتر حربية بمسدّس ؟

قال فى هدوء :

ـــ ولمَ لا ؟!

مرق إل جوارهما صاروخ ثان ، فى اللحظة نفسها ، وانحرف ( أدهم ) يتجنّبه فى مهارة ، ورأته ( فدوى ) يتجاوزهما ، ويواصل طريقه إلى تلّ قريب ، فيرتطم به ، وينفجر بدوى شديد ، فهتفت :

ـــ لن ننجو هذه المرة .

صاح بها ( أدهم ) فى صرامة :

ـــ قلت لك : لا تنطقى هذه العبارة أبدًا .

وانخفض فى اللحظة نفسها ، متفاديًا سيلًا من الرصاصات ، أطلقته نحوهم هليوكوبتر ( نوفا ) ، وشعرت ( فدوى ) بقلبها يقفز من بين ضلوعها ، مع هذا الهبوط المباغت ، وهتفت و ( أدهم ) يعتدل بالهليوكوبتر :

ـــ ربما أتوقّف عن نطقها ، ولكن هذا لا يعنى أن أعماق ستكتمها .. هل لك أن تخبرنى كيف سننجو من هذا الوحش الآلى ، الذى يطاردنا بكل هذه الشراسة ؟

قال فى حزم :

ـــ اتركى هذا لله ( سبحانه وتعالى ) .

كان هذا القول فصل الختام ، فلاذت ( فدوى ) بالصمت التام ، وتركته ينطلق بالهليوكوبتر ، ويناور هليوكوبتر ( نوفا ) ، التى شعرت



بغضب شديد ، عندما عجزت عن اصطياد هليوكوبتر ( أدهم ) ، على الرغم من فارق القوة بين الطائرتين ، فصاحت فى عصبية ، وهى تراجع أسلحة الهليوكوبتر :

ـــ ألا تحوى تلك اللعينة أسلحة أكثر قوة ؟

تألّقت عيناها فى شدة ، عندما وقع بصرها على زر خاص ، وافترّ ثغرها عن ابتسامة شرسة ، وهى تقول :

ـــ هذا هو السلاح المطلوب .

وعلى شاشة الهليوكوبتر الخاصة ، رأت طائرة ( أدهم ) تواصل مناورتها ، فأضافت فى سخرية عصبية :

ـــ ناور كما يحلو لك أيها المصرى .. المهم أن تكون أسرع وأذكى من كل التكنولوجيا السوفيتية .

وضغطت الزر فى حزم ..

★ ★ ★

جلس سير ( مايكل أوليفر ) فى حجرة مكتبه صامتًا ، يدخن غليونه العتيق ، الذى ملأ سماء الحجرة بالأدخنة الكثيفة ، وإن لم يلتقط هو إلا القليل من أنفاسه ، فى ساعات شروده الطويلة ، التى قضاها وحيدًا ، بعد انصراف ( مارى ) ..

وللمرة العاشرة ، ضغط زر تشغيل جهاز العرض ، وتعلّق بصره بشاشة التلفاز ، التى تعرض أحداث ليلة مصرع ( ويلكوكس ) بكل تفاصيلها ..

وللمرة العاشرة أيضًا ، أغلق الجهاز ، وتنهَّد فى عمق ومرارة ، وهوَ يغمغم :

ــ لقد وقعت أخيرًا يا ( مايكل ) .

كان واثقًا من أن ( مارى ) لن تبلغ إدارة المخابرات بالفعل ..

المنطق والعقل يؤكدان هذا ..

إنها لن تتخلّى أبدًا عن فرصة نادرة كهذه ، للحصول على مساندة شخص مثله ، له مكانته وقوته وسطوته ، فى عالم المخابرات ..

ذلك العالم الغامض الرهيب ، الذى لا يتصوَّر من خارجه إمكانية حدوث كل هذه المعارك والصراعات ، التى يخوضها من داخله ..

عالم الذكاء ، والدهاء ، والحنكة ، والقوة ..

عالم الثعالب ..

ولكن أسلوب ( مارى ) هذا لا يمنحه الثقة أو الأمان أبدًا ..

ماذا لو لقيت مصرعها ، لأى سبب كان ؟ ..

إنها تحيا ــ مثله ــ فى عالم قاس عنيف ، لأمكان فيه للضعفاء أو المبتدئين ..

عالم قد يلقى المرء فيه مصرعه ، فى لحظة واحدة ، مهما بلغت مهارته وحنكته ..

بل ربما تلقى مصرعها فى حادث سيارة ، أو حتى بنوبة قلبية مباغتة ، بسبب تلك الحياة المفرطة فى الاستهتار ، التى تحياها ..

لو حدث هذا ــ لأى سبب ــ ستكون نهايته ..

سيظلّ عنقه دائمًا بين أصابعها ..



ولكن ما البديل ؟ ..

نهض من مقعده ، واتجه إلى نافذة مكتبه ، وتطلّع منها إلى الخارج فى شرود ، وهو يفكّر فى عمق ، ويبحث عن قرار ..

قرار حاسم ..

★ ★ ★

هوى قلب ( فدوى ) بين ضلوعها للمرة الألف ، عندما شاهدت ذلك الصاروخ الجديد ، الذى انطلق من هليوكوبتر ( نوفا ) ، واتجه نحو طائرة ( أدهم ) ، وهتفت فى هلع :

ــ احترس يا ( أدهم ) .

انحرف بالهليوكوبتر فى حركة حادة ، متفاديًا مسار هذا الصاروخ الجديد ، الذى انقضّ عليه فى سرعة ، ورأت ( فدوى ) الصاروخ يعبر على قيد متر واحد من نافذتها ، فتنهَّدت فى ارتياح ، وقالت :

ــ حمدًا لله .. ها هوذا صاروخ آخر يتجاوزنا ، و ..

اتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تحدّق فى ذلك الصاروخ ، الذى توقّف عن الانطلاق ، وانحرف مساره فى مرونة ، ثم عاد يرتفع نحو الهليوكوبتر ..

ومرة أخرى تفادى ( أدهم ) الصاروخ فى اللحظة الأخيرة ، ثم اندفع بالهليوكوبتر فى سرعة ، و ( فدوى ) تهتف :

ــ ما هذا الشىء ؟ .. إنه يطاردنا .

أجابها وهو يناور الصاروخ ، بكل ما يملك من قدرة ومهارة :

ـــ إنه صاروخ موجّه .

هتفت :

ـــ نعم .. لقد قرأت شيئًا عن هذه الصواريخ ، أيام حرب أكتوبر .. إنه يطارد محركات الطائرات .. أوقف المحرّك بسرعة .

ارتفع متفاديًا الصاروخ ، وهو يقول :

ـــ هذا ينطبق على صواريخ ( سام ـــ ٦ ) ، التى استخدمناها نحن ، أثناء حرب أكتوبر .. فهى مزوّدة برأس حساس للحرارة ، يستقبل حرارة محركات الطائرات المقاتلة النفّاثة ، ويطاردها فى اصرار ، حتى يقتحمها ، ويدمّرها ، وينسفها نسفًا ، أما هذا الصاروخ ، الذى يطاردنا ، فهو نوع من القنابل التليفزيونية ، يحوى آلة تصوير صغيرة فى مقدّمته ، يسترشد بها قائد الطائرة ، لتوجيهه نحو الهدف .. إنه شىء أشبه بالألعاب الأليكترونية ، التى تغزو أسواق ( أوربا ) و ( أمريكا ) الأن ( * )

سألته فى ذعر :

ـــ وكيف يمكن مواجهة شىء كهذا ؟

أجابها ، وهو ينحرف فى عنف :

ـــ نخدعه .

صاحت ، وقد خُيّل إليها أنها لم تسمع جيّدًا :

---

(*) انتشرت هذه الألعاب فيما بعد ، فى أوائل الثمانينيات ، وحازت قبولًا واهتمامًا كبيرين ، وعُرفت باسم ( ألعاب الفيديو ) .



ماذا ؟

هتف ، وهو يتجه فى خط مباشر ، نحو قمة تل قريب :

ـــ نخدعه .

صاحت ، وهى تراقب الصاروخ ، الذى انطلق نحوهما فى سرعة :

ـــ كيف ؟ .. كيف تخدع هذا الشىء ؟

لم يجب هذه المرة ، وواصل انطلاقته نحو قمة التلّ فى سرعة كبيرة ، جعلت ( نوفا ) نفسها تقول فى حيرة ودهشة :

ـــ ما الذى يفعله هذا الأحمق ؟

وصرخت ( فدوى ) :

ـــ احترس يا ( أدهم ) .. سنرتطم بالتلّ .

ولكنه واصل انطلاقته نحو التل ، والصاروخ يقترب من مؤخرة الهليوكوبتر أكثر وأكثر ..

وفجأة جذب عصا القيادة فى قوة ..

وارتفعت الهليوكوبتر فى حركة حادة عنيفة ..

وصرخت ( فدوى ) فى رعب :

ـــ سنرتطم بالتلّ ..

وخُيّل إليها أن الهليوكوبتر لن تنجح فى الإفلات ، وأنها سترتطم بقمة التلّ حتمًا ، وكذلك تصوّرت ( نوفا ) ، التى حاولت الارتفاع بالصاروخ ، على نفس النحو الحاد ، ولكن ..

فى نفس اللحظة ، التى تجاوزت فيها الهليوكوبتر قمة التل ، على نحو أشبه بالمعجزة ، ارتطم بها الصاروخ ، وانفجر انفجارًا عنيفًا ..

واتسعت عينا ( فدوى ) ، فى سعادة غامرة ، وهى تهتف :
يا إلهى ! .. لقد نجحت يا ( أدهم ) .. لقد نجحت أيها البطل .
أما ( نوفا ) ، فقد أصابها ذهول شديد ، جعلها تردِّد :
ــ مستحيل ! .. مستحيل .
ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تصرخ :
ــ مستحيل !
رأت هليوكوبتر ( أدهم ) تبتعد فى سرعة ، فاستدارت إليها ، وانطلقت خلفها ، وهى تضغط زر إطلاق مدفع الهليوكوبتر الآلى ، صارخة :
ــ لن تفلت أيها الشيطان .
ولكن ( أدهم ) انخفض بالهليوكوبتر فى سرعة ، ورأت ( فدوى ) هليوكوبتر ( نوفا ) تندفع فوقهما ، وتتجاوزهما بسرعتها الفائقة ، وتواصل انطلاقها لمائتى متر على الأقل ، قبل أن تتوقف ، وتستدير لمواجهه هليوكوبتر ( أدهم ) مرة أخرى ..
وفى هذه المرة ، خُيِّل لـ ( فدوى ) أن عينيها تخدعانها ، فقد رأت ( أدهم ) ينطلق نحو هليوكوبتر ( نوفا ) ، بدلًا من أن يفرّ منها ..
واتسعت عيناها فى ذهول ، وكذلك فعلت عينا ( نوفا ) ، وهى تهتف :
ــ ما هذا ؟
وفى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان ( أدهم ) يرفع فوهة مسدسه نحو زجاج الهليوكوبتر ، فيحطمه برصاصة أولى ، ثم يبرز المسدس



عبر الجزء المحطّم ، ويطلق ثلاث رصاصات متتالية ، نحو هليوكوبتر ( نوفا ) ، ، قبل أن يرتفع بطائرته فى سرعة ..
وسمعت ( نوفا ) صوت ارتطام الرصاصات الثلاث بجسم الهليوكوبتر ، إلا أنها لم تبال بهذا ، وإنما هتفت :
ــ مسدّس ؟! .. يا للسخافة !! .. هل تتصوَّر أنك تستطيع مواجهة هليوكوبتر حربية بمسدّس واحد .
سمعت فجأة قرقعة مزعجة ، تنبعث من محرِّك الهليوكوبتر ، فارتفع حاجباها فى ذهول ، وهى تهتف :
ــ اللعنة !
أدركت لحظتها فقط أن مسدسًا واحدًا يمكنه أن يسقط هليوكوبتر حربية ..
لو أصابها فى الموضع المناسب ..
وبكل الغضب فى أعماقها ، صرخت ( نوفا ) :
ــ أيها الحقير .
واندفعت بكل ما تبقّى فى محرِّكها من قوة نحو هليوكوبتر ( أدهم ) ، وضغطت زر إطلاق النار فى عنف ، صارخة :
ــ لن أخسر المعركة وحدى .
انهالت رصاصات مدفع الطائرة على هليوكوبتر ( أدهم ) كالمطر ، وانكمشت ( فدوى ) فى مقعدها ، وهى تطلق صرخة رعب ، وتناثرت قطع الزجاج المحطّمة على وجهها وجسدها ، قبل أن ينحرف ( أدهم ) بالطائرة فى حدة ، بعيدًا عن مرمى النيران ..

وارتفع لسان من اللهب ، من محرّك هليوكوبتر ( نوفا ) ، التى اندفعت فى سرعة نحو قمم التلال ، وقالت ( نوفا ) فى غضب :

ــ إنك لم تربح بعد أيها المصرى .

وتشبّثت بحقيبة كبيرة إلى جوارها ، وهى تتطلّع إلى التلال ..

وهتفت ( فدوى ) ، فى الهليوكوبتر الأخرى :

ــ لقد أسقطتها يا ( أدهم ) .

عقد حاجبيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وبلغ مسامعه دوى انفجار الهليوكوبتر ، وهى ترتطم بقمم التلال ، وصوت ( فدوى ) ، وهى تهتف :

ــ لقد انتصرنا .. انتصرنا يا ( أدهم ) .

والتفتت إليه ، مستطردة فى سعادة جمّة :

ــ لقد فعلتها مرة أخرى يا ( أدهم ) .. يالك من رجل رائع ! .. إنه انتصار مذهل .. أروع انتصار شعرت به فى حياتى .

أجابها فى لهجة جامدة :

ــ اسم انتصار لا يناسب هذا الموقف يا ( فدوى ) .. إنه يتوافق فى الواقع مع صفة التعادل .

هتفت :

ــ أى تعادل ؟ .. إنه انتصار ساحق .. لقد أصبنا طائرتها ، و ..

قاطعها فى توتر :

ــ وهى أصابت طائرتنا أيضًا ، ومؤشّر الوقود أمامى يشير إلى أننا نفقده فى سرعة ، و ..

صمت لحظة ، ثم أضاف ، فى لهجة جمّدت الدماء فى عروقها :

ــ ونهوى ؟!

★ ★ ★





مطّ مدير ( الموساد ) شفتيه فى حنق ، وهو يعقد حاجبيه فى غضب ، متطلّعًا إلى شاب وسيم ، جامد الملامح ، يقف أمامه صامتًا ، وقال فى حدة :

ــ لا يا ( موشى ) .. لا مبرّر لاستمرارنا فى هذه العملية .. لقد حصل السوفيت على الوثائق ، وهذا يعنى أننا قد خسرنا اللعبة هذه المرة .

قال الشاب فى جمود :

ــ ولمَ لا تحاول يا سيّدى ؟ .. إن لنا عميلًا فى قلب المخابرات السوفيتية ، وقد يمكنه استعادة الوثائق ، قبل أن يطالعها رجالهم .

هزّ مدير ( الموساد ) رأسه نفيًا ، قبل أن يجيب :

ــ هذا العميل بالذات ، هو السبب فى ثقتى أننا خسرنا اللعبة يا ( موشى ) .. لو راجعت ملف عميلنا ( شيلنكو ) ، لوجدت أنه من الضرورى أن يتمّ اتصال يومى ، بينه وبين مكتبنا السرى فى ( موسكو ) ، إلا لو لقى مصرعه ، أو ألقى القبض عليه .

وتراجع فى مقعده ، مردفًا فى حزم :

ــ وهذا الاتصال لم يتمّ الليلة .

عقد ( موشى دزرائيلى ) ، ضابط ( الموساد ) الشاب حاجبيه ، وهو يقول :

ــ هذا يعنى أن عميلنا قد لقى مصرعه ، أو ألقى القبض عليه .

ضرب مدير ( الموساد ) سطح مكتبه براحته ، مضيفًا :

ــ وأن العملية كلها قد فشلت .

قلب ( موشى ) شفته السفلى ، وهو يقول فى برود :

ــ يا للخسارة ! ..لقد قرأت التقارير الخاصة بالعملية ، وكلها تشير إلى أن ذلك الضابط المصرى ، الذى يقاتل لصالح المصريين ، رجل من طراز خاص ، وخصم قوى ، يحلو للمرء أن يواجهه .

ثم هزَّ كتفيه ، مستطردًا بلا انفعال :

ــ ولكن من يدرى ؟ .. ربّما دارت الأيام والأحداث ، والتقيت به يومًا .. ربّما .

لم يدر لحظتها أن القدر قد استجاب لمطلبه هذا ، وادخر له أكثر من مغامرة ، مع ( أدهم صبرى ) ..

ولم يدرك لحظتها أن حديثه لم يكن مجرّد أمنية ..

بل كان نبوءة( * ) ..

★ ★ ★

اتسعت عينا ( فدوى ) فى رعب ، وهى تتطلّع إلى قمم الأشجار ، التى تقترب فى سرعة ، والهليوكوبتر تهوى كالحجر ، وصرخت :

ــ ( أدهم ) .. إننا لن ..

انتزعها من مقعدها بغتة ، وهو يقول فى حزم :

ــ ليس مرة أخرى يا عزيزتى .. لن أسمح لك بنطقها ثانية .

---

(*) راجع سلسلة ( رجل المستحيل ) .. المغامرات رقم (٦٥) ، و (٦٦) ، و (٦٧) تحت عناوين ( الجليد المشتعل ) ، و ( ألف وجه ) ، و ( الجحيم المزدوج ) .



رأته يفتح باب الهليوكوبتر ، فسألته فى رعب :

ــ ماذا تفعل ؟

أجابها فى اقتضاب ، وهو يحيط خصرها بذراعه :

ــ أقاوم .

هتفت :

ــ تقاوم ماذا ؟

ثم أطلقت صرخة ذعر وفزع ، وهوى قلبها معها ، وهو يقفز من الهليوكوبتر ، نحو قمم الأشجار ، وتشبّثت به فى قوة ، وأغلقت عينيها فى رعب ..

وارتطم جسداهما بقمة شجرة كثيفة ، وانزلقا بسرعة مخيفة فوق أغصانها الضخمة ، قبل أن يهوى جسداهما مرة أخرى ..

كان ( أدهم ) مصابًا بعدة جروح وكدمات ، وخدوش من رصاصة أو رصاصتين ، كادتا تسلبانه حياته ، وعلى الرغم من ذلك ، كان يحيط ( فدوى ) بذراعيه فى حزم وحنان ، وكأنما يقيها بجسده كل الإصابات المحتملة ..

وأخيرًا استقرّت قدماه أرضًا ، وانثنت ركبتاه ، ثم اعتدلتا فى مرونة ، وأوقف ( فدوى ) أمامه ..

وعلى قيد أمتار منهما ، ارتطمت الهليوكوبتر بقمم الأشجار ..

وانفجرت ..

وعلى ضوء اللهب المتراقص ، تطلّعت ( فدوى ) إليه ..

إلى وجهه ..

ثم أطلقت صرخة ذعر وفزع، وهوى قلبها معها ، وهو يقفز من الهليوكوبتر ، نحو قمم الأشجار ، وتشبثت به فى قوة ..

وإلى عينيه ..

وخفق قلبها بين ضلوعها ..

على الرغم من كل ماتمرت به من مخاطر وأحداث ، لم تنته بعد ، نبض قلبها بالحب ، هناك ، عند جذع الشجرة ، وإلى جوار لهيب النيران ..

كانت تشعر أنها بين ذراعى بطل أسطورى ..

عملاق من عمالقة التاريخ ..

ووسط كل هذا ، ابتسمت ( فدوى ) ..

ابتسمت وهى تتطلّع إلى عينيه الدافئتين ، المفعمتين بالحنان ، كصوته العميق ، وهو يسألها :

ــ أأنت بخير ؟

تمنّت ألا يتركها من بين ذراعيه أبدًا ، وهى تتمتم :

ــ بخير ، مادمت إلى جوارك .

حرَّرها من ذراعيه فى بطء ، وربَّت على شعرها الكستنائى فى رقة ، وبدا وكأن عواطفه كلها ستنفجر فجأة ، وتفرّ من عقالها ، ولكنه لم يلبث أن سيطر على مشاعره ، واعتدل فى حزم ، قائلًا :

ــ ينبغى أن نتحرَّك فى سرعة ، فهذه المنطقة تكتظّ بدوريات حراسة الحدود ، ولن تلبث إحدى الدوريات السوفيتية أن تهرع إلى هنا ، بعد سقوط الهليوكوبتر ، وانفجارها .

سألته :

ــ وأين سنذهب ؟

أشار بيده ، مجيبًا :

ـــ إلى الشمال الغربى .. هناك سنجد الحدود الفنلندية .

تطلّعت إلى حيث أشار ، وبدت لها معالم المنطقة كلها متشابهة ، فغمغمت :

ـــ وكيف نعلم أن هذا هو الشمال الغربى ؟

أشار إلى نجم شديد التألّق ، فى كبد السماء المظلمة ، وهو يجيب :

ـــ هذا هو النجم القطبى ، وهو يشير دائمًا إلى الشمال .

ثم أمسك يدها ، مستطردًا :

ـــ هيا يا عزيزتى ، فالطريق أمامنا طويل .

استسلمت له فى ارتياح ، وتركته يقودها ، عبر الغابة المظلمة ، نحو الأمل ..

أو الموت ..

★ ★ ★

سقطت أضواء المصابيح القوية ، لسيّارة الدورية السوفيتية ، على حطام الهليوكوبتر ، التى تعلّقت مراوحها بين الأشجار العالية ، وارتطم ذيلها الرفيع بالأرض ، وتحطّم تمامًا ، واشتعلت فيها النيران ، حتى لم يكن من السهل تبيّن طراز ماتبقّى من هيكلها ..

وهبط ضابط الدورية من السيّارة ، وصحبه ثلاثة من الجنود إلى الحطام ، وراحوا يفحصونه على ضوء مصابيح السيارة ، ثم قال الضابط :

ـــ لقد كنت على حق يا ( فيزوف ) .. إنها هليوكوبتر .

وتلفّت حوله ، مستطردًا :



ـــ وربما كانت نفس الهليوكوبتر ، التى أخبرونا عنها .

قال أحد الجنود فى اهتمام :

ـــ من الواضح أنها قد سقطت ، إثر قتال جوى ، ولقى ركّابها مصرعهم .

اقترب الضابط يفحص هيكل الطائرة المحترق ، ثم قال :

ـــ أشكّ فى هذا يا ( ميخائيلوفيتش ) ، فلا توجد أية بقايا بشرية محترقة .

قال ( ميخائيلوفيتش ) :

ـــ ربما احترقوا عن آخرهم ، أو ..

قاطعه صوت ساخط ، يقول :

ـــ لا تنطق بعبارة غبية أيها الرفيق الجندى ، وإلا فصلتك من الخدمة .

التفت الجنود وضابطهم فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وصوّبوا فوهات أسلحتهم إلى تلك الشقراء الفاتنه ، التى ترتدى زيًّا عسكريًا ، وتحيط جبهتها بضمادة صغيرة ، اصطبغ نصفها بدمائها القانية ..

وفى برود صارم ، تطلّعت الشقراء إلى الأسلحة المصوّبة إليها ، وقالت :

ـــ استجابة جيّدة أيها الرفاق ، ولكنكم أخطأتم الهدف .

سألها الضابط فى صرامة :

ـــ من أنت ؟

قالت فى لهجة قوية ، شأن من اعتاد إصدار الأوامر :

ـــ الميجور ( نوفا مالينوف ) ، من الـ ( كى . جى . بى ) .

كان لذكر عملها أثر رهيب على الضابط وجنوده ، فقد اتسعت عيونهم فى ذعر ، وانخفضت أسلحتهم فى سرعة ، فانعقد حاجبا ( نوفا ) فى غضب ، وهى تقول :

ــ لماذا خفضتم أسلحتكم ؟ .. هل تأكدتم من حقيقة شخصيتى بعد ؟

قال الضابط فى ارتباك :

ــ معذرة أيتها الرفيق .. لقد خشينا أن ..

صاحت فى حنق :

ــ خطأ .. لابد وأن تتأكد من شخصيتى أيها الضابط ، مهما كانت الأسباب .. إننى أطارد الآن شيطانًا ، استطاع انتحال شخصية الجنرال ( نايكوف ) ، فى مهارة مذهلة ، نجحت فى خداعى أنا شخصيًا .

وعضّت شفتها السفلى فى غيظ وندم ، وهى تستطرد :

ــ ولو أننى طالبته بإثبات شخصيته ، لما حدث كل هذا .

ارتبك الضابط ، ولم يدر ماذا يفعل ، ثم لم يلبث أن استجمع شجاعته ، وقال :

ــ حسنًا أيتها الرفيق الضابط ، هل لى فى رؤية هويتك العسكرية ؟

قالت فى صرامة :

ــ لا وقت لهذا العبث .

تراجع فى دهشة ، وامتلأت نفسه بالغيظ ، فى حين تجاوزته هى فى خشونة ، واتجهت إلى الهليوكوبتر ، وأخذت تفحصها فى اهتمام ، فقال الضابط :

ــ إنها إحدى طائراتنا على الأرجح ، ولقد سقطت فى معركة جوية ، و ..



قاطعته فى صرامة :

ــ أعلم هذا ، فأنا التى أسقطتها .

ثم اعتدلت مستطردة فى مقت :

ــ وكدت ألقى حتفى أنا أيضًا ، لولا أن قفزت من طائرتى ، فى اللحظة الأخيرة ، مستخدمة مظلة هبوط قديمة ، كادت توردنى حتفى ، من هذا الارتفاع الصغير .

صمتت لحظات ، وشرد بصرها بنظرة كراهية ، وكأنها تسترجع ذكرى ماحدث ، ثم انحنت تفحص الأرض حولها فى اهتمام ، وقالت :

ــ لا توجد آثار أقدام حول الحطام ، كما لا يوجد أثر للجثتين ، وهذا يعنى أنهما قد نجوَا .

ثم رفعت رأسها فى توتر ، مستطردة :

ــ ولكن كيف ؟

صمتت لحظات أخرى مفكّرة ، ولزم الضابط وجنوده الصمت ، احترامًا لصمتها ، قبل أن ترفع هى رأسها إلى قمم الأشجار ، قائلة :

ــ أعطنى مصباحًا يدويًا .

ناولها الضابط مصباحه اليدوى ، فأشعلته ، وصوّبته إلى قمم الأشجار ، وراحت تفحصها فى اهتمام بالغ ، ثم لم تلبث أن توقفت ، عند قمة شجرة ، تحطمّت أغصانها ، ومالت إلى أسفل ، فأسرعت إلى جذعها ، وخفضت مصباحها ؛ لتفحص الآثار العميقة عند قاعدة الشجرة ، ثم نهضت فى حركة حادة ، وأدارت رأسها إلى الشمال الغربى ، ومغمغمة :

ـ يا للشيطان !

والتفتت إلى الضابط ، تسأله فى حسم :

ـ هل تحمل جهازًا لاسلكيًا ؟

أجابها فى سرعة :

ـ بالطبع .

قالت فى لهجة آمرة ، وهى تسرع نحو سيارة الدورية :

ـ اتصل بأقرب دورية ، عند الحدود الفنلندية ، ومرهم بتشديد المراقبة على منطقتهم ، وإطلاق النار على كل من يقترب من الحدود .

تبعها الضابط والجنود فى خطوات سريعة إلى السيّارة ، وقفزت هى داخلها ، وهى تقول :

ـ هيا .. أسرعوا .. ينبغى أن نلحق بهما ، قبل أن يبلغا الحدود .

التقط الضابط مسماع جهاز اللاسلكى ، ليبلغ أوامرها لنقاط الحدود ، وهو يقول لسائق السيارة فى حزم :

ـ انطلق إلى الشمال الغربى .

وأطاع السائق الأمر ، وانطلق بالسيارة نحو الحدود ، فى حين تألقت عينا ( نوفا ) ببريق شرس ، وهى تكرّر جملتها المعهودة :

ـ لن تفلت أيها المصرى .. لن تفلت أبدًا ..

★ ★ ★

« فلنتوقف قليلًا .. »

هتفت ( فدوى ) بالعبارة فى إرهاق ، وهى تشير إلى ( أدهم )



بالتوقف ، فقال فى خفوت ، وهو يتطلّع إليها بنظرة مشفقة :

ـ المفروض ألّا نتوقف الآن ، فلقد أصبحت الحدود الفنلندية على مسافة كيلو متر ونصف فقط ، ومن الخطر أن نتوقف قبل بلوغها .

لوّحت بكفها ، وألقت جسدها أرضًا ، وهى تقول :

ـ لا فائدة .. لم أعد أستطيع الاستمرار .

تطلّع إليها لحظة فى صمت وعطف ، ثم جلس إلى جوارها ، عند جذع شجرة قديمة ، وقال فى هدوء :

ـ ربما لا تقدرين خطورة الموقف يا ( فدوى ) ، فنحن هنا فى أخطر مناطق ( الاتحاد السوفيتى ) ، حيث تنتشر دوريات حراسة شرسة ، لديها أوامر صارمة ، بإطلاق النار على كل من يقترب من الحدود ، وخصوصًا أولئك الذين يسأمون النظم الشيوعية ، ويحاولون الفرار إلى دول أخرى ، وهذا يعنى أننا معرّضون لكشف أمرنا فى أية لحظة ، لو بقينا هنا .

أراحت جبهتها على راحتها ، وهى تقول :

ـ إننى مقتنعة بكل حرف نطقت به ، ولكن ..

رفعت عينين منهكتين إليه ، وهى تستطرد فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ لم أعد أحتمل .

ارتفع حاجباه فى حنان ، وربّت على كتفها ، متمتمًا :

ـ فليكن يا عزيزتى .. سنبقى بعض الوقت ، ثم نواصل الطريق .

ارتكنا إلى جذع الشجرة فى صمت ، وتطلّعت هى إلى السماء بنجومها اللامعة ، التى بدت أشبه بقطع من الماس ، تتألق على ثوب مخمل أسود ، وهمست :

ـ يا إلهى !.. كم أتمنى لو أنتهى كل هذا .

غمغم :

ـ سينتهى على خير حال بإذن الله .

تنهدت وقالت :

ـ أتمنى هذا .

ثم لاذا بالصمت ، وكأنما يخشى كل منهما إفساد المشهد الصامت ..

وأسبلت ( فدوى ) جفنيها ، وهى تتساءل فى دهشة ، عن سر تلك الرومانسية ، التى ترتع فى أعماقها ، وسط كل هذا الخطر ..

لم يكن من الممكن أبدًا ، قبل أن تلتقى بـ ( أدهم ) ، أن تتصوَّر نفسها وسط كل هذا ..

ولا أن تشعر بما تشعر به الآن ..

لقد أصابها تغيير كبير بالتأكيد ..

هاهى ذى ، بعد كل ما خططته لحياتها ، تجلس عند جذع شجرة ، إلى جوار رجل مخابرات مدهش ، تتطلَّع إلى السماء والنجوم ، وسط غابة كثيفة ، عند الحدود الفنلندية السوفيتية ، والموت يحيط بها من كل جانب ، وعلى الرغم من كل هذا ، فهى تجد الوقت للتفكير فى الحب ، والعواطف ، ولواذع القلوب ..

أى جنون أصابها ؟ ..

أى تغيير عصف بها ؟ ..

أى ..

قاطعتها فجأة زمجرة مخيفة ، فالتفتت إلى مصدرها فى حركة سريعة ، وأطلقت صرخة رعب ، عندما انقضّ عليها ذئب أبيض ضخم ، وهو يتجه بأنيابه نحو عنقها ..

ونحو حياتها ..

★ ★ ★



## ٢٤ ـ أنياب ..

أوقفت ( نوفا ) سيارة الدورية للمرة الثالثة ، وهبطت منها تفحص الأرض فى اهتمام ، ثم اعتدلت ، ووضعت قبضتيها فى وسطها ، وهى تدير عينيها فى المكان ، وغمغمت فى عصبية :

ـ ترى أين ذهب ذلك الشيطان ؟

انحنت مرة أخرى تفحص الآثار ، وسألها الضابط :

ـ هل وجدت شيئًا ، أيتها الرفيق ( نوفا ) ؟

التفتت إليه لحظة فى صمت ، ثم أجابت :

ـ هناك أمر ما ، يثير القلق والشك ، فلو أن ذلك الشيطان قد اتخذ طريق الشمال الغربى مباشرة ، لكان من الضرورى أن تمتد آثار أقدامه وأقدام زميلته إلى هنا ، ولكننى لا أجد أدنى أثر لهما ، وهذا يعنى أنهما قد اتخذا طريقًا آخر .

سألها الضابط فى حذر :

ـ أليس من المحتمل أن ..

قاطعته فى صرامة ، قبل أن يتمّ سؤاله :

ـ لا ..

عقد حاجبيه فى ضيق ، فاستطردت فى برود :

ـ حاول ألا تنسى أبدًا ، أيها الرفيق الضابط ، أن العلوم والخبرات ، التى نتلقّاها فى الـ ( كى . جى . بى ) ، تفوق بألف مرة على الأقل ، كل ما تتلقّاه أنت من علوم ، منذ التحاقك بالجيش السوفيتى ، وحتى حصولك

على رتبة جنرال .. هذا لو أنك تمتلك الذكاء الكافى ، لبلوغ هـذا المنصب .

قال الضابط فى حدة ، وقد ساءه أن تتحدّث إليه بهذا الأسلوب ، أمام جنوده :

ــ وما الذى أخبرتك به خبرات الـ ( كى . جى . بى ) ، أيتها الرفيق الضابط ؟

قالت فى حسم :

ــ هذا المصرى خبير فى إزالة آثار أقدامه .

تمتم فى حنق :

ــ ياللعبقرية !

لم تنتبه ، فى غمرة تفكيرها ، بالنبرة المحنقة الساخرة ، التى نطق بها كلمته ، فتابعت بكل اهتمام :

ــ فى هذه الحالة ، ينبغى أن نضع أنفسنا فى موضع الشخص ، الذى نطارده ، ونسأل أنفسنا : ماذا يمكن أن نفعل ، لو كنا فى موضعه ؟

تمتم الضابط .

ــ سؤال جيّد .

راحت تفكّر مرة أخرى فى عمق وصمت ، قبل أن تسأله :

ــ ألديك خريطة للمنطقة ؟

أجابها فى ضجر :

ــ بالتأكيد .

والتحنى يلتقط الخريطة ، مستطردًا :



ــ كل ضباط الدوريات يملكون خرائط تفصيلية واضحة للمنطقة .

التقطت منه الخريطة ، وفردتها أمامها ، على مقدّمة السيارة ، وصوّبت المصباح اليدوى إليها ، وهى تفحصها فى اهتمام بالغ ، ثم أشارت إلى نقطة ما ، قائلة :

ــ لو أننى فى موضع ذلك المصرى ، وقررت الانحراف عن المسار التقليدى ، لتضليل فرق المطاردة ، التى تنطلق خلفى ، فمن الطبيعى أن أنطلق إلى هنا ، فى الشمال ، حيث الحدود أقلّ اتساعًا ، و ..

وفجأة دوت طلقة رصاص ، شقّ صوتها سكون الليل ..

وتجمّدت ( نوفا ) فى مكانها لحظة ..

وابتسم الضابط فى سخرية ؛ فقد كانت الطلقة آتية فى اتجاه مخالف تمامًا ، لذلك الاتجاه ، الذى اقترحته ( نوفا ) ..

من الغرب ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى كاد فيها الذئب الأبيض يطبق بأنيابه على عنق ( فدوى ) ، جذبتها يد ( أدهم ) بعيدًا فى قوّة ، فارتطم الذئب بجذع الشجرة ، وأطلق عواءً غاضبًا ، وهو يتراجع فى حدّة ..

ومن خلفه ، برزت ست عيون أخرى ، من وسط الظلام ..

ثم برزت الأنياب الحادة ..

كانت أربعة ذئاب ، تتطلّع فى وحشية إلى ( أدهم ) و ( فدوى ) ..

والتصقت ( فدوى ) بـ ( أدهم ) فى رعب ، وهى تقول :

ـ ماذا نفعل ؟

أجابها فى خفوت :

ـ لست أدرى .

لم يكن يدرى حقًا ما الذى ينبغى أن يفعله ، وهو الذى بذل أقصى جهده ، لاتخاذ مسار متعرّج ، وتضليل مطارديه ..

إنه لن يستطيع إطلاق النار على الذئاب ، حتى لا يكشف موضعه ..

ولا يستطيع أن يفرّ منها أيضًا ، فى وجود ( فدوى ) ..

وزمجرت الذئاب مرة أخرى ..

وتحفّزت للانقضاض ..

وفى حزم ، قال ( أدهم ) لـ ( فدوى ) :

ـ عندما يبدأ القتال ، انطلقى إلى تلك الشجرة ، ذات الأغصان الطويلة ، وتسلّقيها ، و ..

قاطعته فى عناء :

ـ سأبقى معك .

صاح فى غضب :

ـ هذا أمر .

ومع صيحته ، انقضت الذئاب ..

وأطلقت ( فدوى ) صرخة رعب ، عندما انفرزت أنياب أحد الذئاب فى كم سترتها ، وجذبها الذئب فى قوة ، فى نفس الوقت الذى انقضت فيه الذئاب الثلاثة الأخرى على ( أدهم ) ، وكأنها تدرك فارق القوة ، بين إناث وذكور البشر ..



ودفع ( أدهم ) الذئب الأوّل فى قوّة ، ثم لكم الثانى فى وجهه ، كما لو كان خصمًا بشريًا ، فى حين أنشب الثالث مخالبه فى صدر سترته ..

وصرخت ( فدوى ) ، والذئب يلقيها أرضًا ، ويجذبها بعيدًا فى قوة :

ـ النجدة يا ( أدهم ) ! النجدة !

وأمام ذلك المشهد ، تلاشت من ذهن ( أدهم ) كل احتياطات الأمن ، التى تعلّمها فى عمره كله ، ولم يعد هناك ما يهم ، سوى أمر واحد ..

أن تنجو ( فدوى ) ..

وبأى ثمن ..

وفى سرعة ، حسم أمره ، وانتزع مسدّسه من جيبه ، وأطلق النار على ذلك الذئب ، الذى يجذب ( فدوى ) ..

وكانت الرصاصة ، التى سمعها رجال الدورية السوفيتية ، وعلى رأسهم الرفيق الميجور ( نوفا مالينوف ) ..

وقبل أن يتلاشى دوى الطلقة ، كانت ( نوفا ) تقفز داخل السيارة ، صائحة :

ـ اسرعوا .. لقد كشف مكانه .

أما ( أدهم ) ، فقد أدرك ، فور إطلاقه الرصاصة الأولى ، أن الاختفاء لم يعد مجديًا ، فأدار فوهة مسدّسه إلى رأس ذئب ضخم ، تشبّث بأنيابه فى صدر سترته ، وأطلق عليه رصاصة ، ألقته جثة هامدة ..

وتراجع الذئبان الآخران فى سرعة ، وراحا يدرسان خصمهما من جديد ..

هكذا الحال فى عالم الحيوان ..

كل حيوان فى الغابة ، لا يقاتل إلا الحيوانات الأضعف منه فحسب ..

هذا هو قانون القوة ..

وفى صرامة ، لوّح ( أدهم ) بمسدّسه فى وجه الذئبين ، صائحًا :

ــ هيا .. ابتعدا .

والعجيب أنهما أطاعا أمره ، وانطلقا يعدوان مبتعدين ، فأسرع هو إلى حيث سقطت ( فدوى ) ، وعاونها على النهوض ، قائلًا فى قلق :

ــ هل أصابك مكروه ؟

أجابته فى خفوت ، وهى تتطلّع إليه فى انبهار :

ــ وهل من الممكن أن يصيبنى مكروه ، وأنا بصحبتك ؟

تطلّع إلى عينيها الجميلتين لحظة ، ثم قال فى حسم :

ــ لقد كشفنا أنفسنا بهذه الطلقات ، والأفضل أن نسرع بالابتعاد عن هنا ، قبل أن تنقضّ علينا الدوريات السوفيتية ، من كل صوب .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى غمرهما ضوء سيارة دورية سوفيتية ، وارتفع صوت صارم ، يقول باللغة الروسية :

ــ لقد سقطتما .. ألقيا أسلحتكما ، أو نطلق النار على الفور .

وأسقط فى يد ( فدوى ) ..

وانهار الأمل فى أعماقها ..

ولكن فجأة ارتفع صوت ( أدهم ) ، يقول بلغة روسية سليمة :

ــ مهلًا أيها الرفيق .. إننى ضابط من ضباط الـ ( كى . جى . بى ) ، أطارد تلك الهاربة .



لم تفهم ( فدوى ) حديثه ، ولكنها فوجئت به يمسك ذراعها فى قوة ، ويتقدّم نحو سيارة الدورية ، ممسكًا مسدّسه باليد الأخرى ، فى حين قال ضابط الدورية فى تردد :

ــ ولماذا تطاردها هنا ، أيها الرفيق الضابط ؟

أجابه ( أدهم ) بلغته :

ــ كانت تحاول عبور الحدود .

كانت لغته سليمة للغاية ، ولم يكن قد تخلّص بعد من الزى العسكرى السوفيتى ، الذى بدا متهدلًا ، بعد أن انتزع منه الكرش الصناعى ، الذى استخدمه لانتحال شخصية الجنرال ( نابيكوف ) ، مما جعل ضابط الدورية يميل إلى تصديقه ، ويتطلّع إلى ( فدوى ) بنظرة فاحصة ، قائلًا :

ــ لقد تلقينا بلاغاً بشأنها ، وكنا نبحث عنها ، وعن زميل لها .

كان ( أدهم ) قد بلغ موضع السيارة ، فى هذه اللحظة ، فتوقّف أمام الضابط ، وهو يقول :

ــ لن تبحث عنه طويلًا .

سأله الضابط فى لهفة :

ــ هل أوقعت به أيها الرفيق ؟

هزّ ( أدهم ) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لم يكن هناك داع لذلك .

ثم انطلقت قبضته كالقنبلة ، فى وجه الضابط ، وهو يستطرد :

ــ فهو أنا .

رفع جنود الدورية الأربعة فوهات مدافعهم الآليه ، فى وجه

( أدهم ) ، فور حدوث هذا ، ولكن ( أدهم ) دفع ( فدوى ) بعيدًا ، ثم قفز داخل السيارة ، وسط خصومه الأربعة ..

وكانت تجربة فريدة للجنود الأربعة ..

لقد خُيِّل إليهم أن ( أدهم ) هذا ليس سوى قنبلة موقوتة ، لم تكد تعتلى سطح سيارة الجيب ، حتى انفجرت فى وجوههم بغتة ..

لقد تلقّى أحدهم لكمة ساحقة ، ألقت به من فوق السيارة ، وتفجّر أنف الثانى ، إثر لكمة كالقنبلة ، أفقدته الوعى على الفور ، وفى اللحظة نفسها تقريبًا تحطّم فك الجندى الثالث ، بضربة من كعب بندقية زميله ، التى انتزعها ( أدهم ) ، ودفعها فى أسنان الرابع ..

وانتهى القتال فى لحظة واحدة تقريبًا ..

وفى ذهول تام ، حدّقت فيه ( فدوى ) ، هاتفة :

ــ يا إلهى !! .. كيف فعلت هذا ؟

لم يجب سؤالها ، وإنما جذبها من يدها إلى السيارة ، وهو يقول فى حزم :

ــ هيّا .

وأدار محرّك السيارة فى سرعة ..

وفجأة ، وقبل أن ينطلق بالسيارة ، سقط ضوء سيارة أخرى على جانب وجهه ، وارتفع فى المكان صوت ( نوفا ) ، وهى تصرخ .

ــ ها هوذا ! .. لقد أوقعنا به .. أوقفوه يا رفاق .. أوقفوه بأى ثمن .

ولكن ( أدهم ) انطلق بالسيّارة بلا تردد ..

لقد قررّ مواصلة القتال ..

حتى آخر رمق ..

★ ★ ★

لم يجب سؤالها ، وإنما جذبها من يدها إلى السيارة ، وهو يقول فى حزم :

ــ هيا ..

صرخت ( نوفا ) ، عندما شاهدت سيارة ( أدهم ) تنطلق :

ــ أطلقوا النار .. لا تدعوه يفلت .

انهالت رصاصات جنود الدورية على سيارة ( أدهم ) ، الذى انطلق فى سرعة ، وهو يهتف بـ ( فدوى ) :

ــ اخفضى رأسك .

لم يكن يحتاج إلى توجيه هذه النصيحة إليها فى الواقع ، فلم تكد الرصاصات تنطلق فوق رأسها ، حتى ألقت نفسها فى جوف السيَّارة ، وانكمشت فى رعب ..

وصاحت ( نوفا ) :

ــ على الإطارات .. صوِّبوا على الإطارات ..

شعر ( أدهم ) بالقلق ، عندما أطاعها الجنود ، وراحوا يطلقون رصاصاتهم فى غزارة على إطارات السيارة ..

وانفجر إطار خلفى ..

ثم انفجر الإطار الأمامى الأيسر بغتة ..

وعلى الرغم من مهارة ( أدهم ) المدهشة ، فى قيادة السيارات ، وأصابعه التى تطبق على عجلة القياة كالفولاذ ، فقدت سيارته توازنها ، ودارت حول نفسها فى عنف ، ثم انقلبت على جانبها ، وألقت جسده وجسد ( فدوى ) خارجها ..

وصرخت ( نوفا ) فى انتصار :



ــ لقد ظفرت به .. أخيرًا ظفرت به ..

ولكن ( أدهم ) نهض فى سرعة ، واندفع يواجه السيارة الأخرى بجسده ، وهو يرفع رصاصاته فى وجهها ..

وصرخ الضابط :

ــ ماذا يفعل هذا المجنون ؟

أما ( نوفا ) فقد تذكَّرت مواجهتها السابقة مع ( أدهم ) ، عندما أصاب طائرتها بمسدَّسه ، فى مهارة مذهلة ، فصرخت :

ــ اخفضوا رءوسكم .

ولم تكد تخفض رأسها ، حتى أطلق ( أدهم ) النار ..

كان ضوء مصباحى السيارة يغمره ، ويمنعه من رؤية هدفه بدّقة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أصابت رصاصاته مصباحى السيارة ، وذراع سائقها ، الذى أطلق صرخة ألم ، وانحرف بالسيارة فى حركة غريزية عنيفة ، فارتفع اطاراها الأيمنين ..

وانقلبت على جانبها الأيسر ..

وبينما كانت ( نوفا ) تقاتل ، للخروج من السيَّارة المقلوبة ، اندفع ( أدهم ) نحو ( فدوى ) ، وعاونها على النهوض ، ثم هتف :

ــ اجرى .. اجرى من أجل حياتك .

انطلقت تعدو إلى جواره ، نحو بحيرة تلوح من بعيد ، مع أضواء الفجر الأولى الخافتة ، فى حين هتفت ( نوفا ) من خلفهما :

ــ أوقفوهما .

انشغل الجنود لحظات فى الخروج من السيارة ، ثم راحوا يطلقون النار

خلف ( أدهم ) و ( فدوى ) ، وصاحت ( فدوى ) :

ـ إلى أين تذهب ؟

هتف بها ( أدهم ) :

ـ إلى تلك البحيرة هناك .. المهم أن نبلغها ، وبعدها ينتهى كل شىء .

هتفت فى مرارة :

ـ لن يمكننى هذا .. لن يمكننى أبدًا .

صاح بها :

ـ ابذلى أقصى جهدك .

ولكنها تعثرت بغتة ، وسقطت على وجهها ، فتوقف ليعاونها على النهوض ، وسمعها تقول فى مرارة :

ـ لا فائدة .. لن يمكننى الاستمرار .

ألقى نظرة قلقة ، على الجنود الذين بدأوا مطاردتهما ، وقال :

ـ بل يمكنك .. حاولى ، و ..

قاطعته فى حزن :

ـ لن أستطيع .. إننى أعرف قدراتى جيدًا .. اهرب أنت يا ( أدهم ) .. اهرب قبل فوات الأوان .

انحنى يحملها فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ محال .

حملها على ذراعيه ، كما لو كانت طفلًا صغيرًا ، وانطلق يعدو نحو البحيرة ، وخلفه ( نوفا ) ، تطلق رصاصات مسدسها ، وتصرخ :

ـ الحقوا به .. اقتلوه .



وأخذت البحيرة تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

والرصاصات من حول ( أدهم ) تنهال فى غزارة ، وسخاء ..

ثم بلغ ( أدهم ) شاطىء البحيرة ..

وبلا تردد ، ألقى ( أدهم ) جسده فى البحيرة ، وأخذ يسبح بقدميه مبتعدًا عن شاطئها ، وهو يحمل ( فدوى ) بذراعيه ..

وعندما بلغت ( نوفا ) ورجالها شاطىء البحيرة ، كان هو قد ابتعد عنه بعشرين مترًا على الأقل ، فهتفت ( نوفا ) ، وهى ترفع مسدسها نحوه :

ـ خسرت هذه المرة أيها المصرى .. لن أخطأ هدفًا بمثل حجمك ، من هذه المسافة أبدًا .

وضغطت الزناد ..

★ ★ ★

انتفضت ( منى ) فى قوة ، عند هذا الجزء من الرواية ، وهتفت :

ـ هل أطلقت النار ؟

تطلع إليها ( قدرى ) فى دهشة ، وقال :

ـ ما الذى أفزعك إلى هذا الحد ؟ .. أنت تعلمين حتمًا أنها لم تقتل ( أدهم ) ، وإلا لما شاركته مغامراته بعدها .

قالت فى توتر :

ـ لست أقصد ( أدهم ) .

ثم مالت نحوه ، مستطردة ، فيما يشبه الهمس :

ـ بل أقصد ( فدوى ) .
تطلّع إليها لحظة فى صمت ، ثم سألها :
ـ لماذا توقّعت هذا ؟
تراجعت فى بطء ، ثم هزّت كتفيها ، وقالت :
ـ لست أدرى .. لقد بدا لى هذا طبيعيًا .
تمتم :
ـ عجبًا !
جعلتها كلمته تعتدل فى حركة حادة ، وتقول :
ـ هل حدث هذا بالفعل ؟
سألها فى دهشة :
ـ حدث ماذا ؟
تردّدت ، قبل أن تقول :
ـ هل .. هل قتلت الرصاصة ( فدوى ) ؟
قال فى دهشة أكبر :
ـ ما الذى جعلك تتوقعين هذا ؟
أشارت إليه ، قائلة :
ـ أنت .. أسلوبك أوحى إلىّ بهذا ، عندما ردّدت كلمة ( عجبًا ) .
أطلق ضحكة طويلة ، وقال :
ـ قلت هذا ؛ لأن أسلوب تفكير النساء يدهشنى .
عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حدة :
ـ اسمع يا ( قدرى ) .. صحيح أنك واحد من خبراء المخابرات ،



ولكنك لست محترفًا مثلى ، وأنا أعلم جيدًا ـ بحكم خبرتى ـ أنه من المستحيل تقريبًا أن يُخطئ فرد من أفراد المخابرات ، أيًا كانت الدولة التى ينتمى إليها ، فى إصابة هدف بشرى ، من مسافة عشرين مترًا فحسب ، وهذا يعنى أنه ما دامت ( نوفا ) قد أطلقت رصاصتها ، فقد أصابت هدفها حتمًا ، ومادام هذا الهدف ليس ( أدهم ) ، كما نعلم الآن ، فهو حتمًا ( فدوى ) .
مطّ شفتيه ، وهو يقول فى خبث :
ـ يا للذكاء !
عقدت حاجبيها أكثر ، وسألته فى حدة :
ـ قل لى : هل أطلقت ( نوفا ) رصاصتها أم لا ؟
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ لقد أطلقتها .
رفعت ذراعيها هاتفة :
ـ من أصابت إذن ؟
ضحك لثورة أعصابها ، وقال :
ـ لا داعى لكل هذا التوتّر ، يا عزيزتى ( منى ) ، كان يمكنك أن تستمعى إلى القصة ، بدلًا من مقاطعتى على هذا النحو ، وكنت ستعرفين الجواب حتمًا .
زفرت فى حدة ، وقالت :
ـ حسنًا .. حسنًا .. لقد وعيت الدرس .. أقسم لك .. هيا .. لن أقاطعك مرة أخرى ، واصلِ قصتك .

رفع سبّابته فى تردّد ، وقال :

ــ هل يمكننى أن أطلب فطيرة جبن أوّلًا ؟

صاحت به :

ــ بل سنروى على الفور .

اعتدل قائلًا :

ــ فليكن .. سأطيعك هذه المرة .

وعاد يروى ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى ضغطت فيها ( نوفا ) زناد مسدّسها ، انقضّت يد الضابط على معصمها ، ورفعته إلى أعلى ، فطاشت الرصاصة فى الهواء ، والتفتت إليه ( نوفا ) ، صارخة فى جنون :

ــ بماذا فعلت ؟ .. هل جننت ؟

أجابها فى حدة :

ــ كنت أحاول منعك ، من الوقوع فى خطأ جسيم ، أيتها الرفيق .

صرخت فى غضب :

ــ أى خطأ أيها الغبى ؟ .. إن الجاسوس سيفلت .

ودفعته عنها ، صائحة :

ــ ابتعد .. إنك تعيق عملى .

ورفعت مسدّسها مرة أخرى نحو ( أدهم ) ، الذى اقترب من الشاطىء الآخر للبحيرة ، ولكنها لم تكد تضغط الزناد هذه المرة أيضًا ،



حتى رفع الضابط فوهة مسدّسها إلى أعلى ، وأضاع رصاصتها ، فصرخت :

ــ ماذا أصابك ؟

قال فى صرامة غاضبة :

ــ ليس من حقك إطلاق النار عليه أيتها الرفيق .

صرخت ثائرة :

ــ من قال هذا ؟

أشار إلى لافتة قريبة ، مجيبًا فى صرامة :

هذه اللافتة .

التفتت إلى اللافتة فى حدة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، ثم عادت تدير عينيها فى غضب ، إلى الشاطىء الآخر للبحيرة ، حيث صعد ( أدهم ) و ( فدوى ) ، وأسرعا يعدوان إلى الغابة القريبة ، وعضّت شفتيها قهرًا وغيظًا ..

لقد خدعها ذلك المصرى مرة أخرى ..

خدعها الخدعة الأخيرة ..

★ ★ ★

ارتجف جسد ( فدوى ) ، و ( أدهم ) يعاونها على الصعود إلى الشاطىء الآخر ، وقالت فى توتّر :

ــ يا إلهى .. لقد تصوّرت لحظة أنهم سيلحقون بنا إلى هنا .

ابتسم وهو يقول فى ارتياح :

ــ اطمئنى .. لن يمكنهم هذا .

سألته فى دهشة :

ــ لماذا ؟

أجابها ضاحكًا :

ــ لأننا ، ومنذ هبوطنا إلى البحيرة ، لم نعد داخل الحدود السوفيتية .

هتفت فرحة :

ــ حقًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا عزيزتى ، فشاطىء البحيرة البعيد هذا ، هو الحد الفاصل ، بين الحدود السوفيتية ، والحدود الفنلندية ، والقانون الدولى يحظر على أى جندى سوفيتى عبور هذا الحد الفاصل ، وإلا اعتُبِرَ هذا عملًا عسكريًا ، موجّهًا إلى ( فنلندا ) ، أو إعلان حرب بين الدولتين ، وهذا ينطبق أيضًا على إطلاق النار من أحد جانبى البحيرة ، إلى الجانب الآخر ، ومنذ لحظة هبوطنا إلى البحيرة ، لم يكن من الممكن ــ قانونًا ــ أن يُطلق علينا جندى سوفيتى واحد رصاصة من مسدّسه .. هل فهمت لماذا اخترت هذه المنطقة بالذات ؟

ابتسمت فى وجهه ، قائلة فى هيام :

ــ أنت عبقرى .

ألقى جسده فوق العشب الطرى ، وأسبل جفنيه ، وهو يغمغم :

ــ لا تبالغى يا عزيزتى .. إنها بعض المعلومات البسيطة ، حول الحدود الجغرافية ، وقوانين السياسة الدولية .

تطلّعت إليه فى حب وحنان ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة خافتة ،



وهى تتمم :

ــ هل اعتدت اعتبار كل الأمور بسيطة هكذا ؟

أجابها ، دون أن يفتح عينيه :

ــ إنها كذلك بالفعل .

استلقت على الحشائش إلى جواره ، وقالت :

ــ بل أنت الرائع يا ( أدهم ) .. إنك تؤدى أعمالًا يعجز عنها أعتى الرجال ، ولكنك تفعلها فى بساطة متناهية ، توحى بأنها مجرّد أعمال عادية بسيطة .. ألا تدرك أنك واحد من قلائل ، نجحوا فى اجتياز السور الحديدى ذهابًا وإيابًا .

ارتفع فجأة صوت أنثوى غاضب ، يقول :

ــ وواحد من عديدين ، لقوا مصرعهم أثناء هذا .

وأطلقت ( فدوى ) صرخة رعب .

★ ★ ★

# ٢٦ ــ الأحمر والأشقر ..

حلّقت طائرة مائية خاصة ، فوق تلك الجزيرة الصغيرة ، التى يندر وجودها على خرائط المحيط الأطلنطى ، ونقل الهواء رسالة لاسلكية من الطائرة ، إلى قلعة قديمة ، ترتفع فوق أعلى قمم الجزيرة ، تقول :

ــ هنا طائرة ( مارى ويلكوكس ) ، تطلب الإذن بالهبوط .

ارتفع من القلعة نداء يقول :

ــ من ( سكوربيون ) إلى ( مارى ــ ويلكوكس ) .. لديك الإذن بالهبوط .

أجابت الطائرة ..

ــ عُلِمَ ، وسنهبط على الفور ، فى المكان المعتاد .

انحدرت الطائرة فى نعومة ، حتى استقرّت على سطح الماء ، بين زورقين بخاريين ، يحملهما عدد من الرجال الأشدّاء ، المسلحين بالمدافع الآلية ، وفُتِحَ بابها فى بطء ، وبرزت على عتبته ( مارى ) ، فى ثوب أحمر قصير كعادتها ، وشعرها النارى يلتهب تحت أشعة الشمس ، وألقت نظرة ساخرة على الرجال الأشدّاء ، ثم قفزت داخل أحد الزورقين ، وأشعلت سيجارتها ، وهى تقول :

ــ هيا .. انطلق .

انطلق بها الزورق بالفعل ، حتى بلغ الجزيرة ، فاستقبلها أربعة رجال مسلحين ، نقلها اثنان منهم ، فى سيارة خاصة ، إلى القلعة ، حيث عبرت ممرات طويلة معقّدة ، أشبه بمتاهات ألعاب الأطفال ؛ إلى أن وجدت



نفسها أمام حجرة مغلقة ، ذات باب خشبى ضخم ، حُفِرَ فوقه نحت بالغ الدقة ، لعقرب أسود مخيف ، يرفع ذنبه فى تحفز ، مستعدًا للسع خصومه ..

وكان النحت دقيقًا ، إلى حد كفيل بإثارة الرعب ، ولكن ( مارى ) تطلّعت إليه فى لا مبالاة ، والحارس المصاحب لها يقول فى صرامة :

ــ انتظرى هنا لحظة واحدة .

انتظرته فى ضجر ، وغاب هو بعض الوقت ، داخل الحجرة ، قبل أن يعود إليها ، قائلًا :

ــ سيستقبلك الزعيم الآن .

دلفت إلى الحجرة شبه المظلمة ، إلا من مصباح واحد صغير ، خلف مقعد الزعيم ، الذى بدا مظلمًا مخيفًا ، يوحى بأنه مجرّد مقعد خال ، لولا دخان السيجار الضخم ، الذى يتصاعد من موضع جلوس الزعيم ..

وفى صوت عميق ، قال الزعيم :

ــ اجلسى يا ( مارى ) .

لم يكن هناك سوى مقعد واحد ، جلست عليه ( مارى ) ، وحاولت أن تخترق حجب الظلام ببصرها ، وهى تتطلّع إلى حيث يجلس الزعيم ، الذى استطرد :

ــ ماذا تريدين يا ( مارى ) ؟

قالت فى هدوء :

ــ لقد لقى ( ويلكوكس ) مصرعه .

أجابها بصوته العميق :

ـ أعلم هذا .

قالت :

ـ هذا يعنى أننى قد أصبحت الزعيمة الفعلية للمنظمة .

قال فى برود :

ـ وماذا بعد ؟

مالت إلى الأمام ، وهى تقول :

ـ أريد تأييدكم .

ران الصمت على المكان لحظات ، ثم قال الزعيم :

ـ هل يهمك كثيرًا الحصول على تأييد منظمة ( سكوربيون ) ؟

أجابته فى هدوء :

ـ كثيرًا جدًا .

ثم استرخت فى مقعدها ، مستطردة :

ـ لن أخفى عنك أننى كنت أحلم ، منذ زمن طويل ، بزعامة منظمتنا ، وكنت أعلم دائمًا بوجود منافسة خفية ، بينكم وبيننا ، وكان سير ( ويلكوكس ) يجد متعته فى هذه المنافسة ، ولكننى أختلف عنه .. أختلف كثيرًا .

ومالت مرة أخرى ، مستطردة فى حزم :

ـ إننى أريد أن أحيا .

ولوَّحت بكفها ، هاتفة :

ـ لن أعرض حياتى للخطر ؛ لأننى أنوى التمتع إلى أقصى حد ، بتلك الثروة ، التى تركها لى سير ( ويلكوكس ) .



ران الصمت لحظات أخرى ، ثم قال الزعيم :

أهذا تسعين لمصادقة المخابرات البريطانية ؟

شحب وجهها ، وهى تقول :

ـ من أخبرك بهذا ؟

أجابها بصوته البارد العميق :

ـ إننى أعرف فحسب .

تنهدت ، وقالت :

ـ ليس المخابرات البريطانية ، وإنما ( مايكل أوليفر ) فحسب .

سألها فى اقتضاب :

ـ وما الفارق ؟

صمتت لحظات ، ثم قالت :

ـ لدى أسبابى الخاصة .

قال فى صرامة :

ـ أريد معرفتها .

صمتت لحظات أخرى ، ثم قالت فى عصبية :

ـ اسمع أيها الزعيم .. لقد قطعت المحيط كله لألتقى بك ، سأقطعه مرة أخرى بعد ساعة أو أكثر ، عائدة إلى موطنى ، وكل هذا للحصول على تأييدكم ، وليس لطرح أوراق على مائدتكم .

أجابها فى برود :

ـ فليكن .. إننا سنؤيدك يا ( مارى ) .

تألقت عيناها فى ظفر ، وهى تنهض قائلة :

ـ أشكرك أيها الزعيم .. أشكرك كثيرًا .

واستدارت لتتصرف ، ولكن الزعيم استوقفها ، قائلًا :

ـ لحظة يا ( مارى ) .

التفتت إليه فى تساؤل ، فأضاف :

ـ أبلغى تحياتى إلى سير ( مايكل أوليفر ) ، وأخبريه أننى قد أرسلت إليه تحية أخرى منذ أيام ، عبر أصدقاء مشتركين .

واكتسى صوته بنبرة ساخرة ، وهو يضيف :

ـ أصدقاء من السوفيت .

وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، ردّدت الجدران صداها ، ولم تحتملها ( مارى ) ، فاندفعت خارج الحجرة ، وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، ثم راحت تلهث فى انفعال ، وقد أدركت أنها ما تزال مجرّد تلميذه فى اللعبة .. لعبة الجاسوسية ..

★ ★ ★

هبّ ( أدهم ) جالسًا ، فور سماعه صوت ( نوفا ) ، وأطلقت ( فدوى ) صرخة رعب ، وهى تحدّق مع ( أدهم ) فى وجه السوفيتية ، التى ابتلّ شعرها الأشقر الذهبى ، والتصق بجبهتها وعنقها ، وهى تصوّب مسدّسها إلى ( أدهم ) و ( فدوى ) فى غضب وحزم ..

وعقد ( أدهم ) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنك ترتكبين أكبر خطأ فى حياتك يا ( نوفا ) ، فأنت الآن على



أرض فنلندية .

قالت فى شماتة :

ـ فليكن .. أعلم أننى لست على أرض ( الاتحاد السوفيتى ) ، ولكن لا تعتمد على هذا كثيرًا ، فلست أبالى بالقوانين والأعراف ، عندما تشتعل رغبتى الشخصية فى الانتقام .

قال وهو ينهض فى بطء :

ـ وماذا لو رآك أحد رجال حرس الحدود الفنلندية ؟

أجابته فى سخرية :

ـ سأقتله .

ثم أدارت فوهة مسدّسها إليه ، واستطردت فى وحشية :

ـ كما سأقتلك الآن .

وفجأة انقضّ عليها ( أدهم ) ، ومال جانبًا ، متفاديًا رصاصة أطلقتها عليه ، ثم ركل مسدّسها فى قوة ، فألقى به بعيدًا ، عند قدمى ( فدوى ) ، التى تراجعت فى ذعر ، مطلقة صرخة فزع ..

وانتزع ( أدهم ) مسدّسه ، ولكن ( نوفا ) ركلته بدورها ، وألقت به بعيدًا ، ثم وقفت تواجه ( أدهم ) ، قائلة فى شراسة :

ـ لا تتصوّر أنك ستهزمنى ، بمجرّد أنك رجل .

قال فى سخرية :

ـ وهل تتصوّرين أنك إمرأة ؟

قالت مشيرة إلى جسدها المتناسق :

ـ أنا كذلك ، على الرغم منك .

ثم انقضّت عليه فجأة ، صارخة :

ــ ولكننى سأتجاهل هذا .

هوت على عنقه بضربة قوية ، ولكنه تلقّاها على ساعده ، ودفع صاحبتها بعيدًا ، وهو يقول :

ــ كفى يا ( نوفا ) .. لا أستطيع مقاتلة امرأة .

صاحت ، وهى تهاجمه ثانية :

ــ بالتأكيد ، لأنها أقوى منك .

قفز جانبًا ، متجاوزًا انقضاضتها ، ثم دفعها مرة أخرى ، قائلًا :

ــ قلت كفى يا ( نوفا ) .

أطلقت صيحة غضب ، عندما سقطت على ظهرها ، ثم لم تلبث أن هبّت واقفة على قدميها ، وصاحت :

ــ لا تسخر منى .

زفر ( أدهم ) فى ضيق ، وقال :

ــ حسنًا يا ( نوفا ) .. ارحلى ، ولن أسخر منك .

قفزت ( نوفا ) فجأة ، والتقطت مسدس ( أدهم ) ، وصوّبته إليه من بعيد ، هاتفة :

ــ لقد خسرت أيها المصرى .

باغتته مبادرتها ، فتراجع فى حركة حادة ، وقال :

ــ كفى يا ( نوفا ) .

أطلقت ( نوفا ) ضحكة ساخرة عالية ، وهتفت :

ــ لقد وقعت أيها المصرى ، والآن سأقتلك ، سأقتلك بلا رحمة .

قفز جانبًا ، متجاوزًا انقضاضتها ، ثم دفعها مرة أخرى ، قائلًا :
ــ قلت كفى يا ( نوفا ) ..

رفعت مسدسها نحوه ، واستطردت :

ــ الوداع أيها الشيطان .

وانطلقت رصاصة مدوية ..

★ ★ ★

لم تكد طائرة ( مارى ) ترتفع من الجزيرة ، حتى أضاء زعيم منظمة ( سكوربيون ) حجرته ، وبدا وسيمًا أنيقًا ، وهو يلتفت إلى مساعده ، ويسأله :

ــ ما رأيك فى عرض ( مارى ) ؟

أجابه مساعده فى هدوء :

ــ أظنها جادة فيما عرضته ، فهى ترغب فى العيش طويلًا ، والتمتع بثروة ( ويلكوكس ) الطائلة بالفعل .

مطّ الزعيم شفته السفلى ، وكأنما لا يروق له هذا الرأى ، وقال :

ــ أتظن التعاون معها مجديًا .

أجابه مساعده :

ــ إنه لن يضرّنا على الأقل .

قال الزعيم :

ــ من قال هذا ؟ .. إنه لمن عظيم الضرر أن يتعاون المرء مع من هم أقل منه منزلة .

هزّ المساعد كتفيه ، دون أن يجيب ، فتطلّع الزعيم إلى السقف لحظات فى صمت ، ثم قال :



ــ فليكن .. سنمنحها الفرصة لإثبات قدراتها ، بعد أن تبدأ عمليتها الأولى ، فإما أن تُحقّق نجاحًا جيّدًا ، يغرينا بالتعاون معها ، أو ..

فرقع صبعية ، وأضاف :

ــ أو تبقى ( سكوربيون ) وحدها ، على ساحة العمل السرى الخاص .

★ ★ ★

عندما دوت تلك الرصاصة ، تصوّر ( أدهم ) أنها قد اخترقت جسده ، لما يعلمه عن ( نوفا ) من المهارة ، فى إصابة الهدف ، ولكنه سمع صرخة تنطلق من هذه الأخيرة ، ورآها تلقى مسدسها فى ألم ، فأدار عينيه فى سرعة إلى ( فدوى ) ، ورأها شاحبة الوجه ، تصوّب مسدس ( نوفا ) إليها ، والأدخنة تتصاعد من فوهته ، فى حين تنزف كتف ( نوفا ) ، وهى تهتف فى سخط :

ــ اللعنة !

ثم رأها تنحنى لتستعيد مسدسها فى سرعة ..

وفكّر ( أدهم ) فى مهاجمتها ، ولكن المسافة التى تفصله عنها لم تكن تسمح بهذا ، وأدرك أنها ستطلق النار على ( فدوى ) أوّلًا ، انتقامًا منها .. وأنه لن ينجح فى إنقاذها ..

ولذلك كله ، صرخ ( أدهم ) فى ( فدوى ) :

ــ اطلقى النار يا ( فدوى ) .. أطلقى النار .

كانت ( فدوى ) جاحظة العينين ، تمسك المسدّس بقبضتيها فى قوّة ،

وتصوّبه إلى ( نوفا ) ، فى حين كانت هذه الأخيرة ترفع فوهة مسدّسها نحو ( فدوى ) فى سرعة المحترفين ..

وبكل ما يملك من قوة ، صرخ ( أدهم ) :

ــ أطلقى النار يا ( فدوى ) .

وانطلقت رصاصات متتالية سريعة ..

وأصابت كلها هدفها ..

★ ★ ★

هبطت الطائرة القادمة من ( فنلندا ) فى مطار ( هيثرو ) بـ ( لندن ) ، فى الصباح التالى ، وهبط ضمن ركابها شاب وسيم حليق ، أخفى عينيه بمنظار داكن ، وكأنما لا يرغب فى أن يتعرّفه أحد ، أو أنه يخفى انفعالًا خاصًا ، عجز عن كتمانه فى أعماقه ، فقفز إلى عينيه ..

وعندما فحص ضابط الجوازات جواز سفر هذا الشاب ، طلب منه خلع منظاره ، ثم تطلّع إلى عينيه لحظة ، وقال :

ــ إقامة سعيدة فى الجزر البريطانية يا مستر ( أدهم ) .

شكره ( أدهم ) بإيماءة صامتة من رأسه ، ثم حمل حقيبته الوحيدة ، وغادر المطار ..

وفى الخارج استقلّ ( أدهم ) سيارة من سيارات الأجرة ، انطلق بها إلى فندق عادى ، من فنادق العاصمة العريقة ، وهناك استأجر حجرة واسعة ، وقال لموظف الاستقبال ، وهو يوقّع الأوراق المطلوبة :

ــ لا أحب أن يزعجنى أحد .

أجابه الموظف فى حماس :



ــ بالطبع ياسيّدى .. إننا هنا نحترم خصوصيات النزلاء جيدًا .

صعد ( أدهم ) إلى حجرته ، وألقى حقيبته فوق الفراش ، ثم خلع منظاره الداكن ، ووضعه على منضدة مجاورة للفراش ، وتطلّع إلى ساعته ، مغمغمًا :

ــ المفروض أن تكون هنا الآن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع دقات خافتة على باب الحجرة ، فأسرع يفتح الباب ، وابتسم فى ارتياح ، عندما وقع بصره على ( فدوى ) ، وهتف :

ــ حمدًا لله على سلامتك .

دلفت إلى الحجرة ، وهى تقول :

ــ لقد استأجرت الحجرة المجاورة لك .

قال فى خفوت :

ــ عظيم .

تجنّبت النظر إليه ، وهى تقول :

ــ لماذا تتحرّك بهذا الأسلوب المعقّد ؟

أجابها فى هدوء :

ــ لأن خصمنا ، سير ( مايكل أوليفر ) ، مايزال نائب رئيس المخابرات ، فى هذا البلد ، ولأنك تصرين على البقاء معى ، حتى نهاية المهمة .

أشاحت بوجهها ، متمتمة :

ــ لست أدرى ما إذا كنت سأحتمل أم لا .

وتفجّرت الدموع من عينيها بغتة ، وهى تستطرد :

ـــ إن ذلك المشهد لا يفارق خيالى أبدًا .

ربّت على كتفها مشفقًا ، وهو يقول :

ـــ لم يكن لديك خيار يا عزيزتى ، فلو لم تطلقى أنت النار أوّلًا ، لقتلتك هى بلا رحمة .

بكت فى حرارة ، وهى تقول :

ـــ ولكننى أطلقت عليها ست رصاصات دفعة واحدة .

قال فى حنان :

ـــ لم يكن لديك خيار ، فى هذه النقطة أيضًا ، فالمسدّس من النوع الآلى .

هزّت رأسها ، وكأنها تحاول نفض المشهد عن رأسها ، وهى تقول :

ـــ كنت أعلم طيلة عمرى أن القتل أمر بشع ، ولكننى لم أشعر بهذه البشاعة ، فى عمرى كله ، مثلما شعرت بها الآن .

ودفنت رأسها فى صدره ، مستطردة :

ـــ كانت تجربة رهيبة يا ( أدهم ) .. رهيبة بحق .

ربّت على ظهرها فى حب وحنان ، وقال :

ـــ لا بأس يا عزيزتى .. يمكنك الرحيل على الفور ، و ..

رفعت رأسها عن صدره ، هاتفة :

ـــ لا .

ثم جفّفت دموعها فى سرعة ، مستطردة :

ـــ سأبقى معك إلى النهاية .



وحاولت أن تبتسم ، وهى تتابع :

ـــ المهم ألا تضطرّنا النهاية إلى السفر للمرخ هذه المرة .

رفع رأسه فى حزم ، وهو يقول :

ـــ لا يا عزيزتى .. أنا واثق من أن الصندوق الحقيقى هنا ، بين يدى ( مارى ) ، وغدًا سنواجه تلك الدموية ، ونستعيد وثائقنا فى جولة جديدة .

وخفض عينيه ؛ لتلتقيا بعينيها ، وهو يضيف :

ـــ وأخيرة .

★ ★ ★

## ٢٣ ــ الحفل ..

أوقف سير ( مايكل أوليفر ) سيارته الخاصة ، أمام بوّابة السور الكبير ، المحيط بقصر سير ( ويلكوكس ) ، وقال لحارس البوّابة فى ضيق :

ــ هل سنعبر الإجراءات المعتادة ؟

أجابه الحارس فى برود :

ــ لا يا سير ( مايكل ) .. لقد أمرت السيّدة ( مارى ) باستثنائك منها .

وفتح أمامه بوّابة السور ، فانطلق ( مايكل ) بسيّارته عبر الحديقة الواسعة ، حتى بلغ القصر ، وهناك استقبلته ( مارى ) بابتسامة واسعة ، ونظرة خبيثة كالمعتاد ، وهى تقول :

ــ مرحبًا بك للمرة الثانية ، فى هذا القصر يا سير ( مايكل ) .

كانت تبدو فاتنة هذه الليلة ، وقد التمع شعرها النارى تحت الأضواء ، كشعلة من لهب ، ووضعت فى أذنيها قرطين كبيرين من الماس ، تألّقا كعشرات الشموس الصغيرة ، مع ثوب السهرة الضيق ، ذى اللون القرمزى ، والنجوم الفضية الدقيقة ..

ولقد ألقى سير ( مايكل ) عليها نظرة سريعة ، قبل أن يقول :

ــ أتعشّم ألا تكون هذه المرة شبيهة بسابقتها .

ابتسمت ( مارى ) ، قائلة :

ــ اطمئن .. لن يتكرّر هذا .

قادته إلى حجرة واسعة ، اكتظّت بالتحف واللوحات الثمينة ، وقالت



لرجالها فى حزم :

ــ اتركونا وحدنا .

أخلى رجالها الحجرة على الفور ، وأغلقوا بابها خلفهم ، فالتفتت هى إلى سير ( مايكل ) ، وقالت :

ــ إننى أمنحك بهذا دليل على ثقتى بك يا سير ( مايكل ) .

اتخذ مقعدًا وثيرًا ، وأشعل غليونه ، قائلًا :

ــ لم تعد الثقة بيننا تحتاج إلى دليل يا عزيزتى ( مارى ) ، فالآن تربطنا أمور أكثر قوة من الثقة ، وأعنى المصالح المشتركة .

أطلقت ضحكة قصيرة ، وقالت :

ــ هذا صحيح ، وأنا أفضّل ذلك الأسلوب .

ثم اتجهت إلى لوحة ثمينة ، وأشارت إليها ، قائلة :

ــ هل تعرف صاحب هذه اللوحة ؟

ألقى نظرة سريعة على اللوحة ، وأجاب :

ــ بالطبع ، فهذا الأسلوب الجنونى ، الشبيه بالحلم ، الذى يمزج مابين الواقعية والسريالية ، لا يتميّز به سوى شخص واحد .. ( سلفادور دالى ) .

هتفت :

ــ رائع يا سير ( مايكل ) .. إنك تمتلك ثقافة فنية جيّدة .

ثم تحسّست اللوحة بأناملها ، مستطردة :

ــ أنا أيضًا أميل إلى اللوحات الزيتية ، وبالذات إلى اللون الـ ...

قاطعها فى برود :

ـ الأحمر .

تطلّعت إليه بنظرة ساخرة ، وقالت :

ـ تمامًا .. من الواضح أنك أصبحت تفهم ذوق جيّدًا .

وضغطت بقعة حمراء كبيرة ، فى أرضية اللوحة ، ثم رفعت يدها عنها فى حركة أنيقة ، وتراجعت خطوة إلى الوراء ، وهى تتطلّع إلى الصورة ، التى انزاحت جانبًا ، لتكشف عن خزانة حديدية صغيرة ، تختفى خلفها داخل الجدار ، وانعقد حاجبا سير ( مايكل ) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الخزانة ، فقالت ( مارى ) فى زهو :

ـ من يتصوّر أن يبتاع سير ( ويلكوكس ) لوحة من لوحات ( سلفادور دالى ) ؛ ليصنع منها ستارًا لخزانته .

وأدارت قرص الخزانة فى سرعة ، ثم فتحتها ، والتقطت من داخلها ذلك الصندوق الأسود الصغير ، وهى تستطرد :

ـ ولكن الأمر يستحق .

هتف ( مايكل ) فى لهفة :

ـ أهذا هو ..

قاطعته مبتسمة :

ـ الصندوق الحقيقى .. نعم يا سير ( مايكل ) .. هذا هو الصندوق الحقيقى .

ووضعته على المنضدة أمامه ، مستطردة :

ـ أقدّمه لك كهدية صداقة .. وبلا مقابل .

تألّقت عينا سير ( مايكل ) ، وهو يتحسّس الصندوق فى لهفة ، ثم



اعتدل قائلًا فى حزم :

ـ ولكننى لا أستطيع قبول هذه الهدية بلا مقابل يا ( مارى ) .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ لماذا ؟ .. إننى أمنحك إياه راضية .

قال فى حزم :

ـ لا يا ( مارى ) .. لم أعتد الحصول على شىء بلا مقابل .. إننى مصرّ على دفع الثمن .

أطلقت ضحكة مستهترة ، وقالت :

ـ وما الثمن الذى يمكنك دفعه يا سير ( مايكل ) ؟

انتزع مسدّسه فجأة ، وصوّبه إليها ، قائلًا فى صرامة :

ـ ها هوذا ..

★ ★ ★

أشار ( أدهم ) ، من منطقة مرتفعة ، إلى قصر سير ( ويلكوكس ) ، وهو يقول لـ ( فدوى ) :

ـ ها هوذا القصر .. كل ما أطلبه منك هو أن تراقبيه من هنا ، بهذا المنظار الخاص ، حتى ترينى أندفع عبر بابه ، إلى حديقته الواسعة ، وهنا انطلقى بالسيارة إلى بوّابة القصر ، وسأعمل على أن أبلغ البوّابة فى نفس اللحظة ، التى تبلغينها فيها ، لننطلق مبتعدين على الفور .

قالت فى لهفة :

ـ سأفعل يا ( أدهم ) .. سأفعل كل ما تأمرنى به .. لا يمكنك أن

تتصوَّر مدى سعادتى ؛ لأننى أشاركك المهمة هذه المرة .

ابتسم فى حنان ، وهو يمسك كتفيها ، ويتطلّع إلى عينيها مباشرة ، قائلًا فى مرح هادىء :

ــ سيقتلوننى فى الإدارة ، لو علموا أننى أفعل هذا .

قالت فى حماس :

ــ سأعمل على أن يمنحونك وسامًا .

ربَّت على كتفها فى رفق ، ثم استدار ليتجه إلى القصر ، ولكنها استوقفته فى لهفة قلقة ، وهى تقول :

ــ ألا تخبرنى بخطتك على الأقل ؟ .. أم أن هذا يدخل ضمن دائرة الأسرار ؟

ابتسم مغمغمًا :

ــ وهل أصبحت هناك أسرار ؟

ثم أشار إلى الجزء الجنوبى من القصر ، قائلًا :

ــ هناك ، عند منطقة الإسطبلات ، يوجد ممر صغير ، يستخدم لنقل الأعلاف إلى الخيول ، وهذا الممر ينتهى بفجوة صغيرة فى السور ، سأحاول العبور منها إلى الإسطبلات ، ومن هناك إلى المولِّد الكهربى ، الذى يمدّ السور بالتيار ، حيث سأزرع قنبلة موقوتة ، وبعدها أتسلل إلى القصر نفسه ، وأحاول استعادة الصندوق ، قبل أن تنفجر القنبلة ، وعند انفجارها تمامًا سأستغل الهرج الحادث ، وانطلق إلى البوَّابة ، حيث أجدك بالسيارة ، فنبتعد معًا عن المكان .. هل فهمت خطتى ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، فمنحها ابتسامة أخرى ، وهم بالانصراف ، ولكنها استوقفته مرة ثانية ، وقالت :



ــ ( أدهم ) .. احترس .

اتسعت ابتسامته ، دون أن يُعلِّق ، ثم أسرع يهبط المرتفع فى مرونة ، متجهًا نحو القصر ، فى حين غمغمت هى فى لوعة :

ــ إلى اللقاء يا ( أدهم ) .. إلى اللقاء فى عالم الأحياء ، لو شاء العلىّ القدير .

لم يسمع ( أدهم ) عبارتها ، وهو يبتعد فى سرعة ، واقترب فى حذر من السور الجنوبى للقصر ، واختفى بين الأعشاب الطويلة ، يراقب المكان فى خبرة ، حتى تأكَّد من خلوه من رجال الحراسة ، ثم أسرع إلى الفجوة الصغيرة ، وأزاح كومة من القشّ عنها ، ثم فحصها فى سرعة ، وغمغم :

ــ المفروض ألّا تسمح هذه الفجوة بمرور رجل بالغ .

ولكنه رفع ذراعيه أمامه ، ودفعهما عبر الفجوة ، ثم ضمّ كتفيه فى مرونة مدهشة ، وراح عبر الفجوة كثعبان بشرى ..

ولم يكن ذلك بالأمر السهل أو اليسير ..

لقد كانت الفتحة ضيقة بالفعل ..

ولكنه عبرها ..

عبرها فى مرونة أشبه بالمعجزة ، وضمّ ركبتيه إلى صدره ، وهو ينتقل إلى الجانب الآخر من السور ، داخل اسطبلات الخيل ، وتمتم فى سخرية :

ــ هأنذا أعبر ثقب الإبرة .

وفجأة التصقت فوهة مدفع آلى برأسه ، مع صوت يقول فى خشونة :

ــ أهنئك يا فتى .. إننى أراقبك منذ ربع الساعة ، حتى نجحت فى الدخول .. والآن ماذا تفضّل ؟ .. رصاصة فى الرأس ، أم طعنة خنجر فى

القلب ؟ هيا إننى أمنحك حق الاختيار .

كانت مقدّمة مسرحية طويلة ، أكثر مما ينبغى ، ولم يكد صاحبها ينتهى من إلقائها ، حتى تراجع ( أدهم ) برأسه فى حركة حادة ، وانقضت يده على ماسورة المدفع الآلى ، فأمسكت به فى قوة ، ودفعت كعبه فى معدة صاحبه ، ثم ارتفعت قدمه تركل وجهه ، وأمسكت يده الأخرى سترة الرجل ، ودفعت رأسه نحو السور ، ليرتطم به فى عنف ، ويسقط فاقد الوعى ..

وفى حركة سريعة ، نهض ( أدهم ) واقفًا على قدميه ، وقال فى سخرية :

ــ لماذا تميلون إلى المقدمات الطويلة أيها الأوغاد ؟

ثم تطلّع إلى الرجل لحظات فى صمت ، وابتسم مستطردًا :

ــ والعجيب أنك منحتنى وسيلة أفضل يا رجل .

انحنى ينزع ثياب الرجل فى سرعة ، ثم أحكم وثاقه ، وكمّم فمه جيدًا ، وارتدى ثياب الرجل ، وهو يقول :

ــ هكذا يمكننى التجوّل فى حرية أكثر .

حمل المدفع الآلى فوق كتفه ، وغادر الإسطبلات فى خطوات هادئة واثقة ، وعبر عددًا من رجال الحراسة ، انهمكوا فى حديث جانبى ، دون أن يعيرهم أدنى اهتمام ، واتجه إلى المولّد الكهربى ، حيث استقبله حارسه فى بساطة ، قائلًا :

ــ أهو أنت يا ( جو ) ؟ .. هذه الليلة مثيرة للملل .. أليس كذلك ؟

ثم انتبه إلى ملامحه فجأة ، فهبّ واقفًا ، ورفع مدفعه ، قائلًا :



ــ ولكن .. ولكنك لست ( جو ) .

هوى ( أدهم ) على فكه بلكمة كالقنبلة ، وهو يقول :

ــ بالطبع لست هو .

وسقط الرجل فاقد الوعى ، فاتجه ( أدهم ) إلى المحرّك الكبير ، الذى يدير المولّد ، وراح يثبت فيه قبلته فى عناية فائقة ، وضبط توقيتها ، ثم اعتدل يتطلّع إليها ، قائلًا :

ــ الآن يا ( أدهم ) ، ومنذ هذه اللحظة ، تبدأ جولتك الأخيرة ، وأمامك نصف الساعة فقط ، لتفوز بالضربة القاضية ، أو ...

صمت لحظة ، ثم أضاف :

ــ أو تخسر المباراة كلها .

★ ★ ★

انعقد حاجبا ( مارى ) فى توتر ودهشة ، وهى تحدّق فى فوهة المسدّس ، الذى يصوّبه إليها سير ( مايكل ) ، ثم رفعت عينيها إلى وجه هذا الأخير ، هاتفة فى عصبية :

ــ ما الذى تعنيه بهذا يا سير ( مايكل ) ؟ .. هل جننت ؟

هزّ ( مايكل ) رأسه نفيًا فى برود ، وقال :

ــ على العكس يا عزيزتى ( مارى ) .. لقد أصبحت أكثر عقلًا .

ونفث دخان سيارته فى هدوء ، وهو يستطرد :

ــ لقد جلست ، بعد انصرافك من مكتبى أمس ، أدرس الموقف ، وأقلبه على كل الوجوه ، حتى اتخذت قرارى هذا .

ردّدت فى عصبية :

ــ أى قرار ؟

تابع وكأنه لم يسمعها :

ــ صحيح أنك لا تطلبين سوى صداقتى ، وحمايتى ، وبعضًا من سلطاتى الواسعة ، وفى مقابل هذا تمنحيننى الصندوق الأسود المصرى ، الذى يساوى ثروة ، فى نظر المخابرات السوفيتية على الأقل ، ولكنك تصرين على الاحتفاظ بشريط خاص ، يمكنه تحطيم حياتى كلها ، فى أية لحظة .

قالت فى حدة :

ــ ولكننى وعدتك بعدم تقديمه إلى أحد .



قال فى برود :

ــ ولكن محاميك سيفعلون ، عند إصابتك ، أو موتك فى أى حادث ، حتى ولو كان قضاءً وقدرًا ، ولن أقضى حياتى خائفًا ، أنتظر خبر مصرعك فى ذعر وتوتّر .. لا يا عزيزتى ( مارى ) .. قلت لك أننى درست الأمر جيّدًا ، ووجدت أنه من الضرورى أن أعترف بالواقع ، وبأننى أصبحت ورقة محترقة ، لا يمكنها أن تربح فى ملعبها التقليدى ، وأن أفضل ما أفعله هو أن أنتهز الفرصة ، وأرحل إلى ( الاتحاد السوفيتى ) ، حيث أقضى أيامى الأخيرة فى منتجع خاص ، أملك فيه منزلًا أنيقًا فاخرًا ، وسيارة أمريكية ضخمة ، كما وعدنى الأصدقاء هناك ، ولاشك أن السوفيت سيرحبون بى هناك ، خاصة عندما أذهب إليهم حاملًا الصندوق الأسود ، الذى تصوّر ( الموساد ) أنه قد وقع فى أيديهم بالفعل ، وتصوّروا هم أنه قد دُمّر ، فى مبنى مخابراتهم ، أثناء قتال دار هناك أمس ..

لوّحت بذراعها فى عصبية ، قائلة :

ــ حسنًا .. ها هوذا الصندوق أمامك .. احمله وارحل عن هنا .

ابتسم قائلًا :

ــ لا يا عزيزتى ( مارى ) .. إننى رجل لا ينسى ثأره أبدًا ، ولا يقبل أن تهزمه امرأة ، حتى ولو كانت تحمل اسم ( مارى الدموية ) .. إننى لن أرحل من هنا ، قبل أن أراك أمامى جثة هامدة .

نفثت دخان سيجارتها فى توتّر ، وهى تقول :

ــ وهل تتصوّر أنك تستطيع الخروج من هنا حيًا ، بعد قتلى ؟

أجابها فى ثقة :

ـــ بالتأكيد يا عزيزتى ( مارى ) ، فلقد أعددت لكل شىء عدّته ، بكل الدقة والعناية ، وسيارتى الأنيقة ، التى تقف الآن أمام القصر ، هى أحدث مبتكرات جهازنا العلمى ، التابع للمكتب الخامس ، فبمجرّد توقّف محرّكها عن العمل ، اشتعلت قنبلة زمنية ضخمة ، تحتلّ حقيبتها الخلفية كلها ، وبعد ساعة واحدة من توقّف السيارة ، ستنفجر انفجارًا مروّعًا ، يطيح بواجهة القصر كلها ، ونصف رجالك تقريبًا ، وأننا الهرج والمرج ، اللذين سيسودان المكان حتمًا ، بعد الانفجار ، سأسرع أنا إلى السطح ، حيث تلتقطنى هليوكوبتر خاصة ، تحملنى إلى المطار ، ومن هناك أستقلّ طائرة خاصة إلى ( موسكو ) .

أطفأت سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

ـــ خطة منمّقة يا سير ( مايكل ) .

قال بابتسامة باردة :

ـــ أشكرك يا عزيزتى ( مارى ) .

أخرجت سيجارة أخرى ، دستها بين شفتيها ، وهى تلتقط قدّاحة مكتب كبيرة ، قائلة :

ـــ إنك تريد أن تضرب كل العصافير بضربة واحدة .. تقتلنى ، وتستعيد الصندوق ، وتنسف القصر ، وتهرب إلى ( موسكو ) .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ بلى يا عزيزتى ( مارى ) ، وخطتى تمنحنى القدرة على أن أضرب كل العصافير معًا .. ألا توافقيننى على هذا ؟



مطّت شفتيها بالسيجارة ، وهى تقول :

ـــ لست أنكر أنها خطة منمّقة مدروسة .

ثم رفعت القدّاحة إلى سيجارتها ، مستطردة :

ـــ ولكنها تحوى ثغرة واحدة .

سألها ساخرًا :

ـــ ماهى ؟

ضغطت قدّاحتها فى قوة ، وهى تقول فى مقت :

ـــ هاهى ذى .

انطلقت من القدّاحة رصاصة صغيرة ، عبرت الحجرة إليه فى جزء من الثانية ، واخترقت جمجمته بقرقعة مزعجة ..

واتسعت عينا سير ( مايكل أوليفر ) فى ذهول وألم ، ثم تحجّرتا ، وتفجّرت الدماء من ثقب جمجمته ، و ...

وهوى جثة هامدة ..

وفى ازدراء كامل ، وضعت ( مارى ) القدّاحة على سطح المكتب ، وهى تقول :

ـــ أيها الحقير .. هل تصوّرت أننى أستطيع منحك ثقتى بالفعل ؟

ثم بصقت على جثته ، مستطردة :

ـــ غبىّ .

واتجهت فى هدوء إلى حيث الصندوق الأسود ، وتحسّست رتاجه ، وهى تضيف :

ـــ أما أنت يا صندوق الصغير ، فستبقى معى ، حتى أحل لغز شفرتك

السرية ، و ...

قاطعها صوت صارم ساخر ، يقول :

ــ لا تقلقى نفسك يا عزيزتى ( مارى ) .. سأتولى عنك هذه المهمة .

التفتت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجباها فى شدة ، عندما وقع بصرها على ( أدهم ) ، وهتفت :

ــ أنت ؟

قفز من النافذة إلى داخل الحجرة ، وهو يصوّب إليها مسدسه المزوّد بكاتم للصوت ، قائلًا :

ــ نعم يا ( مارى الدموية ) .. إنه أنا .

وألقى نظرة سريعة على جثة سير ( مايكل ) قبل أن يستطرد :

ــ يبدو أنك تصرين على ممارسة هوايتك ، حتى مع الأوغاد ، الذين على شاكلتك .

قالت فى عصبية :

ــ إنك تريد الصندوق .. أليس كذلك ؟ .. حسنًا .. خذه .. إننى أهبه لك ..

هتف ساخرًا :

ــ حقًا ؟! .. يا لكرم أخلاقك وسخاء طبعك يا عزيزتى ( مارى ) .

واتجه فى حذر إلى الصندوق ، وضغط أرقام شفرته السرية فى سرعة ، دون أن يبعد بصره ومسدسه عنها ، ورأت هى الصندوق يُفتح أمامه فى



ليونة ، فيلتقط هو منه الوثائق والصور ، ويدسّها فى جيبه ، فقالت فى عصبية :

ــ أخيرًا انفتح الصندوق .

ومدّت يدها نحو قدّاحة المكتب ، مستطردة :

ــ هل تسمح لى بإشعال سيجارة ؟

انطلقت رصاصة تطيح بالقدّاحة ، فأبعدت يدها عنها فى ذعر ، وهى تطلق شهقة خافتة ، فى حين قال هو فى سخرية :

ــ معذرة يا عزيزتى ( مارى ) ، فالتدخين عادة ضارة ، تسبّب لصاحبها الكثير من الأمراض ، وكذلك للآخرين .

وأشار إلى جثة ( مايكل ) ، مردفًا :

ــ مثل عزيزنا سير ( مايكل ) .

أدركت أنه يعرف طبيعة القدّاحة ، فعقدت حاجبيها فى حنق ، وجلست على طرف المكتب ، قائلة :

ــ حسنًا .. لقد فهمت .

ثم لوّحت بذراعها ، وهى تهتف مستطردة :

ــ والآن ماذا تريد ؟ .. لقد حصلت على الأوراق .. انصرف إذن .

أجابها فى هدوء :

ــ لم يحن وقت الانصراف بعد .

ابتسمت فى شماتة أدهشته ، وهى تقول :

ــ ولن يحين أبدًا .

وفجأة انفتحت أبواب الحجرة ، واقتحم المكان ستة رجال مسلحين

بالمدافع الآلية ، صوّبوا جميعًا مدافعهم إلى ( أدهم ) ، مع ضحكة ساخرة عالية ، أطلقتها ( مارى ) ، قبل أن تقول :

ــ هل رأيت أنه من المستحيل أن يدرك إنسان واحد ، كل مالدينا من وسائل الخداع أيها المصرى ؟ .. لقد انتبهت فى ذكاء إلى طبيعة قدّاحتى الخاصة ، التى أهداها لى سير ( ويلكوكس ) ، فى عيد ميلادى الأخير ، ولكنك لم تنتبه إلى أن جلوسى على حافة المكتب يشعل جهازًا خاصًا ، يضىء عددًا من شاشات المراقبة ، فى حجرة الحرّاس ، وينقل إليهم كل ما يدور هنا ، وهم يدركون ما ينبغى عليهم فعله ، فى مثل هذه الظروف .

ثم أشارت إليه فى زهو ، مستطردة :

ــ والآن هيا أيها المصرى .. ألق مسدّسك ، واعترف بهزيمتك ، فقد خسرت معركتك .

قال ( أدهم ) فى هدوء ، وهو يختلس النظر إلى عقارب الساعة :

ــ وماذا لو لم أفعل ؟

هزّت كتفيها فى استهتار ، قائلة :

ــ سيطلق رجالى النار عليك بلا تردّد ، وسيؤسفنى أن تمزّق رصاصاتهم تلك الوثائق ، التى أخذتها من الصندوق ، ولكن أعدك أن أضع باقة من الورود البنفسجية على قبرك ، للتعبير عن امتنانى لفتحك الصندوق ، بعد كل ما تجشمناه لفتحه .

أطلق ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ــ يا لغرورك يا عزيزتى ( مارى ) ! .. يبدو أنك تتصورين نفسك الوحيدة فى هذا العالم ، التى تمتلك بعض وسائل الخداع .. أنسيت أننى



أيضًا رجل مخابرات ؟ وأن وسائلى تفوق وسائلك حتمًا .

قالت ساخرة :

ــ هكذا ؟! .. ما رأيك لو قدمت لنا عرضًا خاصًا ؟

ألقى نظرة أخيرة على ساعته ، ورفع يده قائلًا :

ــ فليكن يا عزيزتى ( مارى ) .. سأقدّم لك عرضًا خاصًا .. عرضًا سحريًا .

وفرقع سبّابته وإبهامه ..

ودوى الانفجار ...

انفجرت القنبلة ، التى وضعها فى المولّد الكهربى ، فى نفس اللحظة ، على نحو بعث انتفاضة قوية فى أجساد الرجال ، وجسد ( مارى ) ، من فرط المفاجأة ، التى استغلّها ( أدهم ) خير استخدام كعادته ، فرفع مسدّسه فى سرعة ، وأطلق منه أربع رصاصات سريعة ، أطاحت بمدافع أربعة من الرجال الستة ، قبل أن يقفز فى خفة ورشاقة ومرونة ، عبر النافذة المفتوحة ، التى دخل منها إلى الحجرة ..

وصاحت ( مارى ) كالمجنونة :

ــ أوقفوه .. لا تسمحوا له بالفرار .

وقفزت بدورها خلفه من النافذة ، وراحت تطلق رصاصات مسدّسها نحوه ، ولكنه واصل انطلاقه نحو البوّابة ، وهو يتمنّى أن تلتزم ( فدوى ) بالخطة الموضوعة ، وتستقبله بالسيارة هناك ..

ولكن ( مارى ) انتبهت إلى خطته ، وهتفت :

ــ اقطعوا عليه الطريق إلى البوّابة .. لا تسمحوا له ببلوغها أبدًا .

تركّز هجوم الجميع على البوّابة ، فى محاولة مستميتة لمنع ( أدهم ) من بلوغها .

ولقد نجحت محاولتهم بالفعل ، وأدرك ( أدهم ) أنه من المستحيل أن يبلغ البوّابة ، فتوقّف فى مكانه لحظة ، ثم اندفع عائدًا إلى الإسطبلات ..

وصاحت ( مارى ) :

ــ حاصروه عند الإسطبلات .. اقتلوه هناك .

ولكن ( أدهم ) لم يكن ينوى البقاء فى الإسطبلات ، كما تصوّرت ( مارى ) ، بل كان يرغب فى مغادرة القصر ، بنفس الوسيلة التى دخله بها ..

عبر الفجوة الصغيرة ..

وعندما بلغ موضعها ، انحنى ليعبرها ..

ولكن صوت ارتطام عنيف بلغ مسامعه ..

ارتطام أدرك مغزاه على الفور ..

لقد عدّلت ( فدوى ) الخطة ..

واقتحمت ساحة القتال ..

★ ★ ★





لم يكد الانفجار يدوى ، فى حجرة المولّد الكهربى ، حتى دقّ قلب ( فدوى ) فى عنف ، وراحت تراقب القصر بمنظار ( أدهم ) الخاص فى لهفة ..

ورأت رجلًا من الحرّاس يقفز عبر النافذة ، ثم رأت ( مارى ) تقفز خلفه ، وتطلق النار عليه ، وهو يعدو نحو البوّابة ..

وأدركت على الفور أنه ( أدهم ) ..

ودون أن تضيع لحظة واحدة ، قفزت ( فدوى ) إلى سيارة ( الجيب ) الضخمة ، التى تركها ( أدهم ) ، وأدارت محرّكها ، وانطلقت بها نحو القصر ..

كانت تعلم أن الخطة تقتضى إلتقاط ( أدهم ) ، من أمام بوّابة القصر ، والابتعاد به سريعًا عن المكان ، ولكنها لم تجده هناك ، عندما بلغت البوّابة ..

وبنظرة واحدة فهمت الموقف الجديد ..

لقد عجز ( أدهم ) عن بلوغ البوّابة لسبب ما ..

ولكنه ما زال على قيد الحياة ..

ذلك القتال المحتدم فى الداخل ، يؤكّد أنه ما يزال على قيد الحياة ..

ولكن أين هو ؟ ..

لم تحتمل فكرة البقاء فى الخارج ، وهو يواجه الموت وحده فى الداخل ، فتراجعت بالسيارة فى سرعة ، ثم انطلقت بها نحو البوّابة ..

وهبّ رجال الحراسة يطلقون عليها رصاصاتهم ، ولكن الدروع الصلبة ، التى أضافها ( أدهم ) إلى جسم السيارة ، توقّعًا لحدوث هذا ،

صدت الرصاصات فى قوة ، وسمحت لها بالانتظام بالبوابة فى عنف ، وتحطيمها ..

ووجدت ( فدوى ) نفسها داخل الحديقة الواسعة ..

وارتبكت ..

لم تكن تدرى أى اتجاه ينبغى عليها أن تتخذه ، بحثًا عن ( أدهم ) ..

وكانت ( مارى ) تصرخ فى ثورة :

ــ اقتلوا تلك اللعينة .. اقتلوها .

انهالت الرصاصات على السيارة ، وأصابت ( فدوى ) بالرعب ، فراحت تدير عجلة القيادة فى شتى الاتجاهات ، وهى تصرخ :

ــ أين أنت يا ( أدهم ) .

وانفجر بغتة إطار السيارة الأمامى ، ففقدت توازنها فى عنف ، ومالت على نحو مخيف ، جعل ( فدوى ) تصرخ :

ــ النجدة !! النجدة يا ( أدهم ) !

وانقلبت بها السيارة رأسًا على عقب ..

وشاهد ( أدهم ) هذا المشهد الأخير ..

شاهد سيارة ( فدوى ) تنقلب ..

وهوى قلبه بين ضلوعه ..

كان يلتهب رغبة فى الانطلاق إليها ، على الرغم من الرجال الذين يحاصرونه ، والخطر الذى يحيط به من كل جانب ..

وسمع صوت ( مارى ) تصرخ :

ــ اقتلوها .. لا تتركوها حية .



ورأى ( فدوى ) تخرج من السيارة فى صعوبة ، وتحاول العدو مبتعدة عنها ، فهتف لنفسه :

ــ لن أتركك وحدك يا ( فدوى ) .

وبسرعة ، اتجه إلى جواد عربى أبيض أصيل ، وجذب لجامه ، وهو يقول فى حسم :

ــ هيا يا صديقى .. أنت عربى مثلى ، فساعدنى على هزيمة هؤلاء الأوغاد .

وبوثبة رائعة ، اعتلى صهوة الجواد ، الذى أطلق صهيلًا قويًا ، وضرب الأرض بقوائمه فى حزم وحماس ، وكأنما فهم عبارة ( أدهم ) ، وقرر الوقوف إلى جانبه .

وجذب ( أدهم ) عنان الجواد ، هاتفًا :

ــ هيا أيها البطل .

انطلق الجواد يعدو عبر الإسطبلات الواسعة ، ثم جذب ( أدهم ) لجامه فى حزم ، وهو يلكزه بكعبيه فى قوة ، فوثب الجواد يعبر سور الإسطبلات ، ورءوس رجال ( مارى ) ، الذين تولاهم الفزع من المشهد المهيب ، فانحنوا فى خوف ورهبة ، ورأوا الجواد الأبيض وراكبه يهبطان على الأرض ، ثم ينطلقان نحو السيارة المقلوبة ..

أما ( فدوى ) ، فقد رأت الموت يحيط بها من كل صوب ..

لقد انقلبت السيارة وسط الحديقة ..

ورجال ( مارى ) يعدون خلفها ، بأسلحتهم القاتلة ..

و ( مارى ) نفسها تصرخ فى جنون :

فوثب الجواد يعبر سور الإسطبلات ، ورءوس رجال (مارى)، الذين تولاهم الفزع من المشهد الرهيب .

ـ اقتلوها .. اقتلوها ..

وبدا أنه ما من أمل فى النجاة ..

ثم فجأة أتاها صوته ..

صوت ( أدهم ) ، وهو يهتف :

ـ ( فدوى ) ..

التفتت إلى مصدر الصيحة ، وقد انتعش أمل كبير فى قلبها ..

ورأته ..

وعلى الرغم من كل ما يحيط بها ، توقفت ( فدوى ) عن العدو ، وتطلعت إليه مبهورة ..

ها هوذا ..

نفس المشهد الذى يراود أحلامها ، منذ التقت به ..

الخطر يحيط بها من كل جانب ..

الموت يستعد لاختطافها من عالم الأحياء ..

ثم يبرز ( أدهم ) بغتة ..

على متن جواد أبيض ..

وينقذها ..

نفس الصورة التى تمنت أن تحلم بها ، دون أن تتصوَّر إمكانية تحوّلها يومًا إلى حقيقة ..

ورأته أمامها أشبه بالفارس ..

أمير الأحلام القادم على جواده الأبيض ..

وخُيّل إليها أنها أميرة ، يطاردها تنين وحشى ، فتهرع إلى فارس

أحلامها ، الذى ينقذها من براثنه ..

وانتزعت نفسها من جمودها ، وهى تعدو نحوه ، هاتفة :

ـ ( أدهم ) .

كان وجهها يحمل ابتسامة واثقة كبيرة ، وهى تتجه إليه ..

وفى مرونة منقطعة النظير ، ومهارة يحسده عليها فرسان العرب القدامى ، مال ( أدهم ) يلتقطها من وسط الحديقة ، ويرفعها إلى صهوة الجواد ، وهى تهتف :

ـ كنت أعلم أنك ستأتى .. كنت أعلم أنك ستنقذ ..

ولكن ( مارى ) أطلقت تلك الرصاصة الغادرة ، التى جعلت ( فدوى ) تبتر عبارتها ، وتطلق شهقة ألم ، وعيناها تجحظان فى شدة ..

ورأى ( أدهم ) بقعة الدم الكبيرة ، التى تفجرت فى ظهر ( فدوى ) ، وصرخ :

ـ لا .. لا يا ( فدوى ) .

واستدار فى غضب إلى حيث تقف ( مارى ) ، ممسكة مسدسها ، وصرخ :

ـ أيتها اللعينة .

كانت ( مارى ) تبتسم فى ظفر وشماتة ، وهى تقف أمام باب القصر ، مصوبة مسدسها إليه ، وهاتفة :

ـ اطمئن أيها المصرى .. ستلحق بها الآن ..

ولكنها لم تطلق رصاصتها التالية ..

لم تطلقها أبدًا ..



لقد أنساها القتال ما أخبرها به ( مايكل ) قبل مصرعه ، بشأن سيارته ، التى تركها أمام باب القصر ..

ولقد كانت ( مارى ) تقف على قيد خطوة واحدة من السيارة ، عندما حدث الانفجار ..

انفجار رهيب مروّع ، أطاح بـ ( مارى ) ، ورجالها ، ونصف القصر الأمامى ، وجعل جواد ( أدهم ) يطلق صهيلًا قويًا ، ثم يندفع نحو بوّابة القصر ، فارًا بحياته ، قبل أن تشتعل النيران ، وتتصاعد ألسنة اللهب ..

وبكل ما يملك من قوة ، جذب ( أدهم ) عنان الجواد ، ليسيطر على مخاوفه ، ويجبره على التوقف ، ثم قفز من فوقه ، حاملًا ( فدوى ) ، التى تأوّه فى ألم ، وأرقدها فى رفق على الحشائش الرطبة ، وهو يقول فى جذع وحنان :

ـ استريحى يا حبيبتى .. استريحى .. ستنجين بإذن الله .

أمسكت كفه بأصابعها المتهالكة ، وهى تبتسم ابتسامة واهنة ، وتقول :

ـ أخيرًا يا ( أدهم ) .. أخيرًا نطقتها .. يا إلهى .. ما أجمل الكلمة ، وهى تخرج من بين شفتيك !! كلمة حبيبتى .

التقط أصابعها ، ولثمها بقبلة حانية محبّة ، وهو يقول :

ـ سأظل أقولها حتى تسأمينها يا حبيبتى ..

تنهدت فى ألم ، وقالت مبتسمة فى وهن :

ـ لست أظننى سأجد ما يكفى من العمر لسماع المزيد منها يا ( أدهم ) ، فأنا أعلم أن هذه الرصاصة قد أصابتنى فى مقتل .

همّ بقول شيء ما ، ولكنها وضعت أناملها على شفتيه ، تمنعه من قوله ، وهي تستطرد :

ـ ولكنني لست نادمة يا ( أدهم ) .. صدقني .. تكفيني تلك الأيام القليلة ، التي قضيتها معك ، وتكفيني الكلمة ، التي سمعتها الآن من بين شفتيك .. صدقني يا ( أدهم ) .. لقد عشت معك أسطورة حيّة .. أسطورة عمري كله .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهي تضيف متهالكة :

ـ إنني أحبك يا ( أدهم ) .

أجابها في مرارة ، وهو يتحسس شعرها :

ـ أنا أيضًا أحبك يا ( فدوى ) ، وستشفين بإذن الله ، و ...

لم يتمّ عبارته ، عندما تهالكت أصابعها في راحته ، وفقدت عيناها بريق الحياة ، على الرغم من الابتسامة الواهنة ، التي تظلّل شفتيها ، فصرخ في مرارة :

ـ ( فدوى ) .. ( فدوى ) ..

وردّد المكان كله صدى صرخته ..

ولكن ما من مجيب .

★ ★ ★



## ٢٦ ـ الختام ..

تطلّع ( قدرى ) ، في صمت وإشفاق إلى دموع ( منى ) ، التي سالت على وجهها حارة غزيرة ، وشعر بنحيبها يمزّق نياط قلبه ، حتى كادت الدموع تقفز من عينيه أيضًا ، وهو يتمتم :

ـ لم أتصورك عاطفية إلى هذا الحد .

قالت في أسى :

ـ الآن عرفت لماذا لم يتزوّج ( أدهم ) ( فدوى ) .

قال في تردد :

ـ عجبًا ! .. كنت أتصوّر أنك ستغارين منها .

لوّحت بكفها ، قائلة في استكبار :

ـ أتظنني أغار من فتاة ، لم تعد تنتمي إلى عالمنا ؟

ثم هزّت رأسها ، مستطردة :

ـ مسكين ( أدهم ) .. على الرغم من كل ما يذله ، في سبيل الآخرين ، فالقدر لم يمنحه سعادة حقيقية قط .

هزّ ( قدرى ) كتفيه ، وقال :

ـ من يدرى ؟ .. ربما يمنحه إياها معك .

تمتمت :

ـ من يدرى ؟

تأمّلها لحظة في عطف ، ثم قال :

ـ ألا تحبين معرفة ماحدث ، بعد عودة ( أدهم ) ، وكشف أمر

الجاسوس ، الذى كان يعمل لحساب ( الموساد ) فى الإدارة ؟

قالت فى صوت لا يحمل نبرة الفضول الأنثوى المعتاد :

ــ أظنهم قد ألقوا القبض عليه ، وتمت محاكمته ، و ...

قاطعها قائلًا :

ــ على العكس .. لقد أدرك أننا سنكشف أمره ، بعد أن أبلغه الإسرائيليون أن ( أدهم ) نجح فى الحصول على الوثائق ، ففرّ على أوّل طائرة إلى ( أوربا ) ، وانطلق ( أدهم ) خلفه ؛ لإعادته إلى هنا ، وكانت مغامرة أخرى ، يمكننى أن أقصها عليك لو أردت .

لوّحت بكفها قائلة :

ــ فيما بعد يا ( قدرى ) .. فيما بعد .

ثم سألته فى اهتمام :

ــ المهم ماذا أصاب ( أدهم ) ، بعد مصرع ( فدوى ) ؟

هزّ كتفيه المكتظين ، وهو يقولُ فى أسف :

ــ لم يسامح نفسه لفترة طويلة ، وتصوّر أنه المسئول عن مصرعها ، بإقحامه لها فى جولته الأخيرة ، مع ( مارى الدموية ) ، ورفض بعدها تمامًا العمل مع أية فتاة .

ثم ابتسم وهو يتطلّع إليها ، مستطردًا :

ــ حتى أتيت أنت .

قالت فى مرارة :

ــ أتعنى أنه قد وجد لىّ بديلًا عن ( فدوى ) ؟

ابتسم قائلًا :



ــ بل وجد فيك الحب الحقيقى .

وتلاشت ابتسامته ، واكتسى صوته بنبرة عاطفية جادة ، وهو يقول :

ــ صدقينى يا ( منى ) .. إننى أعرف ( أدهم ) منذ فترة طويلة للغاية ، ويمكننى أن أجزم أنه لم يحب امرأة فى عمره كله ، كما أحبك .

عادت الدماء إلى وجنتيها ، وهى تقول :

ــ حقًا ؟!

هتف فى مرح :

ــ هل تسألينى ؟

تورّد وجهها خجلًا ، فمنح وجهها جاذبية خاصة ، وهى تقول :

ــ شكرًا يا ( قدرى ) .. أشكرك كثيرًا .

غمغم فى حنان :

ــ عفوًا يا عزيزتى ( منى ) .. إننى أجد سعادة غامرة فى التحدّث معك .

ابتسمت فى ارتياح ، وقالت :

ــ وأنا كذلك يا ( قدرى ) .. إلى اللقاء ، سأزورك مرة أخرى قريبًا ، لتقصّ علىّ مغامرة ( أدهم ) فى ( أوربا ) ، خلف الجاسوس .

لوّح بكفه قائلًا :

ــ بالتأكيد .

أغلقت الباب مع انصرافها ، وابتسم هو فى تعاطف ، وهو يلتقط بطاقة ( الموساد ) الزائفة ، ويفحصها فى اهتمام ، مغمغمًا :

ــ ما زالت تحتاج إلى بعض التعديلات .

وتنهدَّ وهو يلتهم قطعة كبيرة من فطيرة جبن طازجة ، قائلًا :
كلكن تهمن غرامًا بـ ( أدهم صبرى ) .. لست أدرى ما الذى يملكه هو ، ولا أملكه أنا ؟

ثم هزَّ كتفيه فى لا مبالاة ، وعاد يواصل عمله فى انهماك ..

★ ★ ★

[ تمت بحمد الله ]